


الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام

الاستاذ المساعد الدكتور
صلاح عباس حسن السوداني
رئيس قسم التاريخ
الكلية التربوية المفتوحة - بغداد

د. صلاح عباس حسن السوداني

الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلا

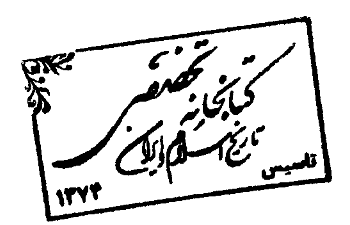
يقدم هذا الكتاب الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام، ويسلط الضوء على جانب مهم من جوانب حياة العرب قبل الإسلام.

لاسيما مكة التي شكلت جزءا مهم من حياة العرب لاعتبارات كثيرة. وتناولت هذه الدراسة الجانب الاجتماعي بأبعاده واتجاهاته كافة، الطبقات الاجتماعية الاغنياء الفقراء السادة العبيد، وطبيعة الحياة وأساليب العيش في الجزيرة العربية في تلك المرحلة المهمة من تاريخ العرب قبل الاسلام.

كما تطرق لطبيعة التكوين الاسري عند العرب ومكانة المرأة فيه وأنواع الزواج والطلاق .

فضلاً عن تلك العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع العربي قبل الاسلام والديانات المنتشرة في تلك الحقبة

مركز الكتاب الأكاديمي
عمّان-وسط البلد-مجمع الفحيص التجاري
ص . ب : 11732 عمّان (1061) الأردن
تلفاكس: 96264619511+ موبايل: 962799048009+
الموقع الإلكتروني: www.abcpub.net
A.B.Center@hotmail.com / info@abcpub.net
9789957351373



الحياة الاجتماعية
في الحجاز قبل الإسلام

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2015/1/166)

956.01
السوداني، صلاح عباس
الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام/ صلاح عباس السوداني
عمان: مركز الكتاب الاكاديمي،2015
() ص
ر.إ.: 166/ 1/ 2015
الواصفات: / التاريخ/ / الحياة الاجتماعية/ / العصر الجاهلي
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

الطبعة الأولى 2016

ISBN 978-9957-35-137-3 (ردمك)

مركز الكتاب الأكاديمي
عمّان-وسط البلد-مجمع الفحيص التجاري
ص . ب : 11732 عمّان (1061) الأردن
تلفاكس: 96264619511+ موبايل: 962799048009+
الموقع الإلكتروني: www.abcpub.net
A.B.Center@hotmail.com / info@abcpub.net

الحياة الاجتماعية

في الحجاز قبل الإسلام

الاستاذ المساعد الدكتور

صلاح عباس حسن السوداني

رئيس قسم التاريخ

الكلية التربوية المفتوحة-   بغداد





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ آل عمران: ١١٠

صدق الله العظيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات: ١٣

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده ، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم انبيائه ورسله محمد الامين صلى الله عليه وآله وسلم .

يستثير البحث في التاريخ الاجتماعي للعرب في عصر ما قبل الإسلام اليوم، ودراسة المنابع الأولى لحضارتهم اهتمام الكثير من أبناء الأمة العربية ، ممن يتطلعون الى التعمق في معرفة ماضي أمتهم العربية ، ومنبت قوميتهم، والتزود من أحداث الماضي ووقائعه ، بعبرات ، ومواعظ ، من تجارب أجدادهم بدروس قد تعينهم في الوقت الحاضر على أدراك تراثهم القديم الحافل بالأمجاد . ولاشك ان تاريخ العرب قبل الإسلام من الموضوعات الهامة بنسبة لتاريخ العرب العام ، وتاريخهم الإسلامي بوجه خاص ، لأنه الأساس لهذا التاريخ وركيزته التي يقوم عليها إذ لايمكن تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية ، والاقتصادية في العصر الإسلامي إلا إذا بحثنا عن أصولها القديمة في عصر ما قبل الإسلام .

وللأسف تفتقر مكتباتنا إلى هذا النوع من الدراسات فلم يصدر عن تاريخ العرب قبل الإسلام من المصنفات العربية الحديثة سوى عدد قليل من البحوث تعد على أصابع اليد ، ويكاد يكون أبرزها المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام قدمها الأستاذ المرحوم الدكتور جواد علي ، وعدت المرجع العلمي الأول بتاريخ العرب قبل الإسلام ، فضلاً عن بحوث أخرى قليلة منها كتابي احمد إبراهيم الشريف مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، وكتاب تاريخ العرب قبل الاسلام للسيد عبد العزيز سالم ، (وكتاب تاريخ العرب القديم) للدكتور محمد مهران بيومي ، (محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام) للدكتور صالح احمد العلي ، فضلاً عن دراسات اخرى لكنها قليلة كما ذكرنا سابقاً ، واذا استثنينا المفصل في تاريخ العرب

للدكتور جواد علي فان أهم مايميز هذه المراجع تناولها لتاريخ العرب السياسي تحديداً دون الأخذ بالحسبان الجوانب الأخرى المشرقة من تاريخ هذه الأمة العريقة ، ومازال البحث في تاريخ العرب قبل الإسلام ميداناً بكراً يتسع المجال فيه لكثير من الدراسات.

ان العناية بتاريخ العرب قبل الاسلام على الرغم من صعوبته لكنه يشكل ضرورة علمية وقومية ، فالعرب امة ذات عمق حضاري يمتد الى سالف الدهر ، فتاريخهم ينبغي الاعتناء به ، فهم اهل المآثر واصل الفضائل والمفاخر، بمزاياهم تزينت صفحات الزمن ، وبحميد سجاياهم تبسم وجه الدهر العبوس .

واردنا هنا التعرض لمسألة هامة فقد صورت لنا كتب التاريخ ان الحقبة التي سبقت الاسلام تكاد تكون مظلمة ان جاز لنا التعبير سادتها الفوضى والصراعات والحروب والانقسامات الداخلية والثارات ، وظلت هذه الصورة قائمة عن تاريخ العرب قبل الاسلام ، ايدهم في ذلك المستشرقون ، وقد حاولت هذه الدراسة تسليط الضوء على جانب يعكس التطور الحضاري الذي وصل اليه العربي ، فهل من المعقول ان الله عز وجل قد اختار هذه الامة العظيمة لتكون نبراساً مشعاً لحمل نور الاسلام لكل ارجاء المعمورة مالم تحمل الاساس الحضاري ولديها بوادر النهوض حتى خاطبهم القرآن على ان العرب لم تكن امة مدنية مستنيرة فحسب ، بل تمثلها امة معزولة عن غيرها من الامم .

من هنا جاءت اهمية هذه الدراسة لاظهار جانب هام من جوانب حياة العرب، بل هواهم جوانبها لما يمثله من الرقي والتقدم الذي وصل اليه العرب وبأدق تفاصيل حياته اليومية وعلى كافة الاصعدة سواءاً السياسية منها او الاقتصادية او الثقافية او الدينية ولعل ادق تعبير على ماذهبنا اليه قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) [1]وهذا القول لايدعو الى الشك الى ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اراد القول ان ماجاء به من قيم ليس منقطعاً عن

---

[1] البيهقي ، احمد بن الحسين (458هـ) ، سنن البيهقي الكبرى ، تح : محمد عبدالقادر عطا ، دار الباز ، (مكة المكرمة ، 1994) . ، 10 / 191 .

القيم التي كانت محور الفعالية الاجتماعية الايجابية قبل الاسلام.ان هذه الحقبة على الرغم مما سادها من حروب داخلية ، فقد نمت فيها قيم تعارف عليها المجتمع العربي ، وقد زكّى بعضها الاسلام واقرها،وعلى الرغم من ان تاريخ امتنا في هذه الحقبة اكتنفه بعض الغموض وهذا يعود لاسباب كثيرة يأتي في اولها عدم تدوينهم تاريخهم بسبب عدم انتشار الكتابة بشكل واسع يسمح بالتدوين ، فضلاً عن ان بلادهم كانت وقفاً عليهم فلم يستطع طامع او دخيل ان يدخل بلادهم فاتحاً ، فقد كانت الصحراء درعاً واقياً لهم ، ان اعتزاز العرب بتراثهم وبأنسابهم جعلهم يتناقلون تاريخهم في هذه الحقبة مشافهة يحفظه جيل عن جيل .ولعل الشعر العربي كان من اكثر الادلة على ماذكرنا ، فكان العرب اما شعراء او ناقلين للشعر ، حتى اوصلوه الى عصر التدوين اذ تمكن المؤرخون من تلمس الحياة العربية من جميع جوانبها .

لقد كان الاسلام نقطة تحول حاسمة في الحياة العربية ، ولكن ذلك لاينفي القول بان كل ماقدمته الامة تحت ظلال رايته الشريفة غريب عن طبعها جديد على مسيرتها ، انه صدى طموحها ، والمعبر عن هويتها الحضارية التي لم تجد وسيلة شاخصة للتعبير عنها خلال الحقب التي سبقت بزوغ نور الاسلام الا من خلال منافذ حددتها البيئة الطبيعية وما فرضته تلك البيئة من نمط النظام الاجتماعي القبلي .

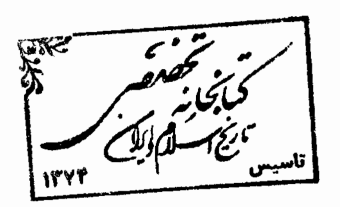
من هنا جاءت اهمية الموضوع واختياره ، ولقد واجهت الباحث صعوبات جمة منها ندرة المعلومات وشحتها فهي موزعة اشتاتاً متفرقة في بطون الكتب وهذا ما تطلب من الباحث جهود مضنية ، زد على ذلك نظرة المؤرخين الى بلاد العرب كولايات وليس كمدن ، فكانوا ينظرون الى هذه المدن الثلاث على انها بلاد الحجاز فضلاً عن وجود هاجس اليأس بعدم وجود المادة الكافية للكتابة في هذا الموضوع ، وهذا ما أعطى الباحث دافعاً معنوياً لتذليل كل الصعاب ، فالدراسة في الحياة الاجتماعية من المسائل ـ اذا حرص الباحث ان يلم باشتاتها ـ اتسعت ، ـ واذا اراد ان يحيط بتفصيلاتها ـ اعيته ، فهي تلقي على الباحث عبئاً كبيراً في كشفها وتحليل دورها وتقديره وارتباطاتها ورصد تطوراتها .

والواقع ان التغيرات الاجتماعية يصعب ضبطها وتدقيق مجرى حدوثها ، لانها بطيئة يعيشها الناس ، وقلما ينتبهون اليها او يدونون تفاصيلها وكثيراً ما يضطر المرء الى تصيدها من الجمل العابرة او يستنبطها من دراسة النصوص التي قد تبدو في ظاهرها بعيدة عن الحياة الاجتماعية من هنا فان المسؤولية كبيرة في اعناقنا في ان نجلو ماغمض من تاريخ حضارة امتنا في الحقبة التي سبقت الاسلام ، وهذا لن ينقص من قيمة الاسلام وابراز حضارة الامة التي حملته الى العالم .

ان موضوع بحثنا موغل في اعماق التاريخ وتمتد حقبة دراستنا لقرنين من الزمن تقريباً قبل ظهور الاسلام ، وقد واجهت الباحث جملة عقبات في جمع مادة البحث من تلك المصادر القليلة والمحدودة جداً ، فباستثناء الاشارات القرآنية ومايحلق بها من معلومات مثبتة في اثناء كتب التفسير ، وتكرر المصادر المعلومات نفسها ، اذ ان بعض المادة التي تخص دراستنا نجدها في مقدمة كتب التاريخ التي تتحدث عن عهد النبوة والاحداث الخاصة بالدعوة الاسلامية .

الفصل الأول

جغرافية الحجاز وأثرها في الحياة الاجتماعية



تمهيد

ان دراسة تاريخ الأمة العربية التي يعيش أبناؤها في الوقت الحاضر على امتداد الوطن العربي من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي ضرورية للتعرف الى جهود الإنسان وهو يتفاعل مع بيئته الجغرافية من اجل صنع حاضره وضمان مستقبله عبر المنجزات الحضارية .

ونظراً لأهمية البيئة الجغرافية على مجمل النشاط الإنساني ، سلباً وايجاباً ، ولان الدراسة تعنى بذلك النشاط ، ارتأينا إلقاء نظره فاحصة على الملامح الطبيعية والأحوال الجغرافية لبلاد الحجاز ، وبيان اثر ذلك على حياة سكانها .

تعد الجزيرة العربية مهد العرب ومثواهم القديم ، وهي مهد الإسلام الذي يدين به سدس سكان العالم [1] في الوقت الحاضر .

في حين يتفق الجغرافيون العرب [2] على ان الحجاز قطعة من جزيرة العرب بل هو أحد أقاليم الجزيرة العربية ، فان اللغويون قد اختلفوا في سبب تسمية بلاد الحجاز بهذا الاسم ، فقالوا : ان الحجاز هو البلد المعروف سُمي بذلك من الحَجزْ الفاصل بين الشيئين ، لانه فصل بين الغور والشام والبادية .

---

(1) الدباغ، مصطفى مراد، جغرافية جزيرة العرب ، ط1 ، دار الطليعة، (بيروت، 1963)، ط1 ، ص35 .

(2) ابن الفقيه الهمداني ، ابو بكر احمد بن محمد (290هـ) ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1883) ، ص 27 ؛ ابن رستة ، ابو علي احمد بن عمر (290هـ) ، الاعلاق النفيسة ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1891) ، ص311؛ بن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت300هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1889) ،ص28؛ الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت334هـ) ، صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الاكوع ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 1989) ، ص85 ؛ الاصطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت346هـ) ، المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ،1870) ، ص14 ؛المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله بن احمد المعروف بالبشاري (ت375هـ)،احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل ،(ليدن ، 1906)، ص69 ؛ البكري ، ابو عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت487هـ)، معجم مااستعجم ، تح : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة، 1954)، ص10 .

وقيل لانه حجز بين نجد والسراة ، وقيل : لانه حجز بين تهامة ونجد ، وقيل سمي بذلك لانه حجز بين نجد والغور ، وقال الأصمعي : لان بلاد الحجاز احتجزت بالحرار الخمس [1] منها: حرة بني سليم وحرة وأقم [2].

ان الحجاز سميت حجازاً لان الحرار حجزت بينه وبين عالية نجد الى ثنايا ذات عرق ، قال : وما احتزمت به الحرار الخمس حرة شوران وعامة منازل بني سليم الى المدينة فما احتاز في ذلك الشق كله حجازاً ... " [3].

والحجاز عند الجغرافيين جبل السراة وهو اعظم جبال العرب واذكرها ، اقبل من قعرة [4] اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام [5].

يلاحظ ان هنالك من العلماء من زعم ان المدينة (يثرب) من نجد لقربها منها، وان مكة من تهامة اليمن لقربها منها ، ويبدو ان السبب في هذا الخلاف هو ان حدود كل من نجد وتهامة ليست موضع اتفاق بين الجغرافيين العرب ، لذا ذهب بعضهم إلى ان تهامه هي الناحية الجنوبية من الحجاز [6].

غير ان اغلب الجغرافيين العرب يرون ان مكة والمدينة هما من مدن الحجاز [7].

---

[1] الحرة : ارض ذات أحجار سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . والجمع الحرات ، والحرار في بلاد العرب كثيرة ، أكثرها حوالي المدينة الى الشام ، والحرار هي : حرة شوران ، وحرة ليلى ، وحرة واقم، وحرة النار ، وحرة بني سليم . ينظر : ياقوت الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله البغدادي (ت626هـ) معجم البلدان ، دار صادر ،(بيروت ، 1977) ، 2/ 219ـ245 ، 246ـ250) . ينظر : السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت911هـ) ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار احياء التراث العربي ، ط1، (بيروت ، 1955) ، 4/ 1182 .

[2] واقم : اطم من اطام المدينة (يثرب) كانه سمي بذلك لحصانته ومعناه انه يرد عن اهله . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 354.

[3] الازهري ، ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ) ، تهذيب اللغة ، تح : عبدالكريم العرباوي ومحمد علي ابن النجار ، مطابع سجل العرب ، (مصر ، 1978) ، 4/ 122 ؛ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت711هـ) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، 1968) ، 5/ 331 (مادة حجز) .

[4] قعر كل شيء : اقصاه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 5/ 108 (مادة قعر) .

[5] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص85 .

[6] البكر، منذر،بحث في جغرافية شبه جزيرة العرب ، مجلة آداب البصرة، عدد 9، لسنة 1974 ، ص50 .

[7] الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص21 .

وتضم شبه جزيرة العرب تنوعاً جغرافياً ، ويعد اقليم الحجاز أهم أقاليم الجزيرة العربية ، فالطبيعة فيها ليست واحدة او متماثلة في جميع أرجائها ، فهناك الجبال والبوادي وهنالك الوديان الحاوية بعض المياه المتأتية من الأمطار بالدرجة الأولى ، ومن هنا نرى ان شبه جزيرة العرب صحراء شاسعة في الوسط عديمة الأنهار شحيحة المياه ، الأمر الذي يشجع على الاستقرار .

وجاءت أهمية الحجاز لوقوع مكة ويثرب [1] والطائف . ولابد من الإشارة إلى ان غالبية الجغرافيين لم يجعل الطائف ضمن أقاليم الحجاز [2].

وتضاربت أراء الجغرافيين بهذا الخصوص فمنهم من زعم ان مكة من تهامة وان المدينة من نجد [3] وذهب آخرون بالقول [4] "سمي حجازاً لانه حجز بين تهامة تهامة ونجد فمكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية" .

وبحكم موقعه الطبيعي فقد حجز بين المنطقتين النجدية والتهامية فهو حجاز حاجز بين الشرق والغرب ، ويعد حاجزاً بين الشمال والجنوب [5].

---

[1] الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص21 ؛ حتي ، فيليب وآخرون ، تاريخ العرب (مطول) ، دار غندور للطباعة والنشر ، (لبنان ، بلا. ت) ، 1/ 150؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط2 ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1956) ، 4/ 5 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، 1968) ، ص13.

[2] ارتأينا ادخال الطائف في موضوع دراستنا لاسباب ، الاول : بعض الاشارات من الجغرافيين . ينظر : الاصفهاني ، الحسن بن عبدالله (ت310 هـ) ، بلاد العرب ، تح : حمد الجاسر وصالح احمد العلي ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ط1 ، المملكة العربية السعودية (الرياض ، 1968)،ص14 . ينظر : المقدسي ، حسن التقاسيم ، ص69 . والثاني : لاهمية الطائف بالنسبة للحجاز والصلات القوية بين تلك المدن الثلاث . واخيراً : لاهميتها لموضوع الدراسة .

[3] ينظر : الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص21 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج2/ 138 ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص27 .

[4] الاصفهاني، بلاد العرب ، ص14 ؛ شيخ الربوة ، شمس الدين ابي عبدالله محمد الدمشقي(ت767هـ) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار احياء التراث العربي ، ط2 ، (بيروت، لبنان، 1998) ، ص284 . يورد(لمكة مخاليف نجدية ومخاليف تهامية . والمخلاف : الكورة او الناحية والبلاد فمن النجدية الطائف) .

[5] المسعودي ، ابو الحسن بن علي ، (ت346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها وضبطها : يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس ، ط6، (بيروت ، 1984) ، 2/ 35ـ43 ؛ ابن بكار ، الزبير (ت 256هـ) ، جمهرة انساب قريش واخبارها ، شرح وتعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1381هـ) ، ص52ـ53 .

وبذلك يعد سهل تهامة الداخل فيه حجازاً ، أي من اقليم الحجاز بدليل ان يثرب والطائف حجازيتان، ومكة تهامية ، وهن جميعهن من أمهات مدن الحجاز .

وطبيعة اقليم الحجاز متباينة فهي تشمل منطقة سهلية ساحلية (سهل تهامة) ومنطقة جبلية هي جزء من جبال السروات ومنطقة نجدية (هضبة) الحسمى وأرضها كثيرة الحرار [1] وتجري الأودية فيها .

وتسمى هضبة الحسمى هضبة الحجاز وهي كثيرة المياه وأرضيها خصبة ومن جبالها جبل ارم الذي يرتبط بقوم ارم المذكورين في القرآن الكريم بقوله تعالى "الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد" [2].

وحولها في الوادي آثار كثيرة منها معبد ، وعدد كبير من الخرائب التي اشتملت على أحجار مكتوبة بالخط المسند وآثار المباني وألواح حجرية استعملت لذبح القرابين وكمناضد لنقود الصيارفة ، مما يدل على حضارة زاهية قامت في المنطقة [3].

ومن اشهر جبال السروات في شمال منطقة الحجاز دباغ يبلغ ارتفاع قمته حوالي 2200م وجبل دفتر وشيبان ، وكذلك جبال يثرب ، ثم ينخفض ارتفاع الجبال عند مكة حتى يصل الى حوالي 200 م وعند الطائف يزداد الارتفاع حتى يصل الى 600م ، وتعد الطائف المنطقة متوسطة الارتفاع في السروات [4].

وفي الحجاز عدد من القرى والمدن ذات العمق التاريخي ، ولكننا سنذكر المدن الرئيسة فقط ، والتي كانت سبباً في شهرة الحجاز لأهميتها البارزة وهي مكة ويثرب والطائف .

---

[1] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص245؛ كحالة ، عمر رضا ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مطبعة الكتبي ، (دمشق ، بلا.ت) ، ص112، 113 ؛ وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط2 ، (مصر ، 1935) ، ص14 .

[2] سورة الفجر89 ، الآيتان 6، 7 .

[3] جواد علي ، المفصل ، 1/ 169 .

[4] القزويني ، الامام زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، 1986) ، ص 115 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر العربي ، (مصر ، 1965) ، ص13 .

ويتمتع الحجاز بأهمية تاريخية امتدت تلك الأهمية الى عهود سحيقة ، فكان للحجاز كغيره من مناطق الجزيرة العربية أهمية خاصة ومركزاً ستراتيجياً بين مراكز اعرق الحضارات القديمة في العراق ومصر والشام واليمن ، فقد عده الحكيم هرمس: الإقليم الثاني من أقاليم العالم القديم ، وذكره بطليموس في تقسيمه [1].

وينقسم الحجاز على ثلاث مناطق هي المنطقة الشمالية والمنطقة الوسطى والمنطقة الجنوبية وتمتد المنطقة الشمالية من العقبة إلى يثرب ، وتشمل مدن الحجاز الشمالية وتليها المنطقة الوسطى التي تمتد الى الطائف ، وهذه المنطقة لها أهمية خاصة ، لانها تشمل اهم مدن الحجاز ومنها يثرب ، وميناؤها الجار ثم ينبع ، ومكة وميناؤها الشعيبة ثم جدة ، ثم المنطقة الجنوبية الممتدة من جنوب الطائف الى الليث وتشمل جبال الحجاز الاكثر ارتفاعاً [2].

ولقد ورد الحجاز في كثير من أشعار الشعراء قبل الإسلام ، فقال عنترة بن شداد :

فبالله يا ريح الحجاز تنفسي   على كبدٍ حَرىَ تذوبُ من الوَجدِ [3]

وقول لبيد بن ربيعه :

مُرّية حَلّتْ بفِيدَ وَجاَورَتْ   أهلَ الحجازِ فأين مِنْك مَرامُها [4]

---

[1] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص44ـ 47 .

[2] أبن خميس ، عبدالله بن محمد ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، (الرياض ، 1970) ، ص329 .

[3] ديوان عنترة بن شداد ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص133 .

[4] شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، (بيروت، بلا. ت) ، ص167 . ينظر : الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص86ـ88 .

المبحث الأول

مكـــــــة

وهي من مدن شبه جزيرة العرب السحيقة في القدم ، ومن العسير معرفة الزمن الذي نشأت فيه على وجه التحديد ، فتاريخها القديم يكتنفه الغموض ويطغي عليه الطابع القصصي ، وان الروايات عن تاريخ مكة جاءت متأخرة تعود الى العصور الإسلامية ، وقد اعتمد المؤرخون في رواياتهم على ما ورد في التوراة والقرآن الكريم فيما يتعلق ببناء الكعبة التي هي اساس نشوء مكة [(1)] .

ومكة ذات سمة جغرافية تختلف عن بقية اقاليم الارض كافة ، وقد خصها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بصفات كثيرة من حيث جغرافيتها واسمها ، فضلاً عن خصوصيتها الدينية قبل الاسلام ، اذ تحيطها الجبال من اغلب جهاتها و "مكة قد خطت حول الكعبة في شعب واد لها ثلاثة نظائر ، عمان بالشام واصطخر بفارس ، وقرية الحمراء في خراسان" [(2)].

ويبلغ طول الوادي من الشمال الى الجنوب حوالي ميلين ، وعرضه حوالي ميل ، ووادي مكة المبارك يقع بين الجبال ذات الصخور البركانية ويسمى بطن مكة [(3)].

ويصفها ابن جبير [(4)] "هي بلدة قد وضعها الله عز وجل بين جبال محدقة بها وهي بطن وادٍ مقدس كبير مستطيلة ، تسع من الخلائق مالا يحصيه الا الله عز وجل".

[(1)] الازرقي ، ابو الوليد محمد بن عبدالله (ت 244هـ) ، اخبارمكة وما جاء فيها من الاثار ، تح : رشدي الصالح ملحس ، دار الاندلس ، مطابع ماتيو كرومو ، (اسبانيا ، بلا . ت) ، 1/ 36 ؛ مبروك ، نافع محمد ، تاريخ العرب عصر ماقبل الاسلام ، ط2 ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ،1952) ،ص122 .

[(2)] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص71 .

[(3)] الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 36 .

[(4)] ابن جبير ، ابو الحسن محمد احمد ، تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار المعروف بـ (رحلة ابن جبير) ، دار التحرير ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص90 .

ان هذه الميزة الجغرافية جعلتها "منطقة وعرة تسلكها الخيول والابل وغيرهما من خلال ممرات واضحة المعالم تقتصر اولهما : من جهة المعلاة ، والثانية : من جهة المسفلة ، على ان لشعابها طريقاً سالكاً للراجلة و للخيول والاحمال "[1].

ويحيط بمكة الجبال من جميع الجهات،ولاهمية الجبال المحيطة بمكة ، فقد شكل جبل ابي قبيس وقعيقعان اهم جبال مكة ، وبناؤها من حجارة سود وبيض ململموس وعلوها اجر كثير الاجنحة من خشب الساج وهي طبقات لطيفة مبيّضه [2] ، ولم تكن هذه الجبال مفرطة بالشموخ ، والاخشبان* ، ومن جبالها جبل ابي قبيس الذي يقع في جهة الجنوب من مكة ، وجبل قعيقعان ويقع في جهة الغرب ، وفي الشمال منها الجبل الاحمر ، ومن جهة ابي قبيس اجياد الاكبر واجياد الاصغر،وهما شعبان الخندمة ** ، والمناسك كلها منى وعرفة والمزدلفة بشرقي مكة المشرفة [3].

واحاط بالمسجد الحرام جدار قصير غير مسقف ، وكان الناس يجلسون حول المسجد بالغداة والعشي يتبعون الافياء ، فاذا قلص الظل انفضت تلك المجالس[4].

ومن جبال مكة ، فضلاً عن ابي قبيس الجبل الاعظم الذي يشرف على المسجد الحرام وجبل قعيقعان ، جبل فاضح ، وجبل المحصب ، وجبل ثور ، والحجون، وسقر ، وحراء ، وثبير ، والمطابغ ، والفلق [5].

---

[1] النهروالي ، الشيخ قطب الدين ، اخبار مكة المشرفة ، مطبعة خياط ، (بيروت ، 1964) ، ص13 .

[2] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص71 .

* الاخشبان : وهما قعيقعان وطولهما من الاعلى الى المسفل نحو ميل وعرضهما من اسفل اجياد الى قعيقعان نحو ثلثي ميل . والاخشبان ابي قبيس والاحمر . ينظر : شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص283؛ الزمخشري ، محمود بن عمر (528هـ)، الامكنة والمياه والبقاع ، تح : ابراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون ، (بغداد ، 1968)، ص78 .

** الخندمة : جبل منه بنيان الكعبة . ينظر : الزمخشري ، الامكنة والمياه والبقاع ، ص81 .

[3] الطنجي ، ابو عبدالله بن ابراهيم الطنجي (المعروف بابن بطوطة) ، تحفة النظار في غرائب الامصار المعروف بـ (رحلة ابن بطوطة) ، شرح : طلال حرب ، دار احياء الكتب العلمية ، (بيروت ، 1987) ، ص154 .

[4] الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 69 ؛ المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص71 .

[5] اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (284هـ) ، البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1891) ، ص314 . ينظر : القزويني ، الامام زكريا بن محمد بن محمود (682هـ) ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، 1986) ، 110 ، 112 ، 117 .

ومن خلال هذا السور الجبلي الذي احاط بمكة فقد تحددت رقعتها ومداخلها وصار لها منافذ ، فضلاً عن ان هذه الجبال شكلت اهمية كبيرة في حياة اهل مكة سواء الدينية ام الاجتماعية ، ام السياسية ، ام العمرانية ، فمنها بُني اصل مكة البيت الحرم ، واليها لجأ كبار قريش لدعوة الهتهم عند حلول المحن والمصائب ، والى الجبال لجأ الزاهدون والنساك في عبادة الاوثان للتأمل والتعبد ، زد على ذلك فان بعض الجبال ارتطبت بالمشاعر الدينية المقدسة ، مثل جبل الرحمة في عرفات [1]، كما في قوله تعالى "ان الصفا والمروة من شعائر الله" [2].

ولم يعرف المكيون الزراعة بسبب طبيعة ارضهم ، وقد ذكر القرآن الكريم على لسان النبي ابراهيم عليه السلام ، ان مكة كانت وادياً غير ذي زرع فسأل ربه قائلاً "ربنا اني اسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" [3].

لقد منعت تلك الظروف المكيين من مزاولة الزراعة ، فامتهنوا التجارة ، حتى اصبحت التجارة والضرائب التي كانت تجبى على القوافل المارة بمكة اهم مورد المكيين ومعاشهم [4].

وعانى اهل مكة من شحة مياهها وقلتها ، مما دعا بعض الاخباريين الى تفسير اسم مكة بانها مشتقة من (مك) لقلة مائها [5]. وعندما تولى قصي بن كلاب رئاسة

---

[1] ينظر : الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 36 ؛ الفاسي ، محمد بن احمد بن علي المكي (832هـ) ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1956) ، 1/ 280 .

[2] سورة البقرة 2 ، الآية 158 .

[3] سورة ابراهيم 14 ، الآية 37 .

[4] سالم ، السيد عبدالعزيز ، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ العرب قبل الاسلام) ، مؤسسة شباب الجامعة ، (مصر ، بلا.ت)، 1/ 301 .

[5] في اسماء مكة ينظر : سورة الفتح 48، الآية 24 ـ آل عمران 3، الآية 96 ـ الشورى42 ، الآية 7ـ سورة إبراهيم14 ،الآية 37. وينظر ايضاً : ابن هشام ، ابو محمد عبدالملك (218هـ) ، السيرة النبوية ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، دار الفكر ، (بيروت ، 1986)،1/ 114 ومابعدها ؛ ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،1/ 283ومابعدها ، الفاسي ، شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام ،1/ 47ـ48 ؛ الخضراوي ، احمد بن محمد ، العقد الثمين في فضائل البلد الامين ، تح : كاظم الشيخ جواد الساعدي ، مطبعة القضاء،(النجف ، 1958) ، ص29 ومابعدها.

رئاسة قريش حفـــر بمكة بئراً يقـال لها العجـــول ، كـان العـرب يردونهـا عنـدما يقدمون الى مكة [1].

ولمكة مرفأ على ساحل البحر الاحمر هـو الشـعيبة (جـدة) يبعـد عنهـا مسـافة مرحلتين [2].

المناخ

تقع مكة في منطقة جافة اذ ان مناخها حار في فصل الصيف [3]وتشتد الحرارة وسرعة الرياح في اثناء النهار فتكاد تخمد الانفاس "يكون بالحرم حـــر عظـيم وريـح تقتل" [4].

لذا اصبحت تلك المنطقة جدباء وشحيحة المياه ، وترتفـع درجـات الحـرارة في مكة ارتفاعاً شديداً بتأثير المرتفعات الصخرية المحيطة بها [5].

وقد ورد في القرآن الكريم ما يستدل به على شدة الحرارة بقولـه تعـالى : " والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال اكناناً وجعـل لكـم سـرابيل تقـيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" [6].

مما جعل اهل مكة يعتمدون على مياه الابار ، وكان مـن اشـهر ابـار مكـة بئـر زمزم ، والتي اعاد حفرها عبدالمطلب بن هاشم ، فضلاً عن ابار اخـرى ، ولكـن بئـر زمزم عفت على بقية ابار مكة كلها [7] وذلك لمكانها من البيـت والمسـجد وفضـلها على ماسواها لانها بئر اسماعيل عليه السلام .وعلى الرغم من وجود هذه الابار الا

---

[1] البلاذري ، احمد بن يحيى (ت279 هـ) ، انساب الاشراف ، تح : محمد حميدالله ، دار المعـارف ، (مصـر ،1959) ،1/ 51 . ينظر : الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 112_113 .

[2] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،3/ 351 .

[3] ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص18 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،5/ 188 .

[4] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص95 .

[5] وهبة ،حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص15 .

[6] سورة النحل 16 ، الآية 81 .

[7] من ابار مكة كرادم وبئر رم وبئر خم والعجول وبذر وسجلة والطوي ، وهذه الابار كانت موجودة قبل حفـر زمـزم . اما الابار التي حفرت بعد زمزم بئر حويطب وبئر خالصة وبئر زهير . الازرقـي ، اخبـار مكـة ، 2/ 218ــ224 . ينظر: القزويني ، عجائب المخلوقات . حيث يورد مجموعة من الابار ،ص132_135 .

ان مياهها كانت مالحة ، وهذه الصفة تزول في فصل هطول الامطار ، اذ يخفف ماء المطر غلظتها [1].

ان هذا المناخ القاسي والحرارة العالية حدى بسكان مكة الى اللجوء الى الظلال والى اكناف الجبال التي تحيط بمكة للاحتماء بها من الحر كما اسلفنا، ومثلما كان للجبال تأثيرات ايجابية كان لها تأثيرات سلبية على سكان مكة ، خصوصاً عند هطول الامطار ، فمن المعروف ان مكة تحيط بها الجبال الصخرية الشاهقة ، فقلما ينفذ الماء اليها فيذكر الازرقي [2] "فاذا هطلت الامطار بشدة انحدرت المياه من الجبال والوديان بسرعة فتكونت فيها سيولاً لاتنساب في ازقتها وشوارعها من ناحية الابطح واجياد" ، واستغلت رمال مكة الشديدة الحرارة من قبل المشركين كوسيلة لتعذيب المسلمين في بداية الدعوة الاسلامية فكانوا "يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش برمضاء مكة اذا اشتد الحر" [3].

ومن اثار ارتفاع درجات الحرارة هو تأثيرها على العين وتكثر من الذباب وهذا مايفسر الى ماذهب اليه ابن رسته من كثرة العميان في مكة [4] ، وقد يكون ابن ابن رستة مبالغاً بعض الشيء في تأثير ارتفاع درجات الحرارة الى الذهاب بالنظر ، فلو كان ما ذهب اليه ابن رستة صحيحاً لكان سكان خط الاستواء جميعهم من العميان؟.

اما الامطار فكانت تسقط في فصلي الخريف والشتاء وتشح الامطار احياناً فتصيب اهل مكة سنة جدب ، وقد تستمر لحقب طويلة ، وهذا ما دعا بعض الاخباريين الى تفسير اسم مكة بانها مشتق من قلة مائها ، واحياناً تكون الامطار غزيرة حتى انها تكون سيولاً قوية فتنحدر من الجبال الى الوديان والشعاب لقوتها

---

[1] الازرقي ، اخبار مكة ،1/ 113 .

[2] اخبار مكة ، 2/ 166 ، هامش(2) ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، 2/ 260 .

[3] الزبيري ، ابي عبدالله المصعب بن عبدالله (ت236هـ) ، كتاب نسب قريش ، شرح وتصحيح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، ط2، (مصر ، بلا.ت) ، ص208 ؛ ابن هشام، السيرة النبوية ، 1/ 317 .

[4] ابن رستة ، الاعلاق النفيسة ، ص224 . ينظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ،ص95 .

وهذا مايهدد العمران والحياة غالباً ، وتنقل هذه السيول معها الاوبئة في بعض الاحيان [1] .

وقد تناول القرآن الكريم هذه الحالة بقوله تعالى "وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حباً فمنه يأكلون ، وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وماعملته ايديهم افلا يشكرون" [2] .

واقدم السيول المخربة سيل حدث في زمن الجرهمين فدخل البيت فانهدم ، فاعادته جرهم ، وسيل اخر في عهد خزاعة فتدفقت مياهه داخل المسجد الحرام واحاطت بالكعبة ويعرف هذا السيل بسيل قارة [3] .

كانت هذه السيول جارفة اذ شكلت تهديداً لعمران مكة ومصدر خطر على الناس ، فيذكر ابن هشام ان مرضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حليمة * السعدية قالت لامه "لو تركت بُني عندي حتى يغلظ فإني اخشى عليه وباء مكة" [4] .

لقد كان لهذا الجفاف والمناخ الحار اثره السلبي الكبير على الحياة الاجتماعية والسياسية في شبه الجزيرة العربية واعاق نشوء المجتمعات الكبرى بها .

سكان مكة ومنازلها

سكنت مكة قبائل عدة . يذكر لنا المؤرخون بعض اسمائها بلا ذكر معلومات دقيقة عنها سوى بعض الاساطير والقصص الشعبي [5] .

---

[1] البلاذري ، فتوح البلدان ، نشره ووضع ملاحقه : د. صلاح الدين المنجد ، دار طباعة مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، 1956) ، ص66 ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 166 .

[2] سورة يس36 ، الآية 33ـ35.وينظر: سورة المؤمنون 23 ، الآيتان 18ـ19 ؛ سورة عبس 80 ، الآيات 24ـ32 .

[3] الازرقي ، اخبار مكة ،2/ 166ـ167 . ويضيف ان مكة تحيط بجبال صخرية شاهقة فلما ينفذ الماء اليها ، فاذا اهطلت الامطار بشدة انحدرت المياه من الجبال الى الوديان بسرعة فكونت سيولاً تنساب في ازقتها وشوارعها من ناحية الابطح واجياد . كذلك ينظر : الفاسي ، شفاء الغرام ، 2/ 260 .

*حليمة ابنة ابي ذؤيب امرأة من بني سعد بن بكر وابو ذؤيب عبدالله بن الحارث بن نصر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان .

[4] ابن هشام ، السيرة النبوية ،1/ 164 .

[5] ماجد ، عبدالمنعم، التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط2، (1971) ، ص77 .

وان الروايات عن سكان مكة في العصور القديمة جاءت مضطربة في بعض الاحيان فالمؤرخون لم يذكروا التسلسل التاريخي لتلك القبائل .

ان عدداً من رواة التاريخ يقولون ان العمالقة هم اول من استوطن مكة ، وهم من العرب البائدة [1] . فنسبوهم الى "عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح" [2].

وانتشر هؤلاء العماليق في البلاد وسكنوا الحجاز وعتو عتواً كبيراً فلم يزل بهم البغي والاسراف على انفسهم والالحاد بالظلم واظهار المعاصي والاضطهاد لمن قاربهم حتى حبس الله عنهم المطر وسلط عليهم الذر فخرجو من الحرم ، وبخروجهم كان هلاكهم منه تعالى [3].

ثم سكنتها قبيلة جرهم الثانية [4]وتتفق الروايات على ان هذه القبيلة قد اقامت بمكة مع اسماعيل عليه السلام ، وهو يتولى امر البيت الحرام ، لقد حلت جرهم محل العماليق في ظروف غامضة [5] وهم من قحطان وقد صهر اليهم اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وحكمت جرهم في مكة الى ان خرجت خزاعة جرهماً وحكمت خزاعة في مكة ، وارتحل بعض جرهم بعيداً . وخرجت بقية منها الى ضواحي مكة ، وبقي الاسماعيليون مع خزاعة في مكة على الحياد التام . واقام بعض بني كنانة حول وادي مكة ايضاً [6]. ثم غلبت جرهم على البيت ، فكانوا ولاته

---

[1] القلقشندي ، ابي العباس احمد (ت821هـ) ، نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تح : ابراهيم الابياري ، الشركة العربية للطباعة ، (القاهرة ، 1959) ، ص ص211،150.

[2] ابن هشام،السيرة النبوية،1/ 7.ينظر:القلقشندي، نهاية الارب،ص151؛ ابن رستة،الاعلاق النفيسة،ص37 .

[3] الازرقي، اخبار مكة،1/ 90 ويذكر(كانوا يكرون بظل ويبيعون الماء) . ينظر:القلقشندي، ابي العباس احمد(ت821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، بقلم الشيخ: محمد عبدالرسول،المطبعة الاميرية، (مصر ، 1963) ، 4/ 261 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 159 ؛ ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص27 .

[4] جرهم قبيلة من العرب البائدة، كانوا على عهد عاد فبادوا.القلقشندي،نهاية الارب،ص211؛ اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت 284 هـ)، تاريخ اليعقوبي، دار صادر،(بيروت ، بلا.ت) ، 1/ 222.

[5] السباعي ، احمد ، تاريخ مكة ، مطابع دار قريش ، ط3 ، (مكة المكرمة ، 1385هـ) ، ص16 .

[6] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 111ـ113 ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،1/ 81ـ82 .

وكان اول من ولى جرهم البيت مضاض الذي يقول :

وكنا ولاة البيت من بعد نابت   نطوف بذاك البيت والخير ظاهر

ينظر : الطبري ، محمد بن جرير (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك ، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (مصر ، 1960) ، 2/ 284 .

وحجابه واولي الامر بمكة في الوقت الذي تنازعهم ذرية اسماعيل عليه السلام ، هذا الامر لخولتهم وقرابتهم واعظاماً للحرمة .

واستمرت ولاية جرهم للبيت حسب روايات الاخبارين ثلثمائة سنة [1] . واستخفوا بامر البيت ، وبغوا بمكة ،واستحلوا حرمتها ، واكلوا مال الكعبة الذي يهدى اليها ، وظلموا من دخلها ، وارتكبوا فيها المعاصي ثم لم يتناهوا عن ذلك [2]، بعد ذلك استقر الامر في مكة لقبيلة جرهم الثانية القحطانية ، وكانت منهم جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاض الجرهمي وهي ام فهر بن مالك بن النضر الذي تنتسب اليه قريش [3]، ولما كانت مكة لاتقر لظالم [4] ولايستحل حرمتها ملك الا هلك حبس الله عنهم المطر وسلط عليها الرعاف والذر [5] .

وتذكر الروايات ان ثعلبة العنقاء * بن عمرو طلب من جرهم الاقامة الى جانبهم بمكة فابت جرهم ان تتركه طوعاً فاقتتل الطرفان حتى انهزمت جرهم ولاذت

---

(1) المسعودي ، مروج الذهب ،2/ 22 ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، 1/ 132 .

(2) ابن هشام ، السيرة النبوية ،1/ 113 ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،1/ 88ـ90 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 284 .

(3) ابن الكلبي الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب (ت204هـ)، جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، مكتبة النهضة العربية ، (بيروت ، 1986) ، ص22 .

(4) سميت مكة لانها كانت تمك من ظلم فيها والحد أي تهلكه.ابن منظور، لسان العرب،10/ 491،مادة (مك).

(5) ابن منبه ، وهب (ت110هـ) ، التيجان في ملوك حمير ، تح : مركز الدراسات والابحاث اليمنية ، صنعاء ، (اليمن، بلا. ت) ، ص292 . ويورد عمرو بن انيف الغساني قائلاً :

لما هبطنا بطن مر تخزعت — خزاعة منا في بطون كراكر

حمت كل واد من تهامة واحتمت — بيضّ القنا والمرهفات البواتر

بطن مر : بالحجاز بالقرب من عسفان وبينهما اربعة وثلاثون ميلاً وهي قرية عظيمة كثيرة الاهل حسنة المنازل كثيرة النخل والزرع فيها ، وبطن مر متسع وفيه قرى كثيرة وعيون ومنه تجلب الفواكه الى مكة = = ينظر : الحميري ، محمد عبدالمنعم الصنهاجي (ت727هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح : احسان عباس ، مطبعة هيد لبرغ ، (بيروت ، 1984) ، ص93 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، 4/ 260 .

تخزعت : تخلفت ـ الحلول : النزال ـ الكراكر : الجماعات . القلقشندي ، صبح الاعشى ، 4/ 260.

ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص119 .

* العنقاء : بعد انهيار سد مأرب هاجرت قبيلة الازد من اليمن وتزعمها في هجرتها عمرو بن مزيقياء بن عامر وبعد هلاكه تولى القيادة ابنه ثعلبة العنقاء بن عمرو حتى انتهى بها الى مكة ، وكان من اولاده ثعلبة العنقاء وابو حارثة وعوف وعلبة ومالك ووداعة وعمرو وقيس وعبيد ، وامهم مارية ذات القرطين . =

بالحرم ، ثم اقامت قبيلة الازد بمكة وما حولها فاصابتهم الحمى وعانوا من شدة العيش فشخصوا عنها وانخزعت خزاعة بمكة [1] .

استمرت جرهم تلي امر مكة حتى بلغ من خزاعة عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو الذي استعان ببني اسماعيل وقاتل جرهماً ونفاهم من مكة وتولى حجابة البيت بعدهم [2] كان ذلك في مطلع القرن الثالث [3] وبذلك خرجت جرهم عن مكة وخرج معهم ابناء اسماعيل عليه السلام وتفرقوا حول الكعبة وفي تهامة [4].

اخذت مكة بالتطور على يد زعيمها من خزاعة عمرو بن لحي ، فعمل على تنشيط مجمل حياتها بعد ان كانت جرهم تعتدي على القوافل والتجار والحجاج ، فاصبح عمرو بن لحي اشهر من حكم مكة من خزاعة ، حتى بلغ منزلة رفيعة وبلغ من الشرف في العرب مالم يبلغ عربي قبله ، فكان قوله فيهم ديناً متبعاً ، فهو اول من غير الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام ونصب الاصنام حول الكعبة [5].

واستمرت ولاية البيت بيد عمرو بن لحي واولاده من بعده حوالي ثلثمائة سنة حتى كان اخرهم حليل بن حبشيه بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي الذي زوج ابنته حبّى من قصي بن كلاب [6] يقول الشاعر

ياعمرو لاتظلم بمكة	انها بلـــد حــــرام
سايل بعاد اين هم	وكذاك تخترم الانام
وبني العماليق الذين	لهم بها كان السوام

=ينظر : وهب بن منبه ، التيجان ، الصفحات ، 290،283،274،273 .

(1) وهب بن منبه ، التيجان ، ص279 ومابعدها ؛ الازرقي ، اخبار مكة ،1/ 83 ومابعدها .

(2) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت204هـ)، كتاب الاصنام ، تح : احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة ، 1941) ، ص8 .

(3) ضيف ،شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني امية ، دار المعارف ، (مصر ، 1979) ، ص147 ؛ سيديو ، خلاصة تاريخ العرب ، ترجمة : علي باشا مبارك ، مطبعة محمد افندي ، (مصر ، 1309هـ) ، ص 34 .

(4) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 285 .

(5) ابن الكلبي ، كتاب الاصنام / ص8 ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 100 .

(6) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 117 ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 100ـ101 .

وظلت خزاعة قائمة على ولاية البيت الى ان ظهر قصي بن كلاب وانتزع ولاية البيت من خزاعة في منتصف القرن الخامس الميلادي [1].

من خلال ما تقدم يتضح ان هذا الترتيب للقبائل التي سكنت مكة ووليت امر البيت ، قد يكون مرتبكاً بعض الشيء ، فقد اغفل هذا الترتيب عن ذكر بعض القبائل التي وليت امر مكة ، ومن هذه القبائل طسم وجديس ، ونلمس من خلال الروايات التاريخية التي لدينا عدة احتمالات اولاً: ان طسم وجديس قبائل لم يكن لها دور بارز في تاريخ مكة لذلك اغفلها المؤرخون اما الاحتمال الثاني : فيبدو ان هناك قبيلتين تحملان اسم جرهم كانت الاولى في زمن اسماعيل عليه السلام وبعد جرهم الاولى ، سكنت قبائل اخرى لم تصل الينا اية معلومات عنها، والاحتمال الاخير هو يمكن ان تكون هذه القبائل قد بادت وانقرضت كما ورد عند الازرقي قائلاً : "ان مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض كان يحذر قومه من المصير الذي اصاب طسم وجديس" [2].

قبيلة قريش

مع اننا لا نملك نصاً عن حقبة ماقبل الاسلام يذكر لنا اسم قريش(اهل مكة) وكذلك لم تذكرها كتب اليونان او الرومان ، ولكن هذا لاينفي وجود قريش قبل ان يجمعها قصي ، فقد ورد ذكرها في النصوص الجنوبية القديمة ، ففي عهد الملك الحضرمي (العز بن العز يلط) الذي حكم في القرن الاول قبل الميلاد ، وقيل حكم في القرن الثالث الميلادي ، وهذا هو الارجح عندما نعتمد على ما ورد في هذا النص الذي يفيد ان الملك العز استقبل ضيوفاً ارامیين ، ومن تدمر ومن الهند ، وذكر ان عشر نساء قريشيات كن في معية الملك عند زيارة (حصن انود) وان كاتباً يدعى (حبسل قرشم) وكلمة قرشم او قريشم هي قريش ، مما يوحي بان الكاتب كان من

---

[1] سيديو ، تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط2 ، (مصر ، 1969) ، ص44 ، الشريف ، احمد ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص194 .

[2] اخبار مكة ، 1/ 90_91. وينظر : المسعودي ، مروج الذهب ، 2/ 25 ؛ ابن هشام، السيرة النبوية ،1/ 7 .

قبيلة قريش [1] والتي هي محور دراستنا ، لذا سنتناولها بشيء من التفصيل ، كذلك فانها تعد التاريخ الحقيقي لمكة ، وان تاريخ بني اسماعيل عليه السلام منذ وليت جرهم امر البيت حتى عهد قصي بن كلاب يتنابه الغموض ولا يعرف المؤرخون كيفية ملء هذا الفراغ ، فلم ينتزع لهم شمس فوق افق التاريخ الحقيقي الا في عهد قصي بن كلاب في منتصف القرن الخامس الميلادي [2].

ومن الملاحظ كذلك ان الحقبة التي سبقت هذه الحقبة أي القرن الثالث الميلادي ينتابها شيء من الغموض لا تعدو اكثر من اسلوب قصص ، فمن المعروف ان مكة المهد الاول الذي ترعرع فيه بنو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ومكان نشأتهم ، فلما تكاثروا ضاقت عليهم مكة ، ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، واخرج بعضهم بعضاً ، فانتشروا في البلاد الا من اقام حول مكة من ولد نزار تبركاً بالبيت الحرام [3].

فكانت منازل مضر بن نزار بن معد بن عدنان في حيز الحرم الى السروات [4] ومادونها من الغور [5] . ثم تنافس اولاد مضر فيما بعد على المنازل مما ادى الى انتشار اولاد مدركة بن الياس بن مضر في تهامه وما والاها من البلاد فصارت منازلها بناحية عرفات [6] وعرفه [7] وبطن نعمان [8]، ورحبل [9] وكبكب [10].

---

[1] محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة ، 1997) ، ص409_410 ؛ جواد علي ، المفصل ، 2/ 143_145، 4/ 23 .

[2] محمد بيومي مهران ، تاريخ العرب القديم ، ص399 .

[3] ابن الكلبي ، الاصنام ،ص 6؛ البلاذري ، انساب الاشراف ،1/ 8 .

[4] السروات : هي اعظم جبال بلاد العرب وهي مابين جرش والطائف . ينظر : البكري ، معجم ماastعجم ،3/ 730 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص314 .

[5] الغور : تهامة . البكري ، معجم ماastعجم ، 3/ 1008 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 217 .

[6] عرفات : حدها من الجبل المشرف على بطن عرفه الى جبال عرفه . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 104 .

[7] عرفه : وادي بحذاء بين مكة والطائف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 293 .

[8] بطن نعمان : وادي بين مكة والطائف . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 293 .

[9] رحبل : منزل بين مكة والبصرة . ينظر : البكري ، معجم ماastعجم ،2/ 645.

[10] كبكب :الجبل الاحمر الذي تجعله خلف ظهرك اذا وقفت بعرفات . البكري ، معجم ماastعجم ،3/ 1112 .

اما ولد النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة فقد اقاموا حول مكة وماوالاها [1].

وقريش من ابناء اسماعيل (عليه السلام) وهي من القبائل العدنانية ، والاشهر ان تسمية قريش اطلقت على ابناء فهر بن مالك بن النضر بن كنانة [2].

وكانت قريش متفرقة في بني كنانة تسكن شعاب مكة وجبالها [3].

وعندما نذكر ان التاريخ الحقيقي لمكة يبدأ من قصي بن كلاب ، فاننا نعني ان المدة التي سبقت عهد قصي بن كلاب كانت حقبة غامضة ولم يصل الينا الكثير من اخبارها وماوصل الينا قليل ، ونقلت عن رواة اسلاميين ، ومن ثم فانها قد تكون غير دقيقة هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى منذ ان تولى قصي الزعامة اخذت مكة في طور التحضر والاستقرار في شؤون الحكم والاقتصاد حتى اصبحت زعيمة الجزيرة العربية في نهاية القرن السادس ، ولانعني بهذه العبارة ان مكة كانت قبل هذه الحقبة في طور البداوة ولكن الذي نعنيه ان تطوراً تدريجياً وواضحاً قد اصاب مكة وحسب مقتضيات الاستقرار فيها . ولعل اهم مايميز ذلك العصر فضلاً عما ذكرناه انه العصر الذي تبدأ به السيادة القرشية على مكة بقيادة قصي بن كلاب ، بعد ان ازاح الخزاعيين عن مكة ، اسكن قومه الحرم في بطحاء مكة . وكانوا قبل ايام قصي يعظمونها ويحرمون بناء البيوت فيها مع بيت الله ، وكان السكن في جبال مكة واوديتها في العهود التي سبقت عهد قريش [4] وبعد ان دخلت قريش مكة وجمع قصي قبائلها تحت لوائه بعد التفرق والتشتت في ضواحي مكة لم تبرحها قط [5] بعد بعد ان كانت قريش خارج مكة في الشعاب ورؤوس الجبال وكانوا يدخلون مكة نهاراً حتى اذا امسى القوم خرجوا الى الحل لانهم استحرموا اصابة الجناية وغيرها في

---

[1] البكري ، معجم مااستعجم ، 1/ 89 .

[2] الكلبي ، جمهرة النسب ، ص18ـ22 ؛ الزبيري ، نسب قريش ، ص12 .

[3] الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 104 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 49 .

[4] العمري ، ابن فضل الله (ت749هـ) ، مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تح : احمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، 1924) ، 1/ 13 .

[5] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 1/ 237 .

مكة ، وكذلك الدخول اليها على الجناية اعظاماً لها وللكعبة وصيانة لهما [1].ان قصياً انزل قريشاً البطاح داخل مكة وانزل قريش الظواهر مكانهم [2]، فرتب قصي قريشاً على منازلها في النسب فقريش البطاح ، وهم الذي نزلوا الابطح بين اخشبي مكة [3] وهم منحدرون من كعب بن لؤي في عدة بطون [4]:-

اولاً :بنو قصي بني كلاب وهم بنو عبد مناف ، وبنو عبدالعزى ، وبنو عبد الدار ، وبنو عبد بن قصي .

وبعدما اسكن قصي بن كلاب اهل مكة في بطاح وظواهر ، فقد اسكن قريشاً حول الكعبة وقَسم الوادي بينهم ، فنالت قبيلته الشرف الاسمى بان عَظمها العرب وبدأ قصي بنفسه اعداد الوادي لبناء البيوت وسكناها فاقتطع الاشجار الشوكية ، بعد ان هاب الناس قطع شجر الحرم وشوكه [5] وكان لحياة قصي في ارض الشام قد اعطاه فرصة الاطلاع على المدن الشمالية مما اعانه على تخطيط مكة ، وقد اعتمد خطة رباعية في تقسيم الوادي اذ "اقتطع مكة ارباعاً" [6].

هكذا بنى قصي داره (دار الندوة) واختط لقريش دورها فكانت خطة الدور ثنائية فقد كانت بين كل دارين طريق تفصل بينهما ليكون مسلكاً ينفذ منه الى المطاف [7].

---

(1) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 1/ 239؛ البكري ، معجم مااستعجم ،1/ 89؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، 2/ 72 .

(2) البلاذري ، انساب الاشراف ،1/ 51. وذكر ايضاً (لما قسم قصي مكة انزل جميع قريش مكة ثم ان بني كعب في لؤي لما كثروا ، اخرجوا بطوناً من قريش الى ظواهر مكة) .

(3) ابن سعد ، محمد بن منيع (ت 230 هـ) ، الطبقات الكبرى ، تقديم : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت، بلا. ت) ، 1/ 7 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 413 مادة (بطح) ويورد :

فلو شهدتني من قريش عصابة قريش البطاح لا قريش الظواهر

ينظر : جواد علي ، المفصل ، 4/ 27 .

(4) الفاسي ، شفاء الغرام ، 2/ 62 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1/ 444 .

(5) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 71 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 258 .

(6) البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 50 ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 258 ؛ ابن كثير ،ابو الفداء الدمشقي (ت774هـ) ، البداية والنهاية ، تح : احمد ابو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، ط4 ، (بيروت ، 1988) ، 2/ 194 .

(7) العصامي ، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك (ت1111هـ) ، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، 1380هـ)، 1/ 162 ؛ النهروالي ، اخبار مكة المشرفة ، 3/ 46 .

ونظراً لوجود اخشبي مكة (قعيقعان وابي قبيس) فقد تحددت منازلهم شكلاً هلالياً يميل الى الاستطالة ، فسكن بنو قصي في بطن وادي مكة وكل بطون قريش البطاح ومن ضاق به الوادي من غيرهم فقد سكن شعاب الجبال [1].

اذ كانت لهذه الشعاب اهمية كبيرة في بداية الدعوة الاسلامية كما ذكرنا انفاً، اذكانت مسرحاً لاحداث تاريخية ، وقد حفظت لنا كتب السيرة اسماء هذه الشعاب مثل شعب ابي طالب وشعب بني عامر [2].

اما قريش الظواهر فقد تم تقسيم سكنهم على اساس ان يختص كل فريق بجزء من الكعبة الذي يقابل منازلهم فالركن اليماني لبني مخزوم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وشق الحجر وهو الحطيم لبني عبدالدار ولبني اسد بن عبدالعزى وبني عدي بن كعب [3].

مما تقدم يتضح ان منازل قصي وبنو عبدالدار في كوثى [4]وسكن بنو عبد مناف في المعلاة ونزل بنو مخزوم وبنو تيم في اجيادين (اجياد الصغير والكبير) ، ونزل بنو جمح في المسفلة ولبني سهم الثنية ، يليهم بنو عدي اسفل الثنية [5].

ثانياً : سائر بني كعب بن لؤي ، وهم بنو زهرة ، وتيم ومخزوم ، وجمح وسهم (ابنا عمرو بن هصيص بن كعب) وبنو عدي بن كعب ، وبنو عدي بن كعب ، وبنو حسل بن عامر بن لؤي [6]. وقد دخل مع قريش البطاح غيرهم مثل بنو هلال بن ضبة رهط ابي عبيدة عامر بن الجراح ورهط سهل وسهيل ابني البيضاء [7] . وقد

---

(1) البلاذري ، انساب الاشراف ،1/ 39_40؛ البكري ، معجم مااستعجم ،1/ 257_258 .

(2) الازرقي ، اخبار مكة ،2/ 221_233_235 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 2/ 194؛ الازرقي ، اخبار مكة ،2/ 290 .

(4) البكري ، معجم مااستعجم ، 1/ 270 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 487 .

(5) الفاسي ، شفاء الغرام ، 3/ 16 .

(6) ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ) ، المنمق ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : خورشيد احمد فاروق ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ط1، حيدر اباد ، الدكن ، (الهند ، 1964) ، ص18 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، 2/ 32 .

(7) البلاذري ، انساب الاشراف ،1/ 39 ؛ المسعودي ، مروج الذهب ،2/ 269 ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، 398؛ العصامي ، سمط النجوم ،1/ 162.

لزمت قريش البطاح الحرم ، ومكانها في الابطح لاتبرحه حتى سميت قريش الضب [1] والابطحيون [2].

اما قريش الظواهر : وهم الذين نزلوا بظاهر مكة على المرتفعات وفيما حولها على اقل من مرحلة ومن نزل ابعد من ذلك سموا قريش الضواحي [3]، وتشمل قريش الظواهر على : بني محارب بن فهر ، وبني الحارث بن فهر،وبني الادرم بن غالب بن فهر ، وبني معيص بن عامر بن لؤي [4]،بقي ان نذكر ان هناك قريش العائذة وقريش العاربة وغيرهم [5] وسائر قريش الذين ليسو من الاباطح ولا من الظواهر هم : سامة بن لؤي وبنو عوف بن لؤي، ويقال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، الابطحي لانه من عبد مناف وكان يقال لعبدالمطلب سيد الاباطح [6] وفي قريش رهط يقال لهم الاجربان وهم بنو بغيض بن عامر بن لؤي ، وبنو محارب بن فهر وكان هذان الرهطان متحالفين وكانا يدعيان الاجربين لبأسهما وقهرهما من ناؤهما فهما الاجربان من اهل تهامة [7].

---

[1] البلاذري ، انساب الاشراف ،1/ 39 ؛ الشريف ، مكة والمدينة ، ص122.

[2] ابن حبيب ، محمد بن حبيب (ت 245هـ) ، المحبر ، اعتنى بتصليحه : الدكتورة اليزا ليختن شتير ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت ، بلا . ت) ص167ـ168 ؛ البكري ، معجم مااستعجم ،1/ 89.

[3] ابن منظور ، لسان العرب ،2/ 413 (بطح) ؛ الحميري ، محمد عبدالمنعم (ت710هـ) ،الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص7 .

[4] ابن حزم ، ابي محمد علي بن احمد (ت 456هـ) ، جمهرة انساب العرب ، تح : عبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، 1962) ، 1/ 15 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، 1/ 351 .

[5] ابن حبيب، المحبر ،ص168؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، 398،142 ؛ العصامي ، سمط النجوم ،1/ 163.

[6] خرجت فروع من قريش ، فهم ليسو من الابطح ولامن الظواهر ومنهم خزيمة بن لؤي وارتحل الى ابني الحارث بن همام بن مرة بن شيبان ، وسموا عائذة قريش نسبة الى امهم عائذة بنت الحمس بن قحافة بن خثعم وقد ولدت مالكاً وتيماً ، وعرفوا ايضاً باسم بنو عائذة . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ،ص168ـ 169 .

[7] فان تصلح فانك عائذي ... وصلح العائذي الى قباذ

القلقشندي ، نهاية الارب 334؛ العصامي ، سمط النجوم ،1/ 164 .

المبحث الثاني

يثـــرب

يثرب مدينة قديمة وهي ثاني مدن الحجاز بعد مكة ، وقد حبت الطبيعة هذه المدينة المقدسة [1] بخصوبة التربة ووفرة المياه فضلاً عن اعتدال مناخها .

وتقع يثرب على بعد 335كم الى الشمال من مكة المكرمة ، وارضها عبارة عن سهل واسع مكشوف من جميع الجهات "ولها نخيل كثيرة ومياه نخيلهم وزروعهم من الابار" [2] وتتمتع يثرب بمناخ افضل من مكة، فهي واحة خصبة بين لابتين بركانيتين تحيط بها الحرات من جهاتها الاربع ، واهمها حرة واقم في الشرق ، وحرة الوبرة في الغرب ويحدها من الشمال جبل احد ، ومن ورائه جبل ثور ، ومن الشمال الغربي جبل سلع ومن الجنوب الغربي جبل عير ، وهذان الحدان الشمالي والجنوبي يوضحهما الحديث النبوي "المدينة حرام مابين عير الى ثور" [3]. وتكتنف الوديان الحرتين من الشرق ومن الغرب ، وللمدينة اسماء كثيرة منها اسمها القديم يثرب [4] وقد اورد القرآن الكريم هذه التسمية بقوله تعالى "يا أهل يثرب لامقام لكم" [5]

---

(1) السمهودي ، وفاء الوفا ،1/ 19ـ25 .

(2) الاصطخري،المسالك والممالك،ص23.اللابتين:تثنية لابة وهي الحرة وهما حرتا المدينة الشرقية والغربية وقال الاصمعي اللابة الارض التي البست الحجارة السود . ينظر: السمهودي ، ، وفاء الوفا ، 4/ 1296 .

(3) البخاري ، ابو عبدالله محمد اسماعيل (ت256هـ) ، صحيح البخاري ، تح : قاسم الشماع ، دار القلم ، (بيروت ، 1987) ، 3/ 1160؛ العمري ، اكرم ضياء ، المجتمع المدني في عهد النبوة ، مطبعة الجامعة الاسلامية، ط1 ،(المملكة العربية السعودية ، 1983) ، ص57 .

(4) في اسماء يثرب.ينظر:ابن رسته،الاعلاق النفيسة، ص78؛ ابن النجار، محمد بن محمود (ت573هـ)،الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، تح : لجنة من كبار العلماء والادباء ، مكتبة النهضة ، (مكة المكرمة ، بلا. ت) ، ص323 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 83. على الرغم من الاختلاف في عدد تسميات يثرب .

(5) سورة الاحزاب 33 ، الآية 13 .

وفي يثرب جبال كثيرة تحيط بها، منها "المدينة وقباء والفضاء وأحد والعقيق وبطحان وسلع" [1] "ويحيط باكثرها البساتين ونخيل وقرى ولهم مزارع ومياه عذبة وفيها حياض" [2]. ومن جبال يثرب"وعير والجماء وذباب والقموص" [3].

وقد تهيأ لاهل يثرب (المدينة) اسباب قيام الزراعة ، فهناك عدد من الاودية الخصبة التي انتشرت فيها مياه العيون والابار فأقيمت حولها القرى الزراعية ، واصبح معظم اهل المدينة (يثرب) من الزراع ، واضحت الزراعة موردهم الاقتصادي الاول [4] وتجرى اودية يثرب من الجنوب باتجاه الشمال ، تحمل مياه الامطار التي تسقي مزارع يثرب الخصبة التي تنتج التمور والفواكه والخضار ، واهم اوديتها وادي العقيق وهو من اخصب مناطق يثرب ، ويبعد عنها من جهة الغرب بنحو ثلاثة اميال والعقيق اودية شقتها السيول :احدهما عقيق المدينة ويحيط العقيق بيثرب من جهة الجنوب الغربي ، فهو يقع بعد قباء وكانت تشغله غابات كثيرة، ومن وديان المدينة وادي بطحان يقع الى الغرب من يثرب ، ووادي رانونا، ويبدأ من جبل عير ، ووادي مذينب في الجنوب الشرقي ، ووادي قناة ويقع الى الشمال الشرقي من يثرب ، ووادي مهزور في الجنوب الشرقي ، ويأتي من الحرة الشرقية حرة واقم [5].وقد اشارت المصادر الى وجود كثير من الابار التي يعتمد عليها الناس في حياتهم وزراعتهم في يثرب ، مما يدل على وفرة المياه الجوفية في هذه المدينة [6]. وحرات المدينة ثلاث ، فضلاً عن حرة واقم والوبرة وحرة قباء في الجنوب فهناك ثلاث اخر بالقرب من المدينة هي"حرة شوران وحرة ليلى لبني مرة بن عوف بن ذبيان، يطؤها الحاج في

---

[1] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص236 ؛ البكري ، معجم مااستعجم ، 1/ 117 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1/ 108 .

[2] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص80 .

[3] الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص35 .

[4] الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص23؛ جواد علي ، المفصل ، 7/ 312 .

[5] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص264 ؛ ابن حوقل ، ابي القاسم النصيبي (ت367هـ) ، صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص38 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ،2/ 210 ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، دراسات في تاريخ العرب ، ص335 .

[6] العلي، صالح احمد،دولة المدينة في عهد الرسول (ص)، مطبعة المجمع العلمي العراقي،(بغداد ،1988)، ص21 .

طريقهم الى المدينة، وحرة النار بالقرب من حرة ليلى" [1] ومن ابار يثرب"بئر حا ، وبئر اريس وبضاعه، البصه واورمه" [2].ويثرب تشبه مكة في استيطان سكانها،فهي تسكن في شعاب،وتسكنها بطون الاوس والخزرج،الاوس في شعاب، والخزرج في شعاب، واليهود في شعاب [3].

المناخ :

لقد كان لمناخ يثرب اهمية خاصة ، فهذا المناخ اكسبها مقومات وجودها وتكوينها ، فهي تتمتع بمناخ قاري شديد الحرارة في فصل الصيف ، ويميل الى البرودة في فصل الشتاء وهو بهذا قريب الشّبه من مناخ مكة ، وتهطل امطارها في فصل الشتاء .غير ان هطولها غير منتظم ، فقد تنحبس مدة طويلة من الزمن وقد تسقط بغزارة فتحدث سيولاً جارفة ، وتترك هذه الامطار الغزيرة في بعض الاحيان غدران وبرك ومستنقعات ، وكان يترتب على ركود الماء في المستنقعات الضحلة ظهور الحشرات ، والبعوض ، مما يتسبب في انتشار بعض الاوبئة والامراض ، والامراض بيثرب من الظواهر المألوفة فيها ، فقد قَدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه الى (يثرب) ، وهي وبيئه فاشتكى ابو بكر رضى الله عنه واشتكى بلال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه آله وسلم شكوى اصحابه قال : "اللهم حبب الينا المدينة كما حببت مكة او اشد وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل وباؤها الى مهيعه" [4].

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 247 .

[2] ابن ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص340ـ344 .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 248 .

[4] البخاري ، صحيح ، 3/ 143 ؛ ابن ماجة ، ابو عبدالله محمد القزويني (ت275هـ) ، سنن ابن ماجة ، تح : محمد عبدالباقي ، دار الكتب المصرية ، (بيروت ، بلا. ت) ، 2 / 1105 .

المد:رطل وثلث عند اهل الحجاز، اما الصاع: فهو اربعة امداد عند الحجازيين ، والمهيعة : قريب من الجحفة وهي ميقات اهل الشام، وكان وبائها معروفاً قبل الاسلام. ابن هشام السيرة،1/ 248؛ الخزاعي،علي= =بن محمد بن مسعود(ت789هـ)، تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله (ص) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية،تح:احسان عباس،دار الغرب الاسلامي،(بيروت،1985) ، ص 626 .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال انه اذا كان للرطوبة وكثرة المياه في يثرب بعض الاثار السلبية على الصحة بالنسبة لمن لم يعتادوا خاصة على مناخ يثرب مثل مهاجري مكة ، فان لها جوانب ايجابية كثيرة على الزراعة وتلطيف المناخ ، فقد ذكر ان "جو يثرب على العموم خير من جو مكة ، فهي الطف وافرح ولم يعاني اهلها ماعانى اهل مكة من قحط في الماء ومن شدة في الحصول عليه ... ولهذا صار في امكان اهلها زرع النخيل ، وانشاء البساتين والحدائق ، والتفسح فيها والخروج الى اطراف المدينة للنزهة ، فاثر ذلك في طباع اهلها فجعلهم الين عريكة واشرح صدراً من اهل البيت الحرام "[1].

فبتوفر المياه وخصوبة التربة اصبح مناخ يثرب معتدلاً بوجه عام مما جعل سكان يثرب يشتغلون بالزراعة ، وجل زراعة يثرب تقوم على النخيل والشعير والقمح وعلى الفواكه مثل العنب والرمان والموز والليمون والبطيخ والخضروات[2].اذن توجه اهل يثرب الى الزراعة لانها قد تكون المصدر الاكثر ربحاً في كسب المعيشة ، وبالرغم من ان جلّ اهل يثرب يعملون بالزراعة لكن منهم من كان يملك الاراضي الزراعية الواسعة يزرعها لحسابه او يزرع عليها او يكريها ، ومنهم من كان يملك قدراً يقوم على زراعته بنفسه[3].وقد اشتهرت يثرب بكثرة نخيلها ومزارعها وبساتينها "وكان التمر اشهر منتوج يثرب الزراعي وكان يعرف بالتمر الصيحاني ثم يأتي الشعير بالمرتبة الثانية من بعده "[4].

وقد ذكرنا ان في يثرب شعاباً وفي هذه الشعاب حوائط ، بساتين صغيرة ، وفي الحوائط (آبار) يستقون منها للشرب والسقي والغسل[5].

---

[1] جواد علي ، المفصل ، 4/ 132 .

[2] احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص358 .

[3] احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص358.

[4] البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 278 .

[5] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 357 . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 7/ 279 مادة (حوط) ؛ جواد علي ، المفصل ، 4/ 131 . كانت بساتين اهل يثرب وحدائقهم تعرف بالحوائط . ينظر : الكتاني، محمد بن عبدالحي بن عبدالكبير(ت1333هـ)، التراتيب الادارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي=

السكان

ان خصوبة ارض يثرب ووفرة المياه فيها ، فضلاً عن وقوعها على طريق التجارة بين اليمن والشام عوامل جذب للناس للاستقرار في هذا المكان والعيش فيه بصورة دائمة . وتاريخ يثرب القديم مجهول فلا توجد مدونات يمكن الرجوع اليها [1].

وقد تباينت روايات الاخبارين حول اقدم من سكن يثرب ، وكذلك فهم لم يذكروا شيئاً عن احوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما جعل تاريخهم عموماً مبهماً وغامضاً ، ولكنهم يتفقون على قدم هذه المدينة ، اذ ورد ذكر اسمها في القرآن الكريم بقوله تعالى "واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم " [2]، وسوف نستعرض الاقوام التي سكنت يثرب ، وحسب قدمها بصورة موجزة حتى نصل الى القبائل التي تشكل محور دراستنا .

عبيل

قبيلة من العرب البائدة ولانعرف من اخبارها غير نتف قليلة ذكرها الاخباريون [3] وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عبيل ، فقد ذكرت المصادر انه لما تفرق ولد نوح في الارض نزلت عبيل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام بناحية يثرب وكانوا اهلها في قديم الدهر [4]. ونزل يثرب بن قانيه بن مهلائيل بن عبيل بالمدينة، وبه سميت يثرب [5] ثم جاء العماليق

=كانت على عهد تأسيس المدينة الاسلامية في المدينة العلية ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا. ت) ، 1/ 2،401/ 47 .

[1] احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ،ص289 .

[2] سورة الاحزاب 33 ، الآية 33.

[3] القلقشندي ، نهاية الارب ،ص348 ؛ جواد علي ، المفصل ،1/ 343 .

[4] البلاذري ، انساب الاشراف ،1/ 6 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،1/ 208 ؛ ابن دريد ، ابي بكر محمد بن الحسن (ت321هـ) ، الاشتقاق ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة المثنى ، ط2، (بغداد ، 1979) ، 1/ 83 ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص348 .

[5] المسعودي، مروج الذهب،1/ 53 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 430؛السمهودي، وفاء الوفا،1/ 156.

فانحدر بعضهم الى يثرب فاخرجوا منها عبيل فنزلوا موضعاً يعرف بـ (مهيعة) فاجتحفهم السيل فسميت الجحفة [1] ونزل بيثرب من العمالقة بنو هف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الازرق [2].

وقد وهم بعض المؤرخين عندما ذكر بان صعل وفالج هم اول من نزل يثرب بعد غرق قوم نوح (عليه السلام) وانهم سكنوها قبل العماليق [3].

القبائل العربية الباقية :

سكنت يثرب قبل نزول اليهود الاوائل فيها قبائل عربية تنسب الى العماليق وقد تغلب اليهود الوافدون على العرب ، واصبحت لهم السيادة عليهم ، فلما تكاثر اليهود في المدينة عقب هجرتهم من اورشليم بعد عام 70م ، اصبحت لهم الغلبة على يثرب والقبائل العربية التي كانت تسكنها ، ويذكر ابن النجار انه كان يسكن يثرب مع اليهود بطون عربية من اليمن ومن بلى وهم "بنو: نيف حي من بلى ويقال انهم من بقية العماليق وبنو مريد حي من بلى وبنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وبنو الجذما حي من اليمن" [4] .

وتؤكد روايات اخرى الى ان سكان يثرب انما كانوا من العماليق ثم يهود ثم العرب من اوس وخزرج ، وان العماليق انما كانوا أول من زرع الزرع واتخذ بها النخيل وعُمر بها الدور والاطام ، واتخذ الضياع ، وانهم يرجعون في نسبهم الى عملاق بن ارفخشد بن سام" [5] .

---

[1] البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 6 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، 1/ 208؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، 1/ 83 .

[2] الطبري ، تاريخ الرسل ، 1/ 208 ؛ جواد علي ، المفصل ، 1/ 346 .

[3] ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص59 ؛ ابن ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص323 .

[4] الدرة الثمينة ، ص325 .

[5] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 84 ؛السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 157-159 ؛ محمد مهران بيومي، تاريخ العرب القديم ، ص436 .

اليهود :

لم يكن جميع اليهود بيثرب هم من الاسرائيلين ، بل كان بعضهم من العرب الاقحاح فاليهودية دين لاقومية ، وقد اعتنقه غير الإسرائيليين بمن فيهم بعض القبائل العربية ، كما هو معروف في نجران واليمن ، وان هذه المجموعات اليهودية كانت مذكورة في تاريخ الصراع بين الاوس والخزرج قبل الاسلام [1].

لقد تعددت الروايات التاريخية بشأن استيطان اليهود في يثرب واسبابه فذهب القسم الاكبر من المؤرخين [2] الى ان الهدف من احتلال اليهود يثرب كان سياسياً ، فذكروا ان نبي الله موسى عليه السلام بعد ان اظهره الله على فرعون وطأ ارض الشام فاهلكه الجبابرة ، ثم بعث ذلك البعث الى العماليق بارض الحجاز وامرهم ان يقتلوهم جميعاً فقدموا عليهم فقاتلوهم فاظهرهم الله سبحانه وتعالى ، فقتلوهم اجمعين حتى انتهوا الى ملكهم الارقم فقتلوه ، وابقوا على حياة ابنٍ له كان جميلاً فضنوا به على القتل قالوا: نذهب به الى موسى فنرى فيه رأيه . فلما رجعوا به الى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد توفى ، فاعتقد الاسرائيليون ان ابقاء الجيش على حياة ولد الارقم خروج على تعاليم موسى بن عمران عليه السلام فحالوا بينهم وبين ارض الشام ومنعوهم من دخولها ، فرجع ذلك الجيش واستقر بيثرب ، وكان ذلك اول سكنى لليهود بيثرب [3].

---

[1] ينظر : ابن الاثير ، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم (ت 630هـ) ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، 0 بيروت ، 1965) ، 1/ 655؛ وعن حروب الاوس والخزرج ينظر ايضاً : المولى، محمد جاد ومحمد ابوالفضل وعلي محمد البجاوي ، ايام العرب في الجاهلية ، مطبعة دار الفكر، (بيروت ، 1961) .

[2] ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص60ـ61 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،5/ 82؛ ابن ابن النجار ، الدرة الثمينة ، ص324؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، 4/ 294؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص402 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 159 .

[3] الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، تح : محمد بهجة الاثري ، مطابع دار الكتاب العربي،ط3 ، (مصر ، بلا.ت) ،1/ 189؛ ولفنسون ، اسرائيل ، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، مطبعة الاعتماد ، (مصر ،1927) ،ص6.

ويذهب اخرون الى ان اليهود استوطنوا بيثرب لاسباب دينية اذ ذكروا انـه لما حج موسى بن عمران عليهما السلام بيت الله الحرام بمكة حـج معـه انـاس مـن بـني اسرائيل وفي طريق عودتهم مروا بيثرب فروا موضعها صفتة بلد نبي يجدون صفته في التوراة بانه خاتم النبيين فاشتورت طائفة منهم على ان ينزلوا بموضع سوق بني قينقعاع فكان ذلك اول استيطان لليهود بيثرب [1].

وفي رأي اخر ان هجرة اليهود الى الحجاز واستقرارهم بيثرب ، انما كانت على عهد الملك البابلي نبوخذنصر حينما اسقط الدولة اليهودية في القرن السادس ق.م اذ هرب قسم منهم الى هذه البلاد واستقروا بها [2].

اما اليعقوبي فقد كان له رأى اخر مخالف تماماً ، فقد دعى عروبة جميع القبائـل اليهودية التي كانت تسكن شمال الجزيرة العربية في يثرب وغيرها بنـو النضـير عنـده مثلاً فخذ من جذام نزلوا بجبل اسمه النضير فعرفوا به ، وكذلك بنو قريظة هم فخـذ من جذام ايضاً تسموا باسم جبل يحمل هذا الاسم [3].

وهذا في الحقيقة رأي ليس له سند من منطق او تاريخ قديم فان ظاهرة تسـمي اليهود بالاماكن التي ينزلون بها ، فلا يمكن ان يتخذ منها دليل على عـروبتهم فيـذكر ولفنسون "ان اليهود في دورهم الثاني لم يكونـوا يعرفـون انسـابهم بـل عرفـوا كلـهم باسماء المدن والقرى والاقاليم التي جاءوا منهـا فيقـال فـلان الاورشـليمي ، وفـلان الحبروتي " [4].

ولكن يستدل من المعلومات التي توصل اليها علماء الاثار على ان مدينة يثرب في "نص الملك نبوئيـــد ملك بابل الذي سكن تيمـــاء امداً وذكـر فيـه انـه بلـغ هـذه

---

(1) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 157 .

(2) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 1/ 539 .

(3) تاريخ اليعقوبي ، 2/ 49ـ52.

(4) تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص15 .

المدينة "[1]. كما ذكرت هذه المدينة "في الكتابات المعينية ، وكانت من المواضع التي سكنتها جاليات من معين ثم صارت الى السبئيين بعد زوال مملكة معين "[2].

وقد ورد ذكر يثرب بـ (JaThripa) في جغرافية بطليموس وعند اسطيفان البيزنطي وعرفت بـ(المدينة) كذلك من كلمة(Medinta - Medinto) الارامية وتعني (مدينة) في عربيتنا و "هكر في العربية الجنوبية "[3].

عموماً مما قيل عن اليهود فان القرآن الكريم حسم هذا حسماً قاطعاً فخاطب يهود يثرب وغيرهم من يهود الجزيرة العربية مما يدل على انهم إسرائيليون . وذكرهم بما كان يحدث من اسلافهم من تكذيب للانبياء بقوله تعالى "يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين ، واتقوا يوماً لاتجزي نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ، واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم "[4].

وخلاصة قولنا ان جميع الروايات السابقة التي تدور حول وصول الإسرائيليين الى يثرب بصفة خاصة والى داخل الجزيرة عامة ، تؤكد على انهم قوم طارئون معتدون غصبوا اهل البلاد الحقيقين حقهم وشاركوهم في اراضيهم وزاحموهم عليها .

كانت يثرب قبل الاسلام مقسمة على دوائر تسكنها البطون العربية واليهودية وكانت الدائرة تنقسم على قسمين : الاول يشمل الاراضي الزراعية بمنازلها وسكانها والثاني يشمل الاطام [5]وقد نقل اليهود معهم فكرة بناء الاطام من بلاد الشام اذ بلغ عددها في يثرب تسعة وخمسين اطماً [6]. وقد اشار القرآن الكريم الى الاطام

---

[1] جواد علي ، المفصل ، 4/ 130 .

[2] جواد علي ، المفصل ، 4/ 128 .

[3] جواد علي ، المفصل ، 4/ 130 .

[4] سورة البقرة 2 ، الآية 47ـ49 .

[5] الاطام : هو الحصن المبني من الحجارة وهو بناء مرتفع وجمعه اطام ، وقيل ان كل بيت مربع مسطح هو اطم ، وكانت هذه الاطام في المدينة (يثرب) واليمن . ابن الاثير ، الكامل ، 1 / 686 .

[6] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 165.

بقوله تعالى " ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1]. والاطـم في اللغـة : " حصن مبني بحجارة ، وقيل هو كل بيت مربع مسطح ، وقيـل الاطـم مثـل الاجـم ، وهي حصون اهل المدينة ، ويقول ابن سيدة الاطم حصـن مـبني.عـن ابـن الاعرابـي الاطوم القصور، وفي حديث بلال:انه كان يؤذن على اطم ، ...:حتى تـوارث بآطـام المدينة يعني بأبنيتها المرتفعة كالحصـون " [2].امـا المسـعودي فيقـول" الاوس والخـزرج تؤرخ بعام الاطام لما تحاربوا على الاطام.وهي الحصون والقصور وذهـب الاصـمعي الى انها الدور المسطحة السقوف ، وكانت الاوس والخزرج تتمنع بها فخربت في ايـام عثمان بن عفان رضى الله عنه " [3].

وينقل الشاعر قيس بن الخطيم بقصـيدته يـوم بعـاث * بـين الاوس والخـزرج فيقول :

فلولا ذرى الاطام قد تعلمونه وترك الفضا شوركتم في الكواعب [4]

ويذكر ولفنسون الاطام بقوله ان الاطام كانت ذات اهمية كبيرة وتشمل المعابد وبيوت المدارس ، وكذلك كانت فـاخرة الاثـاث كـثيرة الادوات مملـوءة بالاسـفار ، كانت تتم فيها المشـاورة اذ يقسـمون بالكتـب المقدسـة حتـى يهمـون بـابرام العقـود والاتفاقات ، فضلاً عن اهميتها الاساسية الا وهي اللجوء اليها في الحروب فهو ملجأ امن للاطفال والنساء والشيوخ . وكان كل بطن يملـك اطمـاً او اكثـر وهـذه الاطـام كانت ملكاً خاصاً بالاسر العريقة ، ورئيس الاسرة هو صاحب السـلطان في الاطـم ،

---

(1) سورة الحشر59 ، الآية 14.

(2) ابن سيدة ، ابي الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت458هـ) ، المخصص ، دار الفكر ، (بيروت ، بـلا . ت)، 1/ 126 . ينظر :ابن منظور ، لسان العرب ،12/ 19 (مادة اطم).

(3) ابي الحسن بن علي بن الحسين (ت 346هـ) ، التنبيه والاشراف ، صححه وراجعه : عبدالله اسماعيل الصـاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف ، (مصر ،1938) ، ص176 .

* يوم بعاث : (كان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمـة واجتمعـوا على نصر الاسلام واهله) . ينظر : ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، 1/ 666ـ668 ـ 675ـ676ـ 678ـ679.

(4) ديـوان قـيس بـن الخطـيم ، تـح : ناصـر الـدين الاسـد ، دار صـادر ، (بـيروت ، 1967) ، ص267،93،86 ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص177،176.

ثم يستدرج ولفنسون[1] ويذكر اهم الحصون التي اقامتها اليهود في يثرب ومن هذه الحصون "الابلق للسمؤل والقمومي لبني ابي الحقيق وناعم وسعد بن معاذ ... "[2].

اما اشهر القبائل اليهودية التي سكنت يثرب فهي يهود بني النضير وبني قريظة حيث سكنوا حرة واقم شرق يثرب وهي من اخصب المناطق أي سكنوا منطقة العوالي[3] ، فنزل بنو النضير على وادي مذينيب[4] ونزل بنو قريظة واخوانهم بنو هدل ، وبنو عمرو ابنا الخزرج بن الصريح على وادي مهزور[5] .

ونزل بنو قيقاع عند منتهى جسر بطحان على وادي بطحان[6] مما يلي العالية[7].اما بقية قبائل اليهود فكانت منتشرة في اماكن متعددة من المناطق الغنية الغنية في يثرب : فبنو هدل (بهدل) وبنو عوف كانوا الى جوار قبيلة بني قريظة ، ونزل بنو العصيص وبنو ناغضة بقباء ، ومنازل بني مريد وبني معاوية وبني ماسكة تقع شمال وادي مهزور ، وبني زعورا سكنوا منطقة العوالي قرب مشربه ام ابراهيم[8] وبني عكرمة وبنو مرايه سكنوا طرف حرة واقم الشمالي منازل بني حارث (من الاوس) في حين كان بني ثعلبة وجماعات غيرهم من اليهود يسكنون قرية زهرة بناحية واحة عريضةوكان يعيش في شمالي يثرب بقرب احد جماعات من اليهود ،

---

[1] تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص116ـ117 .

[2] تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص 16 .

[3] السمهودي ، وفاء الوفا،1/ 160ـــ161. ينظر:ابن رستة ، الاعلاق النفيسة،ص61؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 5/ 234؛ العمري، المجتمع المدني،ص58 ؛ محمد مهران بيومي، تاريخ العرب القديم ، ص448 .

[4] وادي مذينيب : اصله مسيل الماء بحضيض الارض بين تلعتين ، وهو وادي بالمدينة سيل بماء المطر . ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 5/ 91.

[5] وادي مهزور : وادي بالمدينة يسيل بماء المطر خاصة وهو وادي قريظة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،5/ 234. وينظر : ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص61 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 160ـ161 .

[6] وادي بطحان . وادي بالمدينة وهو احد اوديتها الثلاثة ، العقيق وبطحان وقناة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1/ 446. ينظر : شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص284 .

[7] العوالي:هي ضيعة بينها وبين المدينة اربعة اميال وقيل ثلاثة : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 166 .

[8] هذه المنطقة كانت تسمى الملك او فراقة النخل وهي من اموال بني النضير التي اصبحت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،وكانت ماريه القبطية ام ابراهيم زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تقيم فيها بالصيف،وكان المسلمون يسمونها البستان،وفيها وضعت مارية ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 134 .

وهكذا كان اليهود يسكنون اخصب مناطق يثرب واغناها [1] وينقل ولفنسون عن السمهودي "ان قبائل اليهود تنيف على العشرين ، وعدة اطامهم واطام من نزل معهم من العرب على السبعين جاء النهي عن هدمها " [2].

ونستدل مما تقدم في النصوص التاريخية ان اليهود كانوا جاليات كبيرة متعددة الفروع ، وقد سكن اليهود الجهات الخصبة الغنية في يثرب واغناها كما ذكرنا سابقاً على ان كثير من الاخباريين يعزون انشاء الاطام بيثرب الى اليهود ، فان الدلائل الاخرى تشير الى انه كانت من انشاء الاوس والخزرج نقلوها معهم من اليمن بعد ان طوروا فيها فقد كان في اليمن منشآت مماثلة . ويذكر بهذا الخصوص بروكلمان [3] "ان حضارة العرب الجنوبية ، فقد كان المناخ اكثر ملائمة للزراعة منذ الالف الثاني قبل الميلاد فأنشأت السدود وشيدت الحصون والقصور والهياكل التي ماتزال قائمة" وهذا يفسر الى حد بعيد وجود ما يماثلها عند اللخميين في الحيرة ، وهم قوم من اليمن ايضاً وعرفت الاطام عند بني عمهم الغساسنة في الشام على نطاق اقل انتشاراً ، وهذا يعود بنا الى القول ان اليهود لم يكونوا اول من سكن يثرب وان الاطام انما بنيت على نسق قصور اليمن وعليه لايصح بعد هذا في تقديرنا انشاء الاطام الى اليهود مستندين الى رواية ولفنسون الذي يقول "ان كلمة اطم مأخوذة من اللغة العبرية ، فيقول اطم عينه اغمضها واطم اذنيه سدهما والاطم في الجدران والحيطان هي النوافذ المغلقة من الخارج والمفتوحة من الداخل ويستعمل الاطم في السور أي الحائط الضخم " [4]. لكن البلاذري يؤكد ماذهبنا اليه من رأي حول بناء الاطام فيقول "ان اول من انشأها وعرف قيمتها السكنية والدفاعية العمالقة [5] " ، فعلى هذا وذاك فهي منشآت عربية عربية محصنة لادخل فيها للعبرانيين .

---

(1) السهمودي ، وفاء الوفا ، 1/ 159ـ165 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص296.

(2) تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص16 . ينظر : السمهودي ، خلاصة الوفاء في دار المصطفى ، ص80 .

(3) كارل ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية : نبيه امين ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط5، (بيروت ، 1968) ، ص15ـ 16 ؛ حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، (مصر ، 1964) ، 1/ 44 .

(4) تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص116ـ117 .

(5) فتوح البلدان ، ص29ـ30 .

وكان اليهود يستخدمون الاطام كما ذكرنا، فهي حصون يلجأون اليها في اوقات الغارات ، كما حدث عند حصار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليهود بني النضير في العام الرابع للهجرة فتحصنوا منه في الحصون [1] .

وقد اشار القرآن الكريم الى ماأصاب الله اليهود من نقمتة في قولة تعالى "هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ، ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ،فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الابصار" [2].

الاوس والخزرج

لقد تعاقب على سكنى يثرب كما رأينا بنو عبيل واليهود واخيراً الاوس والخزرج ، لكن هاتين القبيلتين احتلت اهمية خاصة في تاريخ يثرب حتى اقترن اسمهما بهذه المدينة ، وتأتي هذه الاهمية الى اسباب متعددة ، منها ان سكن هاتين القبيلتين بيثرب وتأثيرهما في هذه المدينة من خلال فاعليتهما الاقتصادية والسياسية والدينية والاجتماعية ، ويرجع الاخباريون مجيء الاوس والخزرج الى يثرب الى حادث سيل العرم ويقولون انهم لما جاءوا الى يثرب وجدوا اليهود قد تمكنوا منها ، فنزلوا في ضنك وشدة ، ودخلوا في حكم ملوك يهود الى ايام ملكهم المسمى (الفطيون) * ،رغم ان الاوس والخزرج اتخذوا منازلهم في عالية يثرب وسافلتها وحسب فروعها [3]. ولهذا نراهم عندما احسوا بشيء من القدرة والقوة يبادرون الى مطالبة اليهود بتوقيع معاهدة حلف وحسن جوار ، ونشأ عن هذا الموقف الجديد

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 3/ 190 ؛ سالم ، السيد عبدالعزيز ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص141.

[2] سورة الحشر 59، الآية 2.

* الفطيون : اسم ملك عبراني تملك يثرب ، وقال ابن الكلبي اسمه عامر بن عامر بن ثميلة بن حارثة بن عمرو بن الحارث المحرق ، وقتل من قبل احد رجال الانصار . ينظر : الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت356هـ) ، الاغاني ، تح : عبدالكريم الغرباوي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، 1968) ، 19/ 68 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص436ـ457 .

[3] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 177 .

شيء من التكافؤ ضَمن للعرب كثيراً من حقوقهم الضائعة ، وصَحبهُ كثير من الرخاء والازدهار الاقتصادي في الزراعة والتجارة وغيرهما ، وشغل تاريخهم بمشاكلهم مع اليهود وجهودهم في التخلص من تآمر اليهود وشعبهم في زرع العداوات بينهم انتهت بنشوب الحروب والوقائع ، ونجاحهم بعدئذ من السيادة على شؤون يثرب ، وتهيؤهم لاستقبال الدعوة الاسلامية .

لانستطيع تحديد تاريخ نزول الاوس والخزرج بيثرب تحديداً دقيقاً وترى المصادر في اصولهما العرقية انهما ينتسبان الى قبيلة الازد اليمانية ، بل هما من بطونها البارزة [1]. التي خرجت من اليمن الى الشمال في حقب مختلفة ربما يرجع اقدمها في حدود 207م عندما هاجرت خزاعة الى مكة [2] ونما الحيان من الاوس والخزرج وتكاثرت اعدادهم واموالهم،فلم يكن للخزرج غير خمسة اولاد [3] هم : عمرو وعوف وجشم والحارث وكعب ، اما اخوه الاوس فليس له الا مالك ، وبقي اسم الخزرج يطلق على الحيين معاً ، فنرى قريشاً تقبل على الاوس والخزرج الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة بمنى يقولون لهم "يامعشر الخزرج انا قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا... وتبايعونه على حربنا" [4] ، وبهذا الخصوص يقول عبد العزى بن وديعة المزني :

اني حلفت يمين صدق برةً   بمناة عند محّل آل الخزرج [5]

ويبدو ان لهذه الغلبة في الاسم تابعة للغلبة في اعداد الخزرج ، تلك الغلبة اضطرت بعض عشائر الاوس الى الهجرة ، ودفع بالبعض الآخر الى طلب الحلف في قريش وفي عبس وذبيان وفي اليهود بني قريظة وبني النضير .

---

[1] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 329 ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص52ـ93

[2] العمري ، المجتمع المدني ، ص60 .

[3] القالي ، ابي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي(ت 356هـ) ، الامالي ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د.ت) ، 1/ 102 .

[4] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 365.

[5] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص14 . ويورد كانت العرب جميعاً في الجاهلية يسمون الاوس والخزرج جميعاً : الخزرج فلذلك يقول (عند محل آل الخزرج) .

سكن الاوس منطقة العوالي بجوار بني قريظة وبني النضير ، وقد كانت منازل الاوس اخصب من منازل الخزرج مما ادى الى نزاع بين الطرفين [1].

والاوس والخزرج "هما ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن مازن بن الازد بن الغوث بن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان" [2].

منازل الاوس

تقسم قبيلة الاوس وبطونها ومنازلها على الوجه الآتي :

اولاً : منازل بني عوف ، وانقسموا على بطون متعددة اهمها : بنو زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الذين انقسموا الى ضبيعة وامية وعبيد ، ثم بنو معاوية بن مالك بن الاوس وبنو جحجبا وبنو لوذان [3]، فضلاً عن عشائر صغيرة اصغر منها وقد سكنوا جميعاً منطقة قباء جنوبي يثرب ، ماعدا بني معاوية الذي سكنوا شرقي البقيع وبنو امية الذين سكنوا الى جنوبهم [4] ومن اشهر حصونهم : يخرج واقم والمستظل عند بئر غرس والشنيف ، ويقيم بالقرب من بني عمرو بن عوف ، بنو انيف ومنازلهم بين منازل بني عمرو بن عوف بقباء وبين العصبة ، وهم حي من بلى حلفاء للاوس،ولبني انيف حصون اهمها: النواحان والاحبش والقائم والمابه [5] ، وفي العصبة منازل بني جحجبا وعندهم حصن الضحيان والهجيم والقوافل [6].

---

(1) العمري ، المجتمع المدني ، ص60 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص337 .

(2) ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد بن مسلم (ت276هـ) ، المعارف ، تصحيح وتعليق ومراجعة : محمد اسماعيل الصاوي ، المطبعة الاسلامية ، ط1 ، (مصر ، 1934) ، ص50 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، 2/ 437 .

(3) ابن عبد ربه الاندلسي ، شهاب الدين احمد (ت 328 هـ) ، العقد الفريد، تقديم : خليل شرف الدين ، منشورات، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ، 1986) ، 3/ 106 ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 332ـ338؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، 1/ 168 .

(4) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 193ـ195 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص310 .

(5) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 4،193/ 1121 ، 1324،1298،1284 .

(6) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 193ـ4،194/ 1294،1144 .

ثانياً : منازل عمرو بن مالك وهم النبيت فانقسموا على بطون متعددة اهمها بنو ظفر وبنو حارثة وبنو عبدالاشهل وبنو زعوراء وكانت مساكنهم على الطرف الشرقي لحرة واقم [1]. حيث نزل ظفر شرقي البقيع الى الشمال من منازل بني قريظة على وادي مهزور والى شمالهم منازل بني عبد الاشهل والى اقصى الشمال منازل بني حارثة [2]، اما باقي العشائر النبيت من بني زعوراء وعمرو والحريش فكانت منازلهم عند راتج [3].

ثالثاً : منازل بني جشم بن مالك بن الاوس فهم بنو خطمة ، وكانت منازلهم مجاورة لمنازل بني امية بن زيد في منطقة الماجشونية وعند منازلهم يلتقي وادي مهزور بوادي مذينيب [4] أي انهم يسكنون في العوالي ، ومن اشهر حصونهم(صع ذرع))وحصن الصاع وحصن مريد وحصن بئر الدريك [5].

رابعاً: منازل بني امرئ القيس بن مالك بن الاوس وينقسمون على قسمين او بطنين هما:مالك بن امرئ القيس بطن ، والسلم بن امرئ القيس بطن [6] وكانت منازلهم بالعوالي بين منازل بني قريظة ومنازل بني النضير [7] وكان لبني اسلم حصن شرقي مسجد قباء ، ويعني واقف حصن الزيدات .

---

[1] ابن عبد ربه الاندلسي ،العقد الفريد ، 3/ 106؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 531ـــ532؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 1/ 338،132 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 190 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، 310 .

[2] السمهودي ، وفا الوفاء ، 1/ 190 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص310 .

[3] راتج : اطم من اطام اليهود (بالمدينة) وتسمى الناحية به . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 13. قال قيس بن الخطيم :

الا ان بين الشرعبي وراتج ضراباً كتخديم السيال المُعضد

شرح ديوان قيس بن الخطيم / 125 .

[4] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 3/ 107؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 343؛ السمهودي ، وفاء الوفا ،1/ 4،198/ 1298.

[5] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 197، 4/ 1072 .

[6] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 3/ 107 ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 344 .

[7] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 195 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص311 .

خامساً : منازل بني مرة بن مالك بن الاوس بن حارثة (الجعادرة) واهم بطونهم : بنو امية وبنو وائل وبنو عطية ابناء زيد بن قيس بن عامر بن مرة وكانت منازلهم بالقرب من قباء عند ملتقى وادي بطحان ، ووادي رانونا [1] ، ثم بنو سعد بن مالك بن الاوس سكنوا راتج على طرف حرة واقم الشمالي [2] وكان حصن الموجا من اهم حصون بني وائل ، اما اشهر حصون بني امية فهو حصن العذق واليسيرة ، اما حصن شاس فيعود الى بني عطية [3].

منازل الخزرج

اما الخزرج فلها اربعة بطون رئيسة ومنها تتفرع باقي البطون سنوردها على النحو الآتي:

اولاً : بنو عمرو بن الخزرج : ولهم خمسة بطون هي : بنو مالك وبنو عدي وبنو مازن وبنو دينار، وكلها من بني النجار ، المعروف بتيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج [4]، وقد سكنت بطون بني النجار حول المكان الذي اسس فيه المسجد النبوي ومساكن بني عدي غربي المسجد ، ومساكن بني مازن في قبلة المدينة ، والى جنوبهم سكن بنو دينار [5] ومن اهم حصون بني مالك بن النجار ، حصن فويرع وحصن مشعط وهو حصن بني حديلة وفي وسطه بئر حاء ، وحصن السلج لبني مبذول [6]. اما حصن فارع وهو حصن حسان بن ثابت ، وحصن العريان وحصن

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية ، 2/ 494. ويضيف ابن هشام ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة . ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا، 4/ 1216 .

[2] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 345 ؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص311 .

[3] ينظر : السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 196ـ197 ، 4/ 1241،1333،1316،1263 .

[4] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 346 .

[5] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ،2/ 346 . ينظر : ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 3/ 107 ـ 108؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 213ـ214 .

[6] ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 348ـ349 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 212،210 ، 4/ 1307،1283 .

الزاهرية ، اهم حصون بني عدي بن النجار [1] ولبني مازن بن النجار اطمان احدهما يسمى واسط، والاخر حصن معرض ولبني دينار بن النجار حصن المنيف [2].

ثانياً : منازل بني عوف بن الخزرج بن حارثة ، وانقسموا على ثلاثة بطون : سالم وغنم وعنز، وينتسبون الى عوف بن عمرو بن الخزرج وقد عرفوا بالقواقل [3]، وكانت منازل سالم وغنم على حرة الوبرة غربي الوادي الذي به مسجد الجمعة ببطن رانونا،وكانت منازل بني قوقل في طرف بيوت بني سالم [4] أي ان منازلهم بين قباء والمنطقة الشرقية من وادي بطحان بين منازل بني النجار ومنازل بني ساعدة [5].

ومن اشهر حصونهم حصن المزدلف والشماخ والقواقل ومزاحم وهو حصن لعبدالله بن ابي سلول ، مع حصون اخرى في جوف بيوتهم [6].

ثالثاً : منازل بني جشم بن الخزرج بن حارثة وينقسمون على : بني تزيد بن جشم ، وبني غضيب بن جشم ، وينقسم بنو تزيد بن جشم على بطون اهمها :بنو سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة بن تزيد بن جشم [7]، وقد سكن بنو سلمة في الشمال الغربي ليثرب ومن بني سلمة : بنو حرام وبنو عدي وبنو عبيد وبني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة وكانت منطقتهم تمتد من سلع الى وادي العقيق [8] ومن بطونهم بنو

---

[1] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 577؛ البكري ، معجم ماastعجم ،3/ 1013؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 213،210.

[2] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 213، 4/ 1315 .

[3] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 353. وعرفوا بالقواقل لانهم كانوا اذا اجاروا شخصاً دفعوا له سهماً وقالوا له (قوقل به حيث شئت) أي تنقل به حيث شئت ولاتخشى احدا . ينظر :ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ،3/ 108 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 199، 200 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص50 .

[4] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 199 .

[5] السمهودي ، وفاء الوفا، 1/ 200 .

[6] السمهودي ، وفاء الوفا، 1/ 199ـ201، 4/ 1306،1292،1246.

[7] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 356ـ358 ومابعدها.

[8] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 201ـ202 ، وجبل سلع : جبل بسوق المدينة . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 236؛ الحميري ،الروض المعطار ، ص318 .

زريــق وبنــو بياضــه وبنــو حبيــب وبنــو عــذاره [1] فســكنوا في جنــوب يثــرب شمالي مساكن بـني سـالم بـن عـوف بـن الخـزرج علـى وادي بطحـان [2]، وابتنـى وابتنى بنـو زريـق وبنـو بياضـة وبنـو حبيـب الاطام،وتـذكر لنـا المصـادر ان مجمـوع الاطام كان تسعة عشر اطماً [3]

رابعاً : منازل بني الحارث بن الخزرج بن حارثة ، انقسم بنو الحارث بن الخزرج على بطون عديدة منها : بنو مالك الاغر وبنو جشم بن الحارث وبنـو زيـد منـاة بـن الحـــارث ، وبنو خـــدرة وجدارة ابنـا عـــوف بـن الحـارث وبنـــو صـخر بـن الحارث [4]وسكن بنو الحارث بالعوالي شرقي وادي بطحان ، ماعدا بني جشم وبـني وبني زيد مناة الذي سكنوا السنح * اما بنـــو خدرة وجـــدارة فسكنوا مما يلي سوق المدينة [5]، ومن اشهر حصون بني الحارث بـن الخـزرج ، حصـن السـنح وهـو لـبني جشم وبني زيد مناة وبه سميت محله السنح ، وحصن الاجرد وهو لبني خدرة [6].

خامسـاً : منـازل بـني كعـب بـن الخـزرج بـن حارثـة ، واهـم بطونهـا : بنـو ساعدة الـذين انقسـموا علـى بطـنين همـا : بنـو ظريـف وبنـو عمـرو بـن الخـزرج بن ساعدة بن كعب بـن الخـزرج بـن حارثـــة [7] ومـن ظريـف سـعد بـن عبـادة عبـادة [8]وسـكن بنـو سـاعدة عنـد المكـان المعـروف بسـقيفة بـني سـاعدة ، وفي منطقة بئـر بضـاعة ، وكـــانت لهـم منـازل عنـد وادي بطحـان تـــوازي مسـاكن

---

[1] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ،3/ 108 ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 356 .

[2] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 204ـ205؛ احمد ابراهيم الشريف، مكة والمدينة ، ص312 .

[3] السمهودي ، وفاء الوفا ،1/ 106ـ4،205/ 1239،1225 ، 1298،1268 .

[4] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 3/ 108 ؛ كحالة ، عمـر رضـا ، معجـم قبائـل العـرب القديمـة والحديثـة ، المكتبة الهاشمية ، (دمشق ، 1949) ، 1/ 228 .

* سنح : هي احدى محال المدينة ، وهي في طرف من اطراف المدينة ، وهي منازل بني الحارث بن الخزرج بعـوالي المدينـة ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/ 265 .

[5] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 361 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص325 .

[6] السمهودي ، وفاء الوفا ،1/ 198ـ199 ، 4/ 1237،1121 .

[7] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 2/ 365 .

[8] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ،2/ 365؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 209 .

بـني دينـار [1] ومـن اشـهر حصـونهم واسـط وحصـن معـرض الـذي كـانوا يشيدونه لما قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يثرب [2].

نستخلص من هذا التقسيم لمنازل القبائل العربية من الاوس والخزرج ، والذي اردنا من خلاله ان نسهم بالقاء الضوء في تحليـل نفسـياتهم ، واسـتعدادتهم ، ونعـني على تصور تحركاتهم الحربية في ايامهم الشهيرة ، فمن الوهلة الاولى نستطيع ان نعرف منازلهم التي توحي بشيء من المنـافرة وعـدم الحريـة في الالتحـام والمخالطـة ، وانهـا موزعة على اساس الصلة النسـبية والعصـبية والقبليـة الضـيقة بـين فـروع الحـيين ، وملاحظة سكن الخزرج بصفه عامة بالسافلة والاوس بالعالية والـتي كانـت اخصـب من الاولى .

ولم يكن انتشار السكان في يثرب يعتمد نظاماً تخطيطياً مدروساً بـل كـان علـى الاغلب يعتمد على رغبات البطون ، وهكذا كان لكل بطن حي، ولكل حي اراضـيه الزراعية ومنطقته السكنية الخاصة ، وسكانه وحصونه واطامـه ، لقـد اتخـذوا الـديار والاموال وتفرقوا في عالية المدينة ليثرب وسافلها ، فمنهم من جـاء عفـا مـن الارض لاساكن فيه فنزله ، ومنهم من لجأ الى قرية مـن قـراهم واتخـذ الامـوال والاطـام [3] ويذكر ابن كثير حين قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مهـاجراً ، كانـت تبلـغ تسعاً ، كل دار مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها واهلها وكل قبيلة مـن قبائلـهم قـد اجتمعوا في محلتهم ، وهي كالقرى المتلاصقة [4] نستنتج مـن النصـوص الانفـة ، ان منازل الاوس الواقعة شرق المدينة (يثرب) وجنوبها تعـد مـن افضـل منـاطق المدينـة (يثرب) واكثرها خصوبة ، وذلك راجع الى مرور كثير من الاودية خلالها، فضلاً عـن اشتغال العرب واليهود في استغلال تلك الموارد لتنمية الزراعة بشـكل واسـع حتـى كان لهم غزار المياه وكرام النخل [5].

---

[1] السمهودي ، وفاء الوفا ،1/ 208؛ احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة ، ص313 .

[2] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 208ـ209 ، 4/ 1309 .

[3] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 190 .

[4] البداية والنهاية ، 3/ 203 .

[5] يذكر السمهودي ، ان عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال ، قبيـل يـوم بعـاث : يـاقوم ان بياضـه بـن عمـرو ، انزلكم منزل سوء ، والله لايمس رأسي غسل حتى انزلكم منازل بني قريظة والنضير . ينظر : وفاء الوفا ، 1/ 217

المبحث الثالث

الطائــــف

تعد الطائف من اغنى مناطق الحجاز واشهرها لما تتمتع بـه مـن موقـع متميـز وهذا الموقع جعلها مصيفاً للفئة الارستقراطية المكية [1].

وكانت الطائف قديماً تسمى باسم وج وهو اسم (وادي وج) الذي نسـب الى وج بن عبد الحي من العماليق ، وتقع الطائف على ظهـر جبـل غـزوان وهـو اعظـم جبال السراة وابردها الى الجنوب الشرقي من مكة على بعـد حـوالي خمسـة وسـبعين ميلاً [2].

واهم مايميز الطائف من مدن الحجاز مناخها فهي ابرد منطقة في بلاد العرب اذ وصفها المقدسي [3]"هي مدينة صغيرة شـامية الهـواء بـاردة المـاء" لـذلك اصبحت الطائف مصيف اهل الحجاز ولاسيما المكييون الذين يفرون من حر مكـة. فقـد نقـل عن ابن عباس قوله"كان المكيون يشتون بمكة ويصيفــون بالطــائف" [4]. فهـي ابـرد مكان في الحجاز ، وتتميز من مكـة بانهـا ذات جـو طيـب في الصـيف ، فانهـا كـثيرة الشجر والثمر واكثر ثمارها الزبيب والرمان والموز والاعناب [5].

والطائف محلتان يقال للاولى طائف ثقيف والثانية الوهط يفصل الوادي بينهما، حيث تجري فيه مدابغ بين المحلتين [6] ، وهي الى جانب خصوبة ارضها وكثرة عيونها

---

(1) فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب ، 1/ 143 .

(2) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص79 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 9 ؛ عمر رضـا كحالـة ، جغرافيـة شـبه جزيرة العرب ، ص190 ؛ محمد مهران بيومي ، تاريخ العرب القديم ، ص483.

(3) احسن التقاسيم ، ص79 .

(4) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص95 .

(5) البستاني ، بطـرس ، دائـرة المعـارف ، دار المعرفـة ،(بـيروت ، بـلا . ت) ، 11/ 190 ؛ جـواد علـي ، المفصـل ، 4/ 142 .

(6) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 9 .

عيونها ومياهها ووفرة محاصيلها، كانت مركزاً تجارياً مهما ومحطة للقوافل التجارية الذاهبة الى اليمن ، لذا ارتبطت بمكة اقتصادياً واجتماعياً وتاريخياً [1].

هذا الارتباط بمكة رفع من مكانتها الى مكانة مكة كما يظهر ذلك من قوله تعالى "وقالو لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" [2].

ويصف ابو الصلت خصب الطائف :

ويانع من صنوف الكرم عنجدنا	منه ونعصره خلاً ولذانا
قد ادهأمت وامست ماؤها غدق	يمشي معاً اصلها والفرع ابانا
الى خضارم مثل الليل متجئاً	قوماً وقضباً وزيتوناً ورمانا
فيها كواكب مثلوج مناهلها	يشفي الغليل بها من كان صديانا [3]

والطائف مدينة صغيرة قديمة البنيان ، وقد سميت بهذا الاسم لان رجلاً من الصدف يقال له الدمون بن عبدالملك (كان تاجراً ثرياً) قتل ابن عم له بحضرموت ثم خرج هارباً حتى نزل بارض الطائف ، فخالف مسعود بن معتب الثقفي ، وتزوج من ثقيف . وفي مقابل ذلك اقام لهم طوفاً مثل الحائط حتى لايصل الى ثقيف احد من العرب ، ويكون هذا الطوف حصناً لثقيف فبناه بماله ، وسمي الموضع لذلك بالطائف [4] ، لقد ادت الاساطير والروايات دوراً بارزاً في التسمية [5].

---

[1] المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص112 ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 188-191 .

[2] سورة الزخرف 43، الآية 31 .

[3] ابن خميس ، عبدالله بن محمد ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة والترجمة والنشر، الرياض ، (السعودية ، 1970) ، ص256 .

[4] البكري ، معجم ما استعجم ، 1/ 67 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 9 . ينظر : البغدادي ، صفي الدين عبدالمؤمن ابن عبدالحق (ت739هـ) ، مراصد الاطلاع ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1955) ، 2/ 877.

[5] في تسميات الطائف ينظر : ابن المجاور ، جمال الدين ابي الفتح يوسف الدمشقي (ت690هـ) ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة بتاريخ المستبصر ، طبعة (ليدن ، 1951) ، ص19 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، 1/ 258 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 9 ؛ ابن خميس ، المجاز بين اليمامة والحجاز ، ص265 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص40 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 1/ 191 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، 1/ 303 ؛ ابن خلدون ، محمد بن عبدالرحمن (ت 808هـ) كتاب العبر وديوان المبتداء والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من

وكان السبب في اختلاف الجغرافيين العرب في جعل الطائف حجازية ، هي وقوعها على الحافة القريبة لهضبة نجد ، ولكن الكثير من الجغرافيين لم يجعل الطائف من ضمن مدن الحجاز، والقسم الاخر من الجغرافيين وضعها ضمن مدن الحجاز بل من مدنه المهمة ، ومن هذه الحسابات قربها الجغرافي من هذه المنطقة لاسيما مكة ، زيادة على تشابه طبيعتها مع معظم مدن الحجاز ، فقد حدد ابن رسته موقعها بانها من مدن الاقليم الثاني [1] وقد اجمع الرحالة الجغرافيون على انها تقع على مسيرة ثلاث مراحل من مكة ، وهي كذلك تقع على خط الطول نفسه من المشرق الى المغرب مع مكة [2].

المناخ

تقع الطائف على ظهر جبل غزوان وهو ابرد مكان في الحجاز وربما جمد الماء في ذروته في الشتاء وهي على عكس مكة ، مرتفعة ذات جو طيب في الصيف ، فيه زرع وضرع وغنى جادت الطبيعة به على اهلها وقد كانت الطائف وما زالت مصيفاً طيباً يقصده اهل مكة فراراً من وهج الشمس [3] واهم مايميز الطائف من مدن الحجاز ، فضلاً عن اهميتها التاريخية اذ توغلها في القدم فهي من المراكز الحضارية في الحجاز لها اهمية اقتصادية ، واسهم في ذلك المناخ وخصوبة الارض وتوفير المياه اذ اشير الى توافر المياه العذبة فيها ، وهي تأتيها من العيون والجداول المنحدرة من الجبال . ساهمت هذه الظروف مجتمعة على ان تكون الطائف مدينة زراعية ومنذ القدم واصبحت الزراعة معاش اهل الطائف وموردهم الاقتصادي الاول [4] وأهَلها موقعها على الطريق التجاري الذي يربط اليمن بكل من مكة ويثرب ان تكون سوقاً تجارياً ترتاده القبائل العربية في اكثر ايام السنة .

ذوي السلطان الاكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون،مؤسسة جمال = = للطباعة والنشر ، (بيروت ، 1979) ، 2/ 79 ؛ البستاني ، دائرة المعارف ، 6/ 327ـ328 ؛ القزويني ، اثار البلاد ، ص97 .

(1) الاعلاق النفيسة ، ص96 .

(2) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص303 .

(3) ابن حوقل ، صورة الارض ، ص39 ؛ القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص119 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 9 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 1/ 191.

ويشرف جبل غزوان ، اعظم جبال السراة على المدينة ، وجبال السراة تمتد بمحاذاة البحر الاحمر ، وكان يعتقد انها تبدأ من اليمن لكي تصل الى الشام [1] وتشرف السراة الشرقية على هضاب متفتحة على بلاد العرب عن طريق افجاج وشعب واودية تنتهي الى البحر ، وقد سهلت هذه الشعب الاتصال بين القبائل الضاربة في الداخل والمدن التجارية بالحجاز ، ومن بين هذه الوديان وادي نعمان بين الطائف وعرفة ، وفيه طريق الطائف المختصرة الى مكة [2]، وجبال السراة جنوبي الطائف امتداد لجبال اليمني ، وهي جبال كانت تتخذ اسماء القبائل التي سكنتها مثل، "سراة بن علي وفهم وسراة بجيله والازد ابن سلامان وسراة المع ودوس وغامد" [3].

ويحيط بالطائف نطاق من المزارع والبساتين تمتد الى نحو ثلاثة او اربعة كيلو مترات من المركز العمراني بالمدينة ، ويطوق جبل غزوان جانباً من هذه المزارع في حين ينفتح سهل الطائف تجاه مكة [4].

وتتميز ارض الطائف بكونها متنوعة بتضاريس الطبيعة ، فمن وديان الطائف وادي وج ووادي وج هو واد الطائف الرئيس يقول فيه الثقفي :

سقينا لوج وجنوب وج   واحتله غيث دراك الثج [5]

ووادي نخب وهو من الطائف ساعة ، ووادي العرج وهو غير العرج الذي بين مكة والمدينة [6]. ويذكر البكري ان وادي نخب وادٍ من وراء الطائف [7] ، ووادي بسل اعلاه لفهم واسفله لنصر [8] ووادي ليه يقع في في شرقي الطائف ، وعلى مقربة من المدينة [9] ، وفيه البساتين والمناظر

---

[1] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص85 .

[2] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص233 .

[3] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص233 .

[4] سالم، السيد عبدالعزيز ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص321 .

[5] الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص29 ؛ الزمخشري، الازمنة والامكنة والبقاع ، ص220 .

[6] الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص29 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 98ـ99 .

[7] معجم مااستعجم ، 4/ 1301 .

[8] الاصفهاني ، بلاد العرب ، ص30 ؛ الزمخشري ، الازمنة والامكنة والبقاع ، ص211 .

[9] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 30.

الجميلة ومياهه تصب في منطقة يقال لها "المختلطة ويلتقي بوادي نخب" [1] وان هذا الوادي يقع في القسم الشرقي من الطائف ويسكنه بنو النصر من هوازن [2]، ووادي جفن "من يماني الطائف واد يقال له جفن لثقيف وهو بين الطائف وبين معدن البرام ويسكن معدن البرام قريش وثقيف [3]، ووادي جلدان منقلب الى نجد في شرقي الطائف ويسكنه بنو هلال [4] ووادي مشريق وهو لبني امية من قريش" [5].

ونستنتج من هذا كله ان هذه الاودية المنتشرة باعداد لابأس بها في هذه المدينة وخارجها ربما يعود الى تنوع تضاريسها وغزارة امطارها التي تسقط في الطائف والمناطق المجاورة ، وقد تستخدم هذه الوديان للاغراض الزراعية الواردة في اشارات كتب الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين والتي تركز على اهمية المحاصيل الزراعية والتي تمتاز بجودتها وتنوعها ، وهذه المحاصيل كانت تنتج بكميات كبيرة اذ تفيض عن حاجة السكان المحليين فقد كانت تسوق الى مكة .

ان هذا التنوع في التضاريس الارضية اعطى للطائف صفة مميزة عن بقية مناطق الحجاز ونجد ، فقد اجمع الجغرافيون العرب انه لم يجمد الماء في أي مكان في الجزيرة العربية عدا الطائف ، هذا التنوع في المناخ واعتداله بالنسبة للحجاز جعل اهل مكة يتخذون الطائف ملجأ لهم من حر الصيف الشديد وقد قال الشاعر في هذا :

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 275.

[2] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص233

[3] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص233 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 147 .

[4] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص233 . ويذكرها الاصفهاني انه بلد بين ليه وبسل وتسكنه بنو نصر ، ينظر : بلاد العرب ، ص30 .

[5] الهمداني ، صفة جزيرة العرب، ص233 . ويذكره الاصفهاني بوادي الشريف وهو من بلاد الطائف بين الطائف وبين عرفة . ينظر : بلاد العرب ، ص31 ؛ دائرة المعارف الاسلامية ، نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندي وآخرون ، 15/ 54ـ55 .

تشتو بمكة نعمة   مصيفها بالطائف [1]

وقد قورنت الطائف بمكة قبل الاسلام ، واشار بذلك الى هـذا المعنـى الكـريم بقوله تعالى"وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " [2].

ان هذه المساحات الزراعية الواسعة ووجود الغابات المنتشرة على سـفح جبـل غزوان شجع اهل الطائف على الصيد ، فأخـذوا يمارسـون اعمـال صـيد الحيوانـات والطيور واصبحت لهم مهنة تدر عليهم اموالاً كثيرة فاصبح موردهم بعـد الزراعـة ، واشتهر اهـــل الطائف ببعض الصناعـــات لاسـيما الصـناعات الجلديـة وصـناعة العسل [3].

السكان

كانت الطائف في عصر ما قبل الاسلام قريتين فقط ، احـداهما تـدعى طـائف ثقيف وهو مما يلي الطائف ، والاخرى على الجانب الآخر ناحية الـوهط ، والـوادي يمر بين القريتين وبالرغم من جودة محاصيل الطائف الزراعية وتعـاطيهم كـل اسـباب التجارة ، الا ان الطائف انذاك كان على حالة سيئة "بيوتها لاطئة حرجة وبقايـا ميـاه الوادي تجري عليه مياه المدابغ فيها الاديم تصرع الطيور رائحتها اذ مرت " [4].

وبالرغم من ذلك فان الطائف شكلت نقطة جذب لسكان شبه الجزيرة العربية للاستقرار فيها منذ اقدم العصور ، وذلك لتفوق هذه المنطقة على غيرها مـن منـاطق شبه الجزيرة العربية من حيث توفر وسائل العيش فيها ، غير ان مالدينا من معلومات تاريخية عن نشأة هذه المدينة وتطورها على درجة من القلة ، وان معظم ما وصل الينا

[1] ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ،ص134؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،4/ 12 .
[2] سورة الزخرف 43 ، الآية 31 . الطبري، محمد بن جرير _ ت310هـ) ، جـامع البيـان علـى تأويـل القـرآن ، دار الفكر ، (بيروت ، 1988) ،25/ 39 .
[3] الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص232 .
[4] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 9 .

من روايات في المصادر التاريخية غلب عليه الطابع الاسطوري ولاسيما نشأتها الاولى أي قبل الاسلام بالآف السنين وانما يؤكد ان تاريخ مدينة الطائف يرجع الى زمن بعيد ، وان يكون غامضاً ، فقد عثر الباحثون على كتابات مدونة على الصخور المحيطة بالمدينة ، وفي مواضع ليست بعيدة عنها ، بعضها بالنبطية ،و بعضها بالثمودية ، وبعضها الثالث بعربية القرآن الكريم وعثر على كتابات تشبه اليونانية واخرى تشبه الخط الكوفي وان كانت جميعها لم تدرس لحد الان [1] .

وقد تعددت الاراء حول اول من سكن الطائف ، فقد ذهب بعض الاخباريين الى ان اسمها (وج)نسبه الى وج اخو أجا الذي سمي به احد جبل طيء وهما من العماليق [2] لكن الهمداني له رأي اخر فيقول "ان وجاً وشرفات الطائف كانت لبني مهلائيل بن قيان غرسوا اوديته وذللوا خشانة ورعوا قريانة فلما عصوا الرحمن هب عليهم الطوفان" [3].

وهناك من يزعم ان اول من سكن الطائف انما هم من العماليق ثم غلب عليها بنو عدوان بن قيس بن عيلان ، ثم بنو عامر بن صعصعة ، ثم اخذتها منهم ثقيف [4] وذهب اخرون الى ان الذين سكنوا الطائف بعد العماليق ، انما هم قوم ثمود قبل ارتحالهم الى وادي القرى ، ومن ثم فقد ربط اصحاب هذه الرواية نسب ثقيف بالثموديين الذي نسبوهم الى جد اعلى هو (قس بن منبه) الذي يجعله بعضهم من اياد ، في حين يجعله البعض الاخر من هوازن [5].

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 9 ؛ كمال ، محمد سعيد حسن ، الطائف ، مجلة العرب ، الجزء الاول ، السنة الرابعة ، 1969 ، ص17 .

[2] جواد علي ، المفصل ، 4/ 143 .

[3] صفة جزيرة العرب ، ص330 .

[4] ابن قتيبة ، المعارف ، ص36 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ،2/ 397 (مادة وجج) .

[5] البلاذري ، انساب الاشراف ،1/ 25 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، / 301 ؛ ياقوت الحموي ،3/ 9ـ11؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص198ـ200 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ،1/ 343 ؛ ابن خلدون ، العبر ،2/ 309 ؛ مونتغمري واط ، محمد في المدينة ، تعريب : شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة ، (بيروت ، بلا) ، ص121ـ150 .

اما ابن هشام فيرجع اصول ثقيف الى "اياد فهو قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن افضي بن دعمي بن اياد بن معد عدنان "[1].

ومما تقدم نعتقد وبعد استقراء ما اوردته المصادر ان قبيلة ثقيف ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالطائف حتى تصور الكثير ان ثقيف اول من استوطن الطائف ، وقد مرت الطائف بثلاث مراحل حتى وصلت الى تسلم السلطة والسيادة على الطائف ، وقد بدأت المرحلة الاولى حين قابل ثقيف (قسي بن منبه) * عامر بن الظرب العدواني سيد مدينة الطائف في ذلك الحين واقنعه بتزويجه من ابنته التي ولدت له من الابناء ما ساعده على تقوية مركزه وتوسيع نفوذه في الطائف . اما المرحلة الثانية فبدأت حينما تحالف بنو ثقيف مع بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ضد بني عدوان ، حتى تمكنوا من اجلائهم عن الطائف . اما المرحلة الثالثة التي تمكن فيها بنو ثقيف بعد ان كثر عددهم وزادت قوتهم الاقتصادية بسبب عملهم في الزراعة من الانفراد بمدينة الطائف فقد تمكنوا من اقناع بني عامر بن صعصعة الذين كانت تغلب عليهم البداوة بان يتخلوا عن اراضيهم لثقيف لاستثمارها في الزراعة مقابل اعطائهم نصف المحاصيل التي تغلها تلك الاراضي وكان بنو عامر طوال هذه الحقبة يحمون ثقيفاً ممن اراد العدوان عليهم من ابناء القبائل المجاورة ، فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها وبنو سوراً على الطائف وحصنوه ومنعوا عامراً مما كانوا يحملونه اليهم من نصف الثمار ، واراد بنو عامر اخذه فلم يقدروا عليه ، فقاتلوهم فلم يظفروا منهم بشيء وانتصرت ثقيف ، وتفردت بعد ذلك بملك الطائف حتى ضربت العرب المثل بمنعه ثقيف في مدينة الطائف ، ففي قصيدة ابو طالب بن عبدالمطلب :

منعنا ارضنا من كل حيّ   كما امتنعت بطائفها ثقيف

---

[1] السيرة النبوية ، 1/ 46 .

* قسي : اسم لثقيف : سمي بذلك لانه مر على ابي رغال وكان مصدقاً فقتله فسمي قسياً لقسوته قال : اخبرهم نحن قسي وقسا ابونا) . ينظر : ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 6/ 25 ، هامش (1) .

اتـــاهم معشـــر كـــي يســـلبوهم   فحالت دون ذلكـم السـيوف [1]

وقال بعض الانصار :

فكونوا دون بيضكم كقوم   حموا اعنابهم من كل عادي [2]

اما ثقيف فهي فرقتان ، بنو مالك والاحلاف ومن اشهر رجـالات بـني مالـك السائب بن الاقرع ومن رجالات الاحلاق المختار بن ابي عبيد والحجاج بن يوسـف الثقفي وامية بن الصلت وابو محجن الثقفي [3].

لقد دار بين الاحلاف وبني مالك كثير من الحروب بسـبب الرئاسـة والسـيطرة وقليلاً ما كان يسود الصفاء بينهما ، ويلمس ذلك من قول الشاعر ربيعة بـن سـفيان احد بني عوف بن عقدة من الاحلاف [4]

ومـا كانـت ممـن ارث الشـر بيـنهم   ولكـــن مسعـــود احباهـــا وجنـــدبا

عناقـاً ضروسـاً بـين عـوف ومالـك   شـديداً لظاهـا تـترك الطفـل اشـيبا

فكانت للاحلاف احد الحزبين عهـداً واقلـهما اخـذاً باسـباب الحيـاة الرغيـدة ولكنهم نجحوا في الاستئثار بسدانة اللات ، وقد احسن هؤلاء بـانهم دون منافسـيهم بني مالك في الثراء وامتلاك الارض فسعوا الى تعـويض نقصـهم بالبراعـة الفائقـة في سياسة الامور والتنظيم ، وقد خرج اعظم شعراء الطائف واكثـر شـيوخها هيبـة مـن الاحلاف اضف الى ذلك "توسطوا الحجـاز واحاطـة قبائـل مضـر والـيمن وقضـاعة فحمت دارها" [5].

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،4/ 11؛ البستاني ، دائرة المعارف (مادة طائف) ،6/ 327ـ328 .

[2] ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 4/ 11.

[3] ابن قتيبة ، المعارف ، ص41 . وللتفاصيل ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 1/ 266ـ268 .

[4] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، 1/ 685 . مسعود : هو مسـعود بـن معتـب علـى راس الاحـلاف. جنـدب : هـو جندب بنو عوف بن الحارث بن مالك على رأس بنو مالك .

[5] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 4/ 10 .

ويصف لامانس ذلك الصراع بين الاحلاف وبني مالك هو "صراع بين حزبين فشكل هذا الصراع سعادة الطائف واستقرار اهلها ، وشل اقتصاد المدينة وعاق نموه وازدهاره "[1].

اما منازل القبائل فيها فان الطائف لم تسكنها العناصر الاجنبية بل كانت تسكنها القبائل العربية "فهوازن بن منصور فيهم بطون كثيرة يجمعهم ثلاثة احرام كلهم لبكر بن هوازن وهم بنو سعد بن بكر وبنو معاوية وبنو منبه بن بكر وكان بنو سعد قد سكنوا شرقي الطائف "[2].

واما بنو معاوية بكر بن هوازن ففيهم بطون كثيرة منهم بنو نصر بن معاوية الذين منهم مالك بن سعد بن عوف ، ومنهم بنو جشم بن معاوية ، ومنهم رهط دريد بن الصمة وكانت مواطنهم بالسروات ، ومنهم بنو سلول ومنهم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية وكانوا في الغرب ، ومنهم بنو يزيد ، ومنهم بنو عامر بن صعصعة[3].

اما بنو عوف بن ثقيف والذين يعرفون بالاحلاف فمنهم سعد بن عوف ومنهم عتبان بن مالك بن سعد بن عوف ومنهم الاخنس بن شريق بن عمرو الحلاج طبيب العرب[4]. وكانت مواطنهم حول الطائف على جبل الحجاز بين مكة والطائف[5].

خلاصة قولنا ان مساكن الاحلاف في وادي ليه شرقي الطائف ووادي لقيم شمال الطائف اما مساكن بني مالك فهم في شرقي وجنوب شرقي الطائف[6].

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية (مادة طائف) .

(2) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 1/ 264ـ265 ؛ ابن خلدون ، العبر ،2/ 309 ؛ عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، 1/ 148 . بنو سعد بن بكر وهم آظار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارضعته منهم بنت ابي ذؤيب بن عبدالله بن الحرث بن السحنة بن نصير بن سعد .

(3) ابن خلدون ، العبر ،2/ 310؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، 2/ 539ـ540 (عند وادي مشريق) .

(4) ابن خلدون ، العبر ،2/ 309 .

(5) عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، 1/ 147 .

(6) عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب ، 1/ 147 .

مما تقدم يتضح ان القبائل العربية التي سكنت الطائف كانت قد عاشت عيشه هانئة بسبب الطبيعة الجغرافية التي مكنتهم من الاستقرار وتحقيق الاكتفاء والرخاء وكانت مصيفاً لاهل الحجاز .

وعلى الرغم من بعض الروايات التاريخية تشير الى ان الطائف "كانت مهرباً وملجأ لكل هارب من ابناء القبائل"[1] فلا الكتب التاريخية ولا الكتب الجغرافية تحدثنا عن اضطراب او شغب حدث في هذه المدينة ، فقد بقيت لثقيف السيادة الداخلية عليها ونبغ منها عدد كبير من ابنائها ممن كرسوا جهودهم وحياتهم لخدمة الاسلام .اضف الى ذلك العلاقات الطيبة والمصاهرة بينها وبين مكة وبينها وبين يثرب فضلاً عن العلاقات الاقتصادية المتينة والسياسية بين تلك المدن الثلاث .

نلمس مما تقدم ان للطبيعة اثراً بالغاً في طباع الناس ، فاختلفت طبائع اهل الطائف بسبب ارتفاع ارضها وجوها المعتدل ، فصارت اخلاق اهلها اقرب الى اخلاق اهل اليمن ، وصاروا اذكياء وعقولهم متفتحة نيرة ، استغلوا ايديهم فزاولوا الحرف والمهن[2] حتى كان من تأثير الطبيعة ان العربي وصف بالخمول والكسل والرومانطيقية (أي الخيال) وعدم الصبر وبالانانية هذه الصفات ليس حاصل خصائص الدم وانما هي ظروف واحوال اجبرته على ذلك[3] .

---

[1] ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص22.

[2] جواد علي ، المفصل ، 1/ 290 .

[3] جواد علي ، المفصل ، 1/ 291 .

الفصل الثاني
القبيلة ودورها في البنية الاجتماعية

المبحث الأول

القبيلة ونظامها

العصر ما قبل الإسلام اهمية كبيرة فهو فجر امتنا ، والتعرف الى دقائقه سبيل الى التعرف الى مكونات هذه الامة العظيمة ومقوماتها وميزاتها ، وهذا العصر وما دفع فيه من حروب داخلية ، ونمت فيه قيم تعارف عليها المجتمع العربي ، ومثلت هذه القيم والاعراف التي نحن بصدد دراستها بمفهومها الاساسي العلاقات القائمة بين افراد المجتمع ، وفي كل مظاهر حياتهم اليومية .

ان المجتمع العربي اعتمد في تركيبته الاساس على المفهوم القبلي حتى ولو عاش عيشه حضارية . وان صلة الدم او النسب هي العامل الجوهري في الانتماء لهذا المجتمع ، الذي هو مجموعة من القبائل العربية المنتشرة على ارض الجزيرة العربية في صحرائها ، وحواضرها ، وكلها في بنيتها الاساسية الاجتماعية متشابهه ان لم تكن متماثلة . لقد مثلت تلك القيم والافكار القبلية التي سادت عصر قبل الإسلام بفعل عوامل كثيرة ، اسس النظام الاجتماعي لدى عرب الجزيرة بقسميهم البداوة والحضر رغم اختلافهم احياناً تبعاً لتلك العوامل [1].

ان فهم العلاقات الاجتماعية لايتم الا من خلال دراستها في اطار الوسط الذي نمت فيه ، أي من خلال الكيانات السياسية وتنظيمات القربى والظروف الاقتصادية وغيرها من التنظيمات الاجتماعية الاخرى التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام [2]، لاسيما الحياة الاجتماعية وعلاقاتها وليدة اسباب متعددة اهمها الحياة اليومية التي يعيشها الفرد وما تتطلبه من حاجات تحتم على طالبها اقامة علاقات مع الجماعات ، لان الجزيرة العربية قد غلبت الطبيعة

---

(1) الجبوري،منذر، ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي،دار الحرية للطباعة، (بغداد ، 1974)، ص65 .

(2) الربايعة ، احمد ، عبادة الاصنام في الجزيرة العربية قبل الاسلام ووظيفتها الاجتماعية ، مجلة ابحاث اليرموك ، المجلد / 3 ، العدد الاول ، (الاردن ، 1978) ، ص39 .

الصحراوية عليها وظهر الجفاف فيها، لذا كان ذلك سبباً في عدم نشوء مجتمعات حضرية ، وحكومات مركزية كبيرة فيها [1].

ولكن نشأت فيما بينها علاقات اجتماعية وتولّد داخلها قيماً وتقاليد ، الامر الذي ادى الى بروز الحاجة الى قيام نوع من النظام والحكم يرتب العلاقات داخل هذا الكيان ويعمل على حمايته ، لان القبيلة هي الكائن الاجتماعي الطبيعي في هذه البيئة اصبح لها ضرورة لازمة للدفاع عن النفس والحماية [2]. اذ انها تمثل الكيان المستقل في مواطنه وادارته ، وقد ساعد ذلك على نشوء قيم واعراف في داخلها ، وتكيف ابناء القبيلة على هذه القيم والاعراف مما ادى الى تكوين مجتمع مستقر ، منظم يوفر الاحساس بالانتماء للجماعة ويؤدي فيما بعد الى نمو العلاقات في جو من التواصل الاجتماعي .

وقبل التطرق الى الاساس الذي قام عليه المجتمع العربي واعتمد على النظام القبلي روحاً وقالباً وشكل النظام الاساس السائد في ذلك المجتمع ، وكانت العرب قد قسمت الانساب على ست مراتب هي : ـ

"الشعب لان القبائل تشعبت اما القبيلة وهي ما انقسم في انساب الشعب مثل ربيعة ومضر ، وسميت قبيلة لتقابل الانساب فيها ولان العمائر تقابلت عليها مثل قريش ، وكنانة ، ثم البطن ، وهو ما انقسم في انساب العمارة مثل عبد مناف وبني مخزوم ثم الفخذ وهو ماانقسم في انساب البطن مثل بني هاشم وبني امية ثم الفصيلة وهي ما انقسم فيه انساب الفخذ مثل ابي طالب وبني العباس" [3]. وانفرد بعض

---

[1] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 1/ 183 .

[2] الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، 1949) ، ص35 .

[3] السمعاني ، ابو سعد عبدالكريم بن منصور (ت562هـ) ، الانساب ، تصحيح وتعليق : الشيخ عبدالرحمن أبن يحيى اليماني ، مطبعة المعارف العثمانية ، حيدراباد ، ط1، (الهند ، 1962) ، 1/ 18 ؛ المقريزي، ابي العباس احمد بن علي (ت 845هـ)، النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، قدم له : السيد محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، (النجف ، 1966) ، ص62 ؛ ابن رشيق ، ابي علي الحسن (ت456هـ) ، العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، (بيروت ، 1972 ، 2/ 192 ؛ ينظر : الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 188ـ189 ؛ ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 3/ 66 ومابعدها .

النسابين وجعلوها عشر مراتب فزاد قبل الشعب الجذم والجماهير وجعل المرتبة العاشرة الرهط ، فهم الرجل واسرته [1].

اولاً : القبيلة

والقبيل في اللغة "الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى كالزنج والروم والعرب ، وقد يكونون من نحو واحد ، وربما كان القبيل من اب واحد كالقبيلة" [2].

كانت القبيلة تمثل الوحدة الاجتماعية والسياسية المستقلة ، والقبيلة مجموعة من الناس ينتمون الى اصل واحد مشترك [3].

وشكلت القبيلة التي كان النسب لها بمثابة الروح التي تهب الحياة والدعامة القوية التي قام عليه نظامها ، فقريش قبيلة ، وثقيف قبيلة ، والاوس والخزرج قبيلة ، وذلك لان هؤلاء وان تحضروا او استقروا فانهم ظلوا متمسكين بالانتساب الى جد اعلى بناءً على قوله تعالى "هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها" [4] وقد يكون اباً لعدة بطون ، ثم اباً لقبيلة .

ويلاحظ التباين في المصادر العربية حول عدد افراد القبيلة واطلاق مصطلح القبيلة حتى على افراد لم يتجاوزا الاثنين او الثلاثة افراد [5]، مما يوحي بان مدلول هذه المصطلحات ليس محل اتفاق في المصادر العربية القديمة .

على العموم كانت القبيلة وحدة سياسية مستقلة قائمة بذاتها وكانت وحدة اجتماعية لها نظمها واعرافها وتقاليدها ، ولكن هذا لايعني ان كل قبيلة قبل الإسلام كانت تعيش في عزلة عن اخواتها سياسياً واجتماعياً ، بل كانت هناك علاقات

---

[1] النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت733هـ) ، نهاية الارب في فنون الادب ، مطابع كوستاتوماس ، القاهرة (نسخة مصورة عن دار الكتب) ، 2/ 283 .

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 541 مادة (قبل) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، تحقيق : حسين نصار ، 13/ 53 .

[3] فيليب حتي ، تاريخ العرب مطول ، 1/ 34 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 1/ 365 .

[4] سورة الاعراف 7، الآية 189.

[5] ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص256 .

سياسية تربط فيما بينهم وتتمثل بالاحلاف او المعاهدات والجوار ، وعلاقات اجتماعية تتمثل بالمصاهرات التي شغلت دوراً هاماً في ربط القبائل بعضها ببعض ، فضلاً عن العلاقات التجارية من خلال تبادل المنتجات بين القبائل في اسواق ومواسم معروفة [1].

وشكلت الاسرة نواة القبيلة ومن تجمع هذه الاسر التي تربط بينها اواصر الرحم وتلتقي انسابها عند الاب المشترك ، لذلك نجد اهل النسب يرجعون نسب كل قبيلة الى جد اعلى ثم يرجعون انساب اجداد القبائل الى جدود اقدم [2].

فالقبيلة عماد الحياة في شبه الجزيرة العربية سواء كان ذلك في البادية ام في الحواضر . وهي الوحدة السياسية الهامة عند العرب ، بل انها الحكومة الوحيدة التي يفهمها العرب ، ويختلف افرادها من قبيلة الى اخرى ، فالقبيلة في حالة تغير فهي تتجزأ الى عشائر وبطون نتيجة للتوسع الذي يحصل فيها من زيادة افرادها بمرور الوقت [3] فاذا كنا نسمع عن بني مناف فبمرور الوقت يزداد افراد بني عبد مناف فنسمع عن بني هاشم وبني عبد شمس [4].

وظل العربي لصيقاً بقبيلته ، لانه لم يشاهد حكومة اخرى فوقها، وظل اسير تقاليد واعراف القبيلة وما عليه من واجبات ومنها الدفاع في اوقات الحرب ولايصدق دفاعهم وذيادهم الا اذا كانوا عصبة واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبيهم ، اذ نعره * كل احد على نسبه وعصبيته اهم ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنعرة ،على ذوي ارحامهم وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم وبعد ذلك فيما

---

[1] ابي عبيد ، القاسم بن سلام ، النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، تقديم : سهيل زكار ، دار الفكر ، (دمشق ، 1989) ، ص64 .

[2] جواد علي ، المفصل ، 4/ 313 .

[3] العلي ، صالح احمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، 1968) ، ص154 .

[4] واط ، مونتغمري ، محمد في مكة ، تعريب : شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة ، (بيروت ، 1952) ، ص42 .

* نعره : نعر القوم ، هاجوا واجتمعوا في الحرب . ابن منظور ، لسان العرب ، 3/ 266 مادة (نعر) .

حكاه القرآن الكريم عن اخوة يوسف حتى قالوا لابيه "لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذاً لخاسرون"[1] والمعنى انه لايتوهم العدوان على احد مع وجود العصبة[2]. والعرب تقول "في الجريرة تشترك العشيرة"[3].

وعلى الرغم من ان القبيلة هي الوحدة السياسية في المجتمع القبلي ، الا انها احياناً لاتحافظ على تماسكها بل قد تنقسم القبيلة الواحدة الى قبيلتين او اكثر تحوي كل منهما سلالة احد ابناء الجد الاعلى وتسمى باسمه وعلى الرغم من وحدة النسب بين القبائل المنقسمة الا ان ذلك لم يمنع من حدوث حروب متكررة بينها[4]. ويمكن ملاحظة ذلك في مكة ، التي شهدت صراعاً بين هاشم بن عبد مناف وعبد شمس ، وكذلك بين الاوس والخزرج في يثرب[5].والاحلاف وبني مالك في الطائف[6].

الا ان هذا التنافس الذي شهده المجتمع الحضري هو اقل حدة مما هو عليه في البادية بسبب ظروف الاستقرار التي وفرها المجتمع الحضري ، فضلاً عن الرغبة القوية في المحافظة على المصالح العليا ، التي خلقها التطور الاقتصادي وذهب المستشرقون بعيداً حين جعلوا الاسرة لا القبيلة هي الخلية الاجتماعية[7].

ان القبيلة هي منبع القيم الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك المجتمع لا الاسرة ، فالفرد يشعر بولاء مطلق لا لاسرته فحسب ، بل لقبيلته في المقام الاول .

---

(1) سورة يوسف 12 ، الآية 14.

(2) ابن خلدون، محمد بن عبدالرحمن (ت 808هـ) ، مقدمة ابن خلدون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص128 .

(3) الميداني ، ابي الفضل احمد بن محمد (ت518هـ) ، مجمع الامثال ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، (بيروت ، 1987) ، 2/ 443 .

(4) واط ، محمد في مكة ، ص42 .

(5) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 429،131 .

(6) العبيلي ، عبدالجبار منسي ، الطائف ودور ثقيف في العصر الجاهلي الاخير حتى قيام الدولة الاموية ، دار الرفاعي للنشر والطباعة ، المملكة العربية السعودية ، 1983 ، ص84 .

(7) جمهرة من المستشرقين باشراف توماس ارنولد ، تراث الاسلام ، تعريب : جرجيس فتح الله ، المطبعة العصرية ، (الموصل ، 1954) ، 1/ 3 .

ثانياً : شيخ القبيلة

تعتمد قوة القبيلة ومكانتها بين القبائل بالدرجة الاولى على قوتها ومكانة رئيسها وقوته وشجاعة ابنائها ، فحكمة الرئيس ودرايته وحنكته وشجاعته ومكانته الاجتماعية تجعله مهيباً بين رؤوساء القبائل الاخرى وتخشى من بطشه فتعقد معه الاحلاف ، وبقوته وقوة حلفائه تتسع دائرة حكمه والعكس صحيح وبهذه الطريقة تكونت قبائل في داخل الجزيرة العربية وتطورت من نظام قبيلة الى نظام دولة مثل قريش والاوس والخزرج وثقيف، هذه القبائل اتصفت بالقوة والمنعة ، وسادت القبائل الاخرى [1].

اما اختيار شيخ القبيلة فيتم عن طريق مجلس القبيلة الذي كان يتألف من الملأ وهم اشراف القبيلة واعيانها والمتنفذين، "وكان اهل الجاهلية لايسودون الا من تكاملت فيه سبع خصال السخاء والنجدة والصبر والحلم والتواضع والبيان والغنى" [2].

ففي مجتمع مضطرب كالمجتمع القبلي يكون للصفات التي ذكرناها اهمية كبرى، فالحلم كان من الخصال المؤهلة للسيادة، فقد جنب الاحنف بن قيس قومه كثيراً من الحروب بحلمه ، والى جانب الحلم الغنى ، اذ ان المجتمع القبلي كثيراً ما ينظر الى الفقير نظرة ازدراء، فاوصى قيس بن عاصم بنيه الحرص على استصلاح المال لانه قيمة الكريم ، لذا وجدنا الشاعر يشترط اجتماع الثراء والجود معاً [3] من اجل الرئاسة .

اذ المرء اثرى ثم قال لقومه   انا السيد المفضي اليه المعمم
ولم يعطهم خيراً ابوا ان يسودهم   وهان عليهم رغمه وهو اظلم [4]

---

[1] علوان ، موسى بناى ، الشورى في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، مجلة الدارة ، العدد / 3 ، المملكة العربية السعودية لسنة 1984 ، ص 51.

[2] الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 187 .

[3] الاصفهاني ، الاغاني ، 14/ 82 .

[4] الجاحظ ، ابو عمرو بن بحر(ت255هـ) ، الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي، ط1 ، (مصر ، 1938) ، 3/ 83 .

"قال رجل لسلم بن نوفل : ما ارخص السؤود فيكم ؟ فقال سلم : اما نحن فلا نسود الا من بذل لنا ماله ، واوطأنا عرضه ، وامتهن في حاجتنا نفسه ،فقال الرجل : ان السؤود فيكم لغالٍ" [1].

وكانت القبيلة ترى من حقها مشاركة سيدها في ماله ، وقال رجل من العرب " نحن لانسود الا من يوطئنا رحله ويفرشنا عرضه ويملكنا ماله " [2].

وضمن نطاق القبيلة فان الوحدة السياسية والاجتماعية تتجلى في خضوع جميع الافراد لسيد القبيلة "فكانت قبيلة هوازن تعظم سيدها زهير بن جذيمة تعظيماً شديداً ولا ترى فيه الا ربا" [3].

على ان السيادة لم تكن قائمة على مبدأ الوراثة وحدها فنجد عامر بن الطفيل سيد بني عامر يفخر بانه نال السيادة بلا وراثة فقال :

انــي وان كنــت ابــن سـيد عــامر وفارســها المنــدوب في كــل موكــب

فمــا ســودتني عــامر عــن وراثــة ابــى الله ان اسمــو بــام ولا اب

ولكــنني احمــى حماهــا واتقــي اذاهــا وارمــي مــن رماهــا بمنكــب [4]

لكن هذا لايمنع من القول بان انتقال السيادة بطريقة الوراثة كان من المبادئ المتعارف عليها في المجتمع القبلي .

---

[1] ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت276هـ) ، عيون الاخبار ، دار الكتاب العربي . نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ،(بيروت ، 1925) ، 3/ 226 ؛ المبرد ، ابي العباس محمد بن يزيد (ت285هـ) ، الكامل ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، دار النهضة ، (مصر ، بلا . ت) ، 1/ 128 .

[2] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 1/ 226؛ النص ،احسان ، العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي ، دار اليقظة العربية للتاليف والترجمة والنشر ، (بيروت ، 1964) ، ص74 .

[3] الاصفهاني ، الاغاني ، 11/ 82 .

[4] ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 1/ 277 ؛ الجاحظ ، الحيوان ، 2/ 95 ؛ القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي ، ذيل الامالي والنوادر ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص 118 ؛ ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 3/ 128 .

ومثلما كان لشيخ القبيلة حقوق كانت عليه واجبات ، منها الدفاع عن القبيلة وحل الخصومات التي تنشب بين افراد القبيلة ، لكن سلطته لم تكن مطلقة ،بل كانت محددة برأى الزعماء وذوي البصر من اشراف القبيلة ، وقد اشتهر الكثير من رجال العرب بسداد الرأي والحكمة منهم اكثم بن صيفي [1] وقيس بن عاصم [2] وعامر بن الظرب العدواني [3] فضلاً عن الكثير غيرهم زيادة على شاعر القبيلة والخطيب والرجال المشهورين بالفروسية واصحاب المكانة كالكاهن والعراف والقصاص وكبار السن [4] .

ان السيادة كانت تتمع بمنزلة رفيعة ودرجة عالية ، فهي لا تأتي الا باعتراف القوم له بسيادته عليهم ، فكانوا اذا سودوا شخصاً عصّبوه ، ولهذا كانوا يسمون السيد المطاع معصّباً ، وذكر ان العصّابة هي العمامة وكانت عمائم سادة العرب هي العمائم الحمر [5].

وكلت العرب توقر كبير السن وتحترم اراءه فغالباً ما يتم انتخاب رئيس القبيلة لكبر السن وهي ما تعرف بالمجتمعات الابوية ، وتتمثل فيه الطراز العليا للفضيلة والمروءة ، ويحدد احد المستشرقين هذه المهمة بقوله ان انتخاب رئيس القبيلة "لاتعدو المحافظة على وحدتها" [6].

---

[1] اكثم بن صيفي التميمي ، حكيم العرب في الجاهلية . ادرك الاسلام وقصد المدينة يريد الاسلام فمات في الطريق ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر : ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، 1/ 210 .

[2] قيس بن عاصم المنقري :احد امراء العرب وعقلائهم وهو ممن حرم على نفسه الخمر قبل الاسلام وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وفد تميم سنة 9 هـ فاسلم . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص238 .

[3] عامر بن الظرب : من حكام العرب وحكمائها ومن المعمرين قبل الاسلام يقال انه عمر ثلاثمائة سنة . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص135 ؛الجاحظ ، ابي عثمان عمر بن بحر (ت255هـ) ، البيان والتبين ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، 1975) ، 1/ 290 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص268 ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 64ـ65 .

[4] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص26 .

[5] الزبيدي ، تاج العروس ، 3/ 386مادة (عمم) ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 559 .

[6] بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص18 .

والحال تختلف في مكة اذ لم يكن هناك انتخاب لاختيار شيوخ مكة في الملأ ، انما كانوا يختارون ، على مايظهر ، حسب غناهم وخدماتهم التي يؤدونها "وكان هؤلاء الشيوخ ينظرون في شؤون مكة الدينية والتجارية " [1].

وشيخ القبيلة اب لكل افرادها وليس ملكاً متسلطاً عليها والى ذلك يشير معاوية بن مالك سيد بني كلاب :

نعطي العشيرة حقها وحقيقها ... فيها ونغفرذنبها ونسود

واذا تحملنا العشيرة ثقلها ... قمنا به واذا تعود نعود

واذا نوافق جرأة او نجدة ... كناسمي بها العدو نكيد

بل لانقول اذا تبوأ جيرة ... ان المحلة شعبها مكدود [2] .

وكان من عادة العرب حمل ملوكهم على الاعناق من مكان الى اخر اذا هو مرض اما نظراً لكبره ، واما ليعلم الناس بالامر فيدعون له بالشفاء يقول النابغة :

الم تر خير الناس اصبح نعشه ... على فتية قد جاوز الحي سائرا [3]

ومن حقوق شيخ القبيلة حقه في اطاعة اوامره ، وهناك شيوخ قبائل كان امرهم في قبائلهم كالدين المتبع لايعمل بغيره ابداً كقصي بن كلاب وكان على شيخ القبيلة ان يعين الضعفاء ، ويفتح بيته للنزلاء والاضياف ويدفع الديات عن فقراء قبيلته [4] وكذلك جرى العرف ان تكون له بعض الحقوق من الغنائم التي تحصل عليها القبيلة من جراء الحروب والغزوات ، وقد اجملها الشاعر عبدالله بن عتبة التميمي في بسطام بن قيس الشيباني بقوله :

---

[1] ضيف ، شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص150 .

[2] الضبي ، ابو عبدالرحمن المفضل بن محمد بن يعلى (ت170هـ) ، المفضليات ، تحقيق : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، 1942) ، ص355ـ356 .

[3] ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ،(بيروت ، 1969) ، ص69 .

[4] السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص363 .

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول [1]

وبلغ من اهتمام العرب لسيد القبيلة اعتقادهم ، بان دم رئيس القبيلة يشفي من عضة الكلب يقول الشاعر :

بناة مكارم واساه جرحٍ دماؤهم من الكلب الشفاء [2]

وكان للعرب حكام ترجع اليها في امورها وتتحاكم في منافراتها ومواريثها ودمائها ، فيذكر اليعقوبي "لم يكن لهم دين يرجع الى شرائعه فكانوا يحكمون اهل الشرف والصدق والامانة والرئاسة والسن والمجد والتجربة" [3]

وكان من عادة اهل مكة قبل الإسلام اذا مات لهم سيد كبير اغلقوا اسواقهم اعظاماً لموته ، تعبيراً عن تقديرهم له ، ومما يذكر انه "لم يقم لموت عبدالمطلب بمكة سوق اياماً كثيرة" [4].

وكان يوم وفاة سعد بن معاذ بالمدينة (يثرب) يوماً مشهوداً وحضر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جنازته وكبّر عليه تعظيماً لشأنه وشهد دفنه [5] .

اذن ثمة امران في كيان كل قبيلة هما العدد والبيت قال الشاعر :

لنا العزة الغلباء والعدد الذي عليه اذا عد الحصى يتخلف [6]

وقال الشاعر :

وجدنا اعز الناس اكثرهم حصى واكرمهم من المكارم يعرف

---

[1] الالوسي ، بلوغ الارب ، 1/ 293 ؛ ابو عبيدة ، معمر بن مثنى (ت209هـ) ، نقائض جرير والفرزدق ، طبعت بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ببغداد على نسخة مطبعة ليدن ، (بريل ، 1907) ، 1/ 236 .

المرباع : ربع الغنيمة تغنمها القبيلة والصفايا ، وهو مايصطفيه لنفسه من الغنيمة مثل القسمة . النشيطة : هو ما اصيب من مال العدو قبل اللقاء .ينظر : الالوسي ، بلوغ الارب ، 1/ 293 .

[2] الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 319 .

[3] تاريخ اليعقوبي ، 1/ 258 .

[4] انساب الاشراف ، 1/ 87 . ينظر : جواد علي ، المفصل ، 4/ 560 .

[5] ابن سعد،الطبقات الكبرى ، 3/ 433 ؛ الثعالبي ، ابي منصور عبدالملك النيسابوري (ت429هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تصحيح : محمد حسين ، مطبعة القاهرة، (القاهرة ، 1908) ، ص64.

[6] نقائض جرير والفرزدق ، 2/ 571 .

وكلتاهما فينا الى حيــث تلتقي عصائب لاقى بينهن العرف [1]

ويراد بالبيت الذي يتبوأ مركز السيادة في القبيلة لشرفها ، ربما يجتمع الامـران لاسرة واحدة ،حينئذ تصبح لها السيادة المطلقة ، شأن بني هاشم وبني امية وبني مالـك بن حنظلة بن زيــد مناة بني تميم ، وبني ربيعة بن عامـر بن صعصعة في قبيلـة بـني عامر [2].

على ان مركز الثقل القبلي عرضة للتغيير من حين الى آخر "فقد تنفصل القبيلة بناء على رغبة مجموعة منها ... وكان القانون السائد هو التميز بالشرف الذي يحـدده ويشحذه لغيره ، فغالباً كانت تنشب العـداوة الشخصـية والبغضـاء والحـرب القبليـة فتنشأ مجموعات جديدة وتختفي المجموعات القديمة" [3].

ثالثاً : مجلس القبيلة

لكل قبيلة من القبائل مجلس هو المنتدى الـذي يجتمعـون فيـه للتـداول وابـداء الاراء ، ولا وقت معلوم لانعقاده ، اذ الغالب انه ينعقـد يوميـاً في المسـاء في مضـيف شيخ القبيلة ، ولم تكن هذه المجـالس متشـابهه فمـثلاً في مكـة كـانوا يجتمعـون في دار الندوة التي انشأها قصي بن كلاب [4].

اما في يثرب فقد كان مجلس القبيلة يعقد بالسـقيفة ، مثـل سـقيفة بـني سـاعدة وسقيفة الريان في منازل بني بياضة ، الامر الذي يدل على ان لكـل قبيلـة مـن قبائـل

---

[1] نقائض جرير والفرزدق ، 2/ 568

[2] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، 1/ 211، 2/ 280 .

[3] Muir : Sir Wallam , the Life of Mohammad from original Sourocs , new and rev , ed . . by T.H Weir Ednburgh . 1923 , P. 93

[4] ابن هشام ، السـيرة النبويـة ، 1/ 125 ؛ صـالح ، احمـد عبـاس ، اليمين واليسـار في الاسـلام ، المؤسسـة العربيـة للدراسات والنشر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص25 .

الاوس والخزرج لها مثل هذه السقائف لكونها محل لاجتماع القبيلة تتخذه للتشاور في امورها الخاصة والعامة [1] . يقول الشاعر :

وما قام منا قائم في ندينا فينطق الا بالتي هما عرف [2]

اما في الحالات الطارئة فيعقد الاجتماع بالليل او بالنهار ، وقد ينادى منادٍ ليبلغ الجميع بالحضور وتدور في المجلس الاحاديث والمواضيع الكثيرة فيبرز الخطباء والشعراء والحكماء ، وكانت قرارات مجلس القبيلة تتخذ باغلبية الاصوات ، ولم يكن مجلس القبيلة خاضعاً لقانون مكتوب ، وانما ينظر في الامور على وفق الاعراف والتقاليد السائدة فيها التي كانت تنظم حياة الافراد ، كاقرار الامن وحفظ الحقوق وحماية مصالح الوافدين الى القبيلة والمحافظة على وحدة القبيلة والقضاء على الخلافات الداخلية وحلها حلاً سلمياً على اساس المصلحة العامة [3]. ويبدو ان المصادر لم تذكر نوادي او مراكز للعشائر وذلك لسعة رقعة يثرب وتباعد محلات سكن اهلها واشتغالهم بالزراعة دون التجارة وعزلتهم النسبية عن العالم الخارجي [4]

نستطيع القول ان الشورى هي الاسلوب الامثل عند العرب قبل الإسلام في في ادارة امورهم [5]، وقد قيل لرجل من عبس : ما اكثر صوابكم ، قال نحن الف رجل وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره ، فكانا الف حازم ، وكان عامر بن الظرب

---

[1] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 3/ 201 ؛ ابن شبة ، ابو زيد عمر بن النميري ، تاريخ المدينة المنورة ، تح : فهيم محمد شلتوت ، دار الاصفهاني ، (بلا مكان طبع ، بلا . ت) ، 2/ 419 ؛ هيكل ، محمد حسين ، منزل الوحي ، ص526 .

[2] نقائض جرير والفرزدق ، 2 / 564 .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 142-144

[4] صالح العلي ، الدولة في عهد الرسول (ص) ، ص 74 .

[5] الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، 1994) ، ص388 .

احد حكماء العرب قبل الإسلام يقول : "دعوا الرأي يغب حتى يختمر ، وإياكم والرأي الفطير ، يريد الاناة في الرأي والتشبث به "[1].

وقد وردت في كثير من الابيات الشعرية اشارات الى هذه المجالس وما كان يدور فيها يقول زهير بن ابي سلمى :

وفيهم مقامات حسان وجوههم   واندية ينتابها القول والفعل [2]

ان المتوفر لدينا من نصوص تاريخية تجعلنا امام حقيقة ثابتة من خلال التنظيمات الاجتماعية التي عرفها العرب، فالحديث عن أي امة ، وفي أي جانب من جوانب حياتها ، يحمل في طياته جوانب مشرقة ، واخرى مظلمة ، وعند حديثنا عن امتنا العربية تحديداً وفي حقبة من حقب حياتها ، نجد الكثير من المستشرقين ومن اخذ برأيهم من المؤرخين العرب على ان العرب التي عاشت الحقبة التي سبقت الإسلام كانوا في حالة من التخلف والفرقة والحروب والنزاعات حتى جاء الإسلام بثورته في كل مجالات الحياة للقضاء على هذا الواقع المتدني واصلاحه وتهذيبه . لانريد ان نغالي اذا قلنا ان العرب بلغت من الكمال مدى بعيداً في الحقبة السابقة للاسلام ولكن نقول انها قطعت شوطاً طويلاً من الرقي والتقدم الحضاري على جميع الاصعدة فكانت حقاً من الحضارات الراقية وبصورة تدريجية فهي بذلك شأنها شأن الامم الاخرى مع الافضلية لها . وعلى الرغم من ضنك العيش والطبيعة القاسية ، تمكن العربي من تسخير كل الظروف لمصلحته وترتيب حياته على وفق سياقات هي على درجة من الرقى فمارس التشاور وحرية الرأي ان جاز لنا التعبير باروع صورها، والا بماذا نفسر وجود القبيلة وانتخاب شيخ القبيلة والضوابط الموضوعه لانتخابه ، وعلى وفق معايير محددة يأتي في مقدمتها القدرة والكفاية في قيادة القبيلة ، واضعاً مصلحة هذه القبيلة فوق كل الحسابات زيادة على ذلك تخضع هذه المجتمعات لكبار

[1] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 1/ 62ـ63 .

[2] ديوان زهير بن ابي سلمى ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص62 .

السن ، فهي تعرف بالمجمعات الابوية والتي تتمثل فيها الطرز العليا للفضيلة والمروءة فلم تكن القيادة وراثية وانما كانت بالانتخاب وهذه الصفة اعطت للقبيلة الحرية بانتخاب افضل من يمثلها ومن ثم سيكون لشيخ القبيلة الدور البارز في المحافظة على مسيرة القبيلة سواء كانت السلمية ام الحربية ، فوضع شيخ القبيلة مصلحتها وحمايتها نصب عينيه بالمقابل فان افراد العشيرة تعامل شيخها معاملة الاكفاء والقرناء ، وكانت الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها قد سادت بين الناس على الاغلب زد على ذلك " ان للعربي ارستقراطية لاتقل عن ديمقراطيته فهو يؤمن ان فيه اجتمعت مقومات الكمال الانساني ، وان العرب افضل الامم وافخرها" [1]

رابعاً: العصبية القبلية

تعد العصبية القبلية الاساس المركزي الذي تقوم عليه عملية التضامن الاجتماعي في المجتمع القبلي وهي لاتهدف الى مراعاة الحق فحسب وانما تقوم على تضامن ابناء العصبة سواء كانوا ظالمين او مظلومين وقد جاء في لسان العرب [2] ان العصبية "هي ان يدعو الرجل الى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوؤهم ظالمين كانوا او مظلومين ... وعصبة الرجل، هم بنوه وقرابته القبلية ".

والتعصب القبلي بين افراد القبيلة لايدوم على وتيرة واحدة بين ابناء القبيلة ، وانما يتأثر بعوامل اخرى تكون المصلحة الشخصية في مقدمتها ، اذ يقف ابناء القبيلة متضامنين على الحق او الباطل ، وقد يتنافس ابناء القبيلة الواحدة ويتعصب بعضهم للبعض الاخر كما حدث بين الاوس والخزرج وبين بني امية وبني هاشم [3].

---

[1] فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول ، 1/ 36 .

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 605 مادة (عصب) .

[3] جمعة ، ابراهيم ، مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي وصدر الاسلام ، دار الطباعة الحديثة ،ط1، (البصرة ، 1965)، ص38ـ39 .

ان شروط التضامن بين الفرد والجماعة تفرض على الافراد الولاء لمصلحة الجماعة بالشكل الذي يحفظ لها مكانتها وديمومتها ، وكثيراً ما تلجأ القبائل الى خلع الافراد الذين لايلتزمون باعرافها ، اما العصبية اذارابطة اجتماعية ونفسية شعورية ولا شعورية تربط افراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطاً مستمراً يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد اولئك الافراد بوصفهم افراداً او جماعة [1].

وقد ذهب الدكتور العلي الى ان رابطة العصبية القبلية تقوم على اساس من الاتفاق السابق بين الافراد ، فهي توجد حيث يوجد المجتمع ، لذلك فهي ذات طابع غرزي في الانسان ، وانها طبيعية لا مكتسبة [2].

ويبدو ان ماذهب اليه الدكتور العلي لايتفق مع الحقائق العلمية في هذا المجال لان العصبية القبلية رابطة اجتماعية مكتسبة ، وليست غرزية ، مستمدة من طبيعة الظروف المحيطة بالافراد اوالجماعات لذلك فهي لاتدوم على وتيرة ثابتة وكثيراً ما تصاب بالضعف والنكوص اذا مازالت مقومات وجودها ، ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح في المدينة حيث تضعف هذه الرابطة اذا طالت اقامة البدوي فيها [3]. وتختلف العصبية باختلاف درجات تقارب الانساب ، ولذلك نجد عصبيات مختلفة ، وتشمل العصبية ابناء القبيلة الاصليين ، اذ تكون شدة العصبية وقوتها تابعة لدرجة قرب الدم والنسب ، واقرب دم الى الانسان هو دم اسرته وعلى رأسها الابوان والاخوة والاخوات ثم الابعد فالابعد ، وكلما بعدت العصبية عن دم الابوين خفت حدتها وطبيعي الا تكون العصبية الى القبيلة مثل العصبية الى الاهل في الشدة ، لذلك فانها ترتبط بدرجة الدم والتحام النسب ارتباطاً طردياً [4].

---

[1] الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ،دار الطليعة ، ط3، (بيروت ، 1982) ، ص254 .

[2] محاضرات في تاريخ العرب ، ص152 .

[3] عبدالرحمن ، هاشم يونس ، المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى جامعة الموصل ، كلية الاداب ، 1987 ، ص150 .

[4] جواد علي ، المفصل ، 4/ 394 ؛ فروخ ، عمر ، تاريخ العرب في صدر الاسلام والدولة الاموية ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1970) ، ص41 .

ان رابطة العصبية القبلية تكتسب قيمتها وقوتها من خلال شعور ابناء القبيلة الواحدة باليقظة والحذر تجاه تأثيرات العوامل الخارجية ، كالغزو أو الاعتداء او أي تهديد اخر ، فانه يخلق حالة من الوعي والتوحد بين افراد العصبية الواحدة اذ ينصر بعضهم بعضاً :

لايسألون اخاهم حين يندبهم   في النائبات على ماقال برهانا [1]

ان العصبية تميل الى القوة والالتحام الشديد في المجتمع البدوي بسبب غياب السلطة المركزية او الانظمة الدفاعية ، في حين تميل العصبية الى الضعف والتحلل في المجتمعات الحضرية بسبب وجود الدولة وانظمتها الدفاعية [2].

وتختلف قوة هذه العصبية من مجتمع الى اخر، فنرى في مجتمع مكة مثلاً ان هذه العصبية تختلف عما عليه في البادية ، بسبب نمو النزعة الفردية بين ابناء العشيرة الواحدة نتيجة للتطور في مجتمع مكة ، فقد لا يتضامن الفرد مع عشيرته اذا كان هذا التضامن يؤثر على مصلحته الفرديه ، فابو لهب مثلاً ، خرج من دائرة عشيرته وانضم الى باقي البطون القرشية عند مقاطعة بني هاشم لدفاعهم عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم [3].

ولايمكن عد هذه الفردية هي الصفة الغالبة في المجتمع العربي ، فهي صفة خاصة وقد تكون شاذة ، فبالرغم من اعتزاز اهل القبيلة بفرديتهم الا انهم يرحلون ويقاتلون سوياً، وان ارتكب احدهم جناية حملتها قبيلته أي في النعرة والقصاص [4].

---

[1] المرزوقي ، ابي علي بن الحسن (ت421هـ) ، شرح ديوان الحماسة ، تحقيق : احمد امين وعبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ، 1967) ، 1/ 29 .

[2] ابن خلدون ، المقدمة ، ص127 .

[3] ابن اسحاق ، محمد (ت151هـ) ، السير والمغازي ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر ، (بلا مكان للطبع ، 1978) ، ص156 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 335ـ336 .

[4] القصاص : من الجراح ، اذا اقتص له منه بجرحة مثل جرحه اياه او قتله وحمل الديات وغيرها من الامور . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 7/ 73 مادة (قصص)؛ابن خلدون ، العبر ، 1/ 110 ؛ فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول، 1 / 24 ومابعدها .

وبذلك فان روح المساواة كانت الاساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي ، فالجميع متساوون ضمن اطار القبيلة في الحقوق والواجبات [1].

لقد تركت العصبية اثراً مهماً في الحياة السياسية والاجتماعية بعد ان صارت قانوناً ملزماً في المجتمع العربي قبل الإسلام لانها كانت من الضرورات اللازمة لحياتهم قبل الإسلام ، ولانها حائل بين الفرد وبين الاعتداء عليه [2] .

وكان العرب ينتمون الى عصبيات قبلية متعادية ولم يكن بالامكان تغليب عصبية واحدة على سائر العصبيات ، ولا جمع العصبيات كلها على هدف عصبية واحدة يتفاخر بها ابناؤها وتثور النزاعات بينهم من اجلها [3].

لذلك عدت القبيلة في حياة العربي اسرته الكبيرة التي توفر له الحماية ومن خلالها يستطيع ان يحيا حياة آمنه ، وهذا يعني قوة ومتانة العلاقات الاجتماعية السائدة بين افراد القبيلة الواحدة "ان كل حي او بطن من القبائل عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم ايضاً عصبيات اخرى لانساب خاصة هي اشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد او اهل بيت واحد او اخوة بني اب واحد لامثل بني العم الاقربين او الابعدين فهؤلاء اقعد نسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام" [4].

اذن تمثل العصبية القبلية اخطر الظواهر الاجتماعية التي عرفتها البشرية القديمة فهي كانت قوام المجتمع القبلي ، فالعصبية ثمرة من ثمار النسب او الولاء في اطار ظروف معينة ولايشترط ان تقوم على اساس القرابة ، وانما تعد المصلحة العليا للعصبية فوق كل حساب ، ومن هنا يصبح القول بنقاء دم ابناء العصبية الواحدة مسألة غير دقيقة [5].

---

[1] كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص18 .
[2] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 397 .
[3] عمر فروخ ، تاريخ العرب في صدر الاسلام ، ص80-84 .
[4] ابن خلدون ، المقدمة ، ص131 .
[5] الجابري ، فكر ابن خلدون ، ص259 .

ومع استهجان بعض هذه التقاليد العربية لطبيعة النزعة العصبية الشائعة في المجتمع العربي ، فان ثمة مسوغات لوجودها فيه في مدة عاشت هذه الامة حقب غير طبيعية من الحياة العربية التي لاحكم فيها ولا قانون ولا رادع من خلق او دين ، في خضم هذه الظروف في هذا المجتمع الذي تهيمن فيه سيطرة القوي على الضعيف كان يلتمس بسبب كل ماتقدم أي عرف او تقليد يحميه ويحفظ حريته ، فالعصبية القبلية وحدها تشكل عاملاً مهماً لدفع الناس بعضهم عن بعض وان كانت لا تضمن في أي شكل من الاشكال تكوين مجتمع موحد المنطلقات والاهداف تنصهر فيه مصالح الفرد بمصالح المجموع .

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول ان للعصبية القبلية مظهران احدها ايجابي ، هو تنامي الشعور الانساني ، في الوقت نفسه الذي يتمثل فيها تنامي الشعور القومي لانها لاتسعى الى اقامة صلات سلمية تضم جميع وحدات المجتمع القبلي وانما تدين بعقيدة ان كل من لم يكن منا فهو عدونا [1].

اما المظهر الاخر فهو سلبي ان صح التعبير، لما كان يترتب عليه من بروز التعددية وكثرة الرؤوس والاطراف ، ومن ثم حتمية التنازع والتخاصم الدائمين ، اللذين تركا اثارها المشهودة فيهم ، ولكن العصبية بعد ذلك وليدة ضرورة من ضرورات الحياة في المجتمع القبلي ، اذ لابقاء للقبيلة الا بعصبيتها ، فعن طريق العصبة تلتمس القبيلة لنفسها اسباب العيش في ذلك المجتمع [2]. وبما ان العصبية القبلية كانت تقوم على رابطة النسب"ويعني النسب لغة القرابة من جهة الاب" [3]. ورابطة الحلف .

وبسبب طبيعة النظام القبلي القائم على الرابطة الابوية رأينا من الطبيعي ابراز دور النسب واهميته في المجتمع العربي قبل الإسلام ، ولاسيما ان النسب شكل حضوراً مهماً في ذلك المجتمع قبل الإسلام وبعده فلا نكاد نعرف امة من الامم عنيت

---

(1) احسان النص ، العصبية القبلية ، ص106 .

(2) احسان النص ، العصبية القبلية ، ص108 .

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 755 .

بانسابها عناية الامة العربية ، ولانعرف امة عاش ماضيها في حاضرها وكان لـه الاثـر الفاعل في توجيه حياتها الاجتماعية والسياسية والادبية كالامة العربية ، بل ان عنايـة العرب بالانساب لم تكن وقفاً على انساب الناس وقبائلهم وانما تجاوزت ذلـك علـى جنس الحيوان فشملت انساب الخيل وسلالاتها .

وكان الاهتمام بالنسب في عصر ماقبل الإسلام يمثل المرآة التي تظهر فيها نقاوة دم الفرد وارتباطه بالقبيلة [1] .

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "تعلموا مـن انسـابكم مـا تصـلون بـه ارحامكم ، فان صلة الرحم محبة في الاهل ، مثراة في المال ، منسأة في الاجـل مرضـاة للرب " [2].

ويقسم الالوسي الانساب على ثلاثة اقسام : فالاول قسم الوالدين وهم الاباء والامهات والاجداد والجدات ، والقسم الثاني المولدون وهم الاولاد واولاد الاولاد ، والعرب تسمي ولد الولد الصفوة ، اما القسم الثالث فهم المناسبون اذ تـدعو حميـة المناسبين الى النصرة على البعداء والاجانب [3].

وعن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : "تعلموا النسب ولاتكونـوا كنبط السواد اذا سئل احدهم عن اصله قال من قرية كذا " [4]

لقد ولد النسب مع ولادة القبيلة العربية وتلازم معها ومع مراحل تطورها لان وجود القبيلة كان رهناً بوجوده . وكانت الانساب دراً يدفعون به كثيراً من الاخطـار عنهم ، فوجوده كان الرباط القوي الذي يوحد صفوف ابناء القبيلة الواحدة وغيرهـا عن باقي المجتمعات المحيطة بها ، فهي الكيان الاجتماعي والسياسي والاخلاقي الـذي تعيش ضمن اطاره ، لذلك كان حرص القبيلة علـى نسـبها واعتزازهـا بـه مـن اهـم

---

[1] صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص129 .

[2] ابن حنبل ، احمد (ت 241هـ) مسند الامام احمد ، المكتب الاسلامي ودار صادر،(بيروت، بـلا . ت) ، 2/ 374 ؛ السمعاني ، الانساب ، 1/ 5 . ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ،1/ 3 .

[3] بلوغ الارب ، 3/ 183ـ 185 .

[4] ابن خلدون ، المقدمة ، ص130 ؛ ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 3 / 66.

ميزات الحياة الاجتماعية انذاك ، فكل قبيلة ترى مكانتها العظيمة ومنزلتها الرفيعة مقرونة بعراقة نسبها وهذا ماتفاخرت به ، ويؤهلها للسيادة ، وايد ذلك شعر ما قبل الإسلام اذ كان الشعراء والخطباء صوت اعلام القبيلة الذي يوصل ذكرها الى مسامع الاخرين كما ورد على لسان المثقب العبدي حين قال مفاخراً باصله :

انا بيتي من معد في الذرى   ولي الهامة والفرع الاشم [1]

وكذلك قول يزيد بن الحذاق معتزاً بقومه :

يابي لنا انا ذوو انف   واصولنا من محتد المجد [2]

ويرى علماء الاجتماع ظاهرة تتميز بها المجتمعات البدوية القائمة على القاعدة القبلية في جميع العصور ، لان ذلك يتطابق مع طابع حياتها ، واسلوب معاشها فهي مجتمعات تحرص على تكوين العصبية القبلية لتتمكن من تحقيق الوحدة بين افرادها وتوفير التعاون بينهم وتدرك ثاراتها ، وتقيم ايضاً على اساس النسب مسائل الارث والزواج وبذلك تعيش القبيلة عزيزة الجانب مرهوبة بين جيرانها ، سجل شعراء القبيلة عادة مفاخر تلك الانساب ، واضافوا عليها هالات من الاكبار والتمجيد ، وبذلك تكتسب المكانة العالية والقدسية ، والامة العربية كانت اشد امم الارض تعلقاً بالانساب [3].

بل ان تلك الظاهرة رافقتها حتى في عصور تقدمها في صدر الإسلام وعصر بني امية ، وكان لها الاثر الفاعل في توجيه حياتها الاجتماعية والسياسية والادبية ، ومن هنا ظهرت طبقة من النسابين كانت في عصر ما قبل الإسلام وصدر الإسلام [4].

---

(1) الضبي ، المفضليات ، ص294 .

(2) الضبي ، المفضليات ، ص296 .

(3) احسان النص ، العصبية القبيلية ، ص11 .

(4) احسان النص ، العصبية القبلية ، ص12 .

وعلم النسب : القرابة ، وقيل هو في الاباء خاصة ، وقيل النسبة مصدر الانتساب ، ورجل نسيب منسوب : ذو حسبٍ ونسبٍ [1].

وعلم النسب ، علم يتحدث عن انساب العرب منذ آدم (عليه السلام) ويفصل قبائلهم ، ويحدد فرع كل قبيلة وافخاذها ، ويوضح علاقة القربى بين القبائل كما يتحدث عن اسماء القبائل والاحلاف القبلية ، ويضع لكل قبيلة شجرة نسب تصل الى جد اعلى مشترك ، واول تدوين تم في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه [2].

وتأتي اهمية النسب استناداً الى الحديث النبوي الشريف السابق فان فائدته " الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنعرة " [3].

وقد يسقط نسب بأخر بقرابة او حلف او جوار او فرار من قومه لجناية قام بها، وبمرور الايام يختفي النسب الاول ، فهذا "سليم بن عباد كان حليفاً لابي طالب وولده اليوم يدعون في آل طالب " [4].

وقد التصق اكثر سكان البوادي بسكان الحواضر نظراً لما في الحواضر من اغراءات العيش وصعوبته ، وتنطبق نظرية ابن خلدون على بعض اهل المدر في داخل الجزيرة العربية مثل سكان مكة والطائف ويثرب ، فيقول : "واما العرب الذين كانوا بالتلال وفي معادن الخصب للمراعي ، والعيش مثل لخم وجذام وقضاعة واياد وغسان فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم وربما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم وهم لايعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط " [5].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب،1/ 755ـ756 مادة (نسب). ينظر : ابن حزم، جمهرة انساب العرب ، 1/ 2 .

[2] جواد علي ، المفصل ، 4/ 235 .

[3] ابن خلدون ، المقدمة ، ص192 .

[4] ابن دريد ، الاشتقاق ، ص311 .

[5] ابن خلدون ، المقدمة ، ص130 .

وهكذا نرى ان العربي لا يلبث ان يعود الى ماكان عليه قبل الإسلام في الاعتزاز بالنسب ، نلمس ذلك من خلال حديث الرسول صلى الله عليه واله وسلم انا افصح العرب بيد اني من قريش ، اما يثرب فقد احتفظت بقسط كبير من البداوة ومنها رابطة النسب بسبب ظروف الصراع بين ابناء يثرب من الاوس والخزرج [1]، كما حافظت الطائف على عدد من القيم البدوية ومنها الثأر والدية [2].

لقد اصبح النسب هوية الفرد العربي واهتم به وكان مصدر اعتزازه فقد كانوا يعتقدون باهمية الدم [3]، في تقرير خلق الانسان ويؤمنون بان اعمال الاباء والاجداد تسبغ على الابناء مكانة في المجتمع [4].

ان اهتمام العربي بالنسب امر طبيعي ، يتناسب مع طبيعة حياته الاجتماعية ، فكان النسب يمثل النواة التي تجتمع حولها كل قبيلة ، وحلقة الوصل القوية التي تربط بين ابناء القبيلة الواحدة ، كما يظهر من تكافل الافراد في دفع الدية وواجب الدفاع عن حمى القبيلة ووراثة من لاوارث له [5].

يبدأ النسب بالاب في الغالب وبالام في الاقل في حالات تتغلب فيها شهرة الام على شهرة الاب ، واشار اهل الاخبار الى قبائل كانت تتنقل من قوم الى قوم ،

---

(1) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 429 . على اني لم اقف على هذا الحديث في كتب الصحاح .

(2) عبدالجبار العبيدي ، الطائف ودور قبيلة ثقيف ، ص45 .

(3) لم تعرف شيه الجزيرة العربية في تاريخها ان دولة اجنبية سيطرت عليهاوحكمتها او فرضت عليها نظمها وحضارتها، وبالرغم من انها تمكنت في بعض الاطراف مد سموم غزوها ولكنها سرعان ما انتهت هذه المحاولات مع ملاحظة ان الاحوال الجغرافية لم تكن مشجعة للهجرة اليها ، وحتى الذين استقروا من الاجانب كان عددهم قليلاً جداً لهذا احتفظت هذه الجزيرة بنقاء الدم اكثر مما احتفظت به الامم الاخرى . ينظر : صالح احمد العلي ، التاريخ الاجتماعي للعرب نطاقه ومصادره ، مجلة افاق عربية ، العدد/ 4 لسنة 1977 ، ص57 .

(4) ابن الجوزي ، ابو الفرج عبدالرحمن ، الحدائق في علم الحديث والزهديات ، تحقيق : مصطفى السبكي ، دار الكتب العلمية، ط1 ، (بيروت ، 1988) ، 2/ 353ـ356 .

(5) المشهداني ، محمد جاسم حمادي ، الانساب العربية ودورها في تدوين تاريخ الامة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ص23 .

فتنتمي اليهم : قالوا لها (النواقل)[1] ، والتنقل دليل على ان النسب لم يكن من الصرامة والشدة على نحو مايصوره لنا النسابون المتأخرون [2].فلم تكن تبعية الافراد للقبائل في مثل الصرامة التي استقرت في الاذهان ، ولم تكن نسبة الفرد الى قبيلته هذه النسبة الحادة التي لاتعرف التحول ، وانما يبدو انه كانت هناك حرية واسعة يستطيع معها الافراد من قبيلة ان يغادروها الى قبيلة اخرى ، فينزلوا عليها وينتموا اليها ويبنوا بنساء منها وتكون لهم هذه القبيلة مجتمعاً جديداً وتختلط بنوهم بنسبها [3].

ونلاحظ ان النسب في القبائل البدوية اكثر منه في القبائل التي تعيش في المناطق الحضرية وتجاور الامم الاخرى وذلك لبعد القبائل المتبدية عن الاختلاط والتصاهر والانصهار ، كذلك فان شظف العيش وصعوبة البيئة وقسوة الحياة التي يعانيها اهل البادية لاتشجع الناس على الهجرة اليهم او الاختلاط بهم والاستقرار معهم ، ولهذا تبقى انسابهم محفوظة بعيدة عن فطنة اختلاطها بغيرها ، وتنطبق نظرية ابن خلدون هذه على بعض اهل المدر في داخل الجزيرة العربية مثل سكان مكة ويثرب والطائف ، اذ لايوجد الخصب الكافي لمهاجرة الاخرين اليها :"ان البدو اصل الحضر ومتقدم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو الذين بناحيه ذلك المصر وعدلوا الى الدعة والترف الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البداوة وانها اصل لها" [4].يعتقد الباحث ان رأي ابن خلدون فيه كثير من الصحة ومطابق للروايات التاريخية لان التاريخ لم يبرر لنا تبدي القبائل في الظروف الطبيعية ، وانما يروي لنا انتقالها من البداوة الى الحضارة ويؤكد الواقع الاجتماعي هجرة البدو الى العواصم والحواضر لا العكس .

---

[1] النواقل : الغريب في القوم ان رافقهم او جاورهم . ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 675 ـ 676 مادة (نقل) ، فيما يشير الزبيدي ان النواقل ، من انتقل من قبيلة الى قبيلة اخري فانتمي اليها . تاج العروس ، 8 / 143 مادة (نقل) .

[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 357 .

[3] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص72 .

[4] ابن خلدون ، المقدمة ، ص122 .

المبحث الثاني

مظاهر العصبية القبلية

يعد التضامن الاجتماعي ابرز مظاهر العصبية بين ابناء القبيلة الواحدة ، واهم صور هذا التضامن الثأر والدية والمفاخرات .

اولاً : الثأر

ومن ابرز مظاهر العصبية القبلية الثأر ، وهو القانون الذي ينظم الحياة الاجتماعية والسياسية في المجتمع القبلي بوصفه الطريقة البسيطة التي تجعل القبائل المتعددة في مستوى واحد من القوة [1]. كالذي صنعته قريش حين اجمعت على ـ قتل الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم [2]

والثأر عادة تأصلت في طباع العربي واصبحت جزءاً من كيانه اذا اراد ان يعيش بين افراد قبيلته ، لان الاخذ به دليل على الشجاعة والقوة والسكوت عنه دليل على الخضوع والذلة والاستكانة ، وباعث على الاستهانة بالفرد والقبيلة [3]

وقد جعلها المستشرق نيكلسون المثل الاعلى الاخلاقي عند العرب بقوله " شجاعة في القتال وصبر على الشدائد وتمسك بالثأر وحماية للضعفاء وتحد للاقوياء " [4].

يقول الاخطل في هذا المعنى :

لايثأرون بقتلاهم إذا قُتلوا   ولايكرون يوماً عند احجار [5]

---

[1] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص 119 ؛ مونتغمري واط ، محمد في مكة ، ص43 .

[2] ينظر : البلاذري ، انساب ، 1 / 259 .

[3] القيسي ، نوري حمودي ، الفروسية في الشعر العربي ، (بغداد ، 1964) ، ص112 .

[4] مونتغمري واط ، محمد في مكة ، ص47 .

[5] الطائي ، ابو تمام حبيب بن اوس (ت231هـ) نقائض جرير والاخطل ، تعليق : الاب انطوان الصالحاني اليسوعي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 1922) ، ص135 .

لقد كلف العرب بالثأر كثيراً وبلغ من كلفهم به ان الضغينة كانت تتملك على عقولهم ، فلا يفكرون الا بالانتقام ، لذلك كـانوا يتجـافون النسـاء والخمـر والطيـب لانهم كانوا يرون فيها ضرباً من التنعم والبهجة ، ومن ثـم قـد تشـغل عـن الجـد في طلب الثأر ، قال المهلهل في مناجاة اخيه كليب :

خـذ العهـد الاكيـد علـى عمـري بتركـي كـل مـاحوت الـديار
وهجـري الغانيـات وشـرب الكـأس ولبسـي جبـة لاتستعـار
ولسـت بخـالع درعـي وسـيفي الى ان يخلـع الليـل النهـار
والا ان تبيـد سـراة بكـر فـلا يبقـى لهـا ابـداً اثـار [1]

وبهذا الشأن يقول الربيع بن زياد بصدد قتل مالك بن زهير العبسي :

افبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار [2]

وروى ان امرؤ لقيس حلف الا يغسل رأسه ولايشرب خمراً حتـى يـدرك ثـأر ابيه، فلما ادرك بعض مايشفيه قال :

حلـت لـي الخمـر وكنـت امـراً عـن شـربها في شـغل شـاغل
فـاليوم اشـرب غـير مسـتحقب اثمـا مـن الله ولا واغـل [3]

وقال الشاعر تأبط شراً

حلـت الخمـر وكانـت حرامـاً وبـلأي مـا المـت تحـل

---

[1] شعراء النصرانية قبل الاسلام ، جمع وتحقيق : الاب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة المشرق ، (بيروت ، بلا . ت) ، 1/ 164 .

[2] ديوان الحماسة ، التبريزي ، 1/ 412 .

[3] شرح ديوان امرئ القيس ، تأليف حسن السندوبي ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، بلا . ت) ، ص 152 . ينظر : ابن قتيبة ، ابي محمد بن مسلم (ت 276هـ) ، الشعر والشعراء ، قدم له : حسن تميم ، مراجعة : الشيخ محمد عبدالمنعم عريان ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، 1986) ، ص59 .

فاسقينها ياسواد بن عمرو   ان جسمي بعد خالي لخل [1]

ويظهر ان الخمر كانت اهم مايصدرون عنه ، ولذا اكثروا من التحدث بتركها حتى يثأروا ولذا لم يدرك الرجل ثأره من غريمه فانه يوصي بذلك الى ابنائه عندما تحضره الوفاة ليقوموا بذلك نيابة عنه [2]. وغالباً مايلتزم ذوو القتيل وهم اقرب الناس اليه بالاخذ بالثأر ، والعرب تقول "اهل القتيل يلونه" [3].

وهذا دريد بن الصمة، كانت امه قد حضته على طلب الثأر لاخيه عبدالله يقول :

وشيب رأسي قبل حين مشيبه   بكاؤك عبدالله والقلب طائر

اذا انا حاذرت المنية بعده   فلا وألت نفس عليها احاذر [4]

واذا عجز هؤلاء من الثأر فان القبيلة تجد نفسها ملزمة ومتضامنه في الاخذ بالثأر ، ان الاخذ بالثار كان امراً مفروضاً على القبيلة مهما كلف ذلك من جهد ومال، ولكن تسليم القاتل يعد عاراً على قبيلته ، وان قبول الدية من قبيلة القاتل يعد عاراً لقبيلة القتيل ، التي تسعى الى الظفر بالقاتل ، فاذا امتنعت قبيلة القاتل ان تسلمه الى قبيلة القتيل فانها تدخل في حرب بينها وبين قبيلة القتيل وقد تمتد سنيناً وقد

---

[1] ديوان تأبط شراً واخباره ، جمع وتحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الاسلامي ، (بلا مكان طبع ، 1984)، ص250.

[2] ابن حبيب، المنمق ، ص224ـ226 . ويبدو ان دواوين الشعراء قد حفلت بالكثير من الابيات الشعرية بما يتعلق بالخمر . ينظر زيادة على ماتقدم ديوان قيس بن الخطيم ،(من يثرب من الاوس)، ص 91 ، اذ قال :

ومنا الذي آلى ثلاثين ليلة   عن الخمر حتى زاركم بالكتائب

[3] الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 65 .

[4] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص508 .

يتدخل وسطاء الخير من قبائل اخرى،وقد تقبل الديات ، وكانت دية النفس عند عامة القبائل مائة من الابل،ولكن دية الملوك والاشراف تصل الى الف بعير [1].

ويعيش اهل القتيل شعوراً مضطرباً حتى يدركوا ثأرهم ، فكانوا يؤاخذون انفسهم بطقوس بدوية منها جز الشعور وشق الجيوب وخمش الوجوه وخروج الابكار وذوات الخدر، وفي ذلك يقول المهلهل :

كنا نغار على العواتق ان ترى	بالامس خارجة من الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسراً	مستيقنات بعده بهوان
يخمشن من ادم الوجوه حواسراً	من بعده ويعدن بالازمان [2]

وتعبر الخنساء مفتخرة بقومها :

جززنا نواصي فرسانها	وكانوا يظنون ان لاتجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب	بان لايصاب فقد ظن عجزا [3]

(3)

وكثيراً ماتكون هذه الثارات مثاراً لاذكاء نار الحروب بين القبائل والتي اصطلح عليها بايام العرب ، ولكن نجد ان عدداً من العرب لايرضون بالدية ويرونها ذلاً مابعده ذل ، فالدم عندهم لايغسله الا الدم لذلك يقولون "لاينام من أثار" [4].

واحياناً قد يكون الثأر من الاقارب ، ويصور لنا الشعر العربي بانه عاطفة راحته بالانتقام مشوبة بعاطفة الاسى والندم لانه ثأر من قريبه وينشد بذلك زيادة الحارثي :

---

(1) الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 24ـ 25 ؛ السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ص373 .

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ، 1/ 316 ؛ السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ص374 .

(3) ديوان الخنساء ، شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، 1963) ، ص82 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 18.

(4) الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 177 .

اذكـــر بالبقيـــا علـــى مـــن اصـــابني   وبقيـــأي انـــي جاهـــد غـــير مـــؤتلي

فـــإن لم انـــل ثـــأري مـــن اليـــوم اوغـــد   بنـــــي عمنـــا فالـــدهر ذو متطـــول

فـــلا يـــدعني قـــومي ليـــوم كريهـــة   لئـــن لم اعجـــل ضـــربة او اعجـــل

يقـــول رجـــال مـــا اصـــيب لهـــم اب   ولا مـــن اخٍ اقبـــل علـــى المـــال تعقـــل

كـــريم اصـــابته ذئـــاب كثيـــرة   فلم يدر حتى جئن من كل مدخل [1]

وقد اقترنت فكرة الثأر باوهام هي الى الايمان الديني اقـرب منهـا الى أي شـيء اخر ، لذلك امنوا ان طائراً يخرج من هامه القتيل يسمى (الهامة) يصيح دائماً ويقول: اسقوني اسقوني ولا يكف عن الصياح حتى يقتل القاتل [2].

فالثأر في نظر العربي يعد سلماً للشـرف فـافتخروا بـه ، وامتنـع بعضـهم عـن البكاء على القتيل حتى يؤخذ بثأره ، وان كان للثأر بعـض النفـع في تلـك البيئـة وفي تلك الظروف، فلأنه يكبح من سلوك بعض الحمقى الذين تسيرهم شـهوات القتـل ، فهو خروج عن العرف الاجتماعي وقانون يحترم ، فـالتفكير بالثـأر يحـد مـن غريـزة الرجل ويجعله يتأمل في حدود الامور وعواقبها اكثر ، فهو وازع داخلي له .

وتنطلق اهمية الثأر في المجتمع القبلي من غياب السلطة المركزية وعـدم وجـود قانون ينظم العلاقات الاجتماعية بين الافراد ويمنع حدوث التصرف غـير المسـؤول ، ومن هنا اصبح الفرد يمتلك الحق في الاقتباس لنفسه منطلقاً في ذلك من مبدأ (القتـل

---

(1) الطائي، ابو تمام حبيب بن اوس ، ديوان الحماسة، شـرح: العلامـة التبريـزي، دار القلـم ، (بـيروت، بـلا.ت) ، 84/1 .

(2) الاصفهاني ، الاغاني ،13/ 263 ، 17/ 362 ،21/ 50 . وللتفصيل عن الهامة ينظر : المسـعودي ، مـروج الـذهب ،2/ 133 ؛ ابو علي القالي ، الامالي ، 1/ 129 .

اتقى للقتل) [1]. ولم يفرقوا بين القتل خطأ والقتل عمداً ، فكانوا يعالجون القتل بالقتل حتى صار الاخذ بالثأر عقيدة ثابتة الغرض منها حماية القبيلة ، فالقبيلة اذا لم تأخذ بثأرها تسقط بين القبائل [2].

والاخذ بالثأر من القاتل اولى مستلزمات العقاب ، واذا ماتعذر الوصول الى عقاب القاتل ، فان الثار يطول أي فرد من افراد القبيلة والقاتل تساوي مكانة القتيل [3]. وبسبب الدماء والثارات تأصلت الاحقاد بين كثير من القبائل العربية يتوارثها الابناء عن الاباء جيلاً بعد جيل .

جنى العداوة اباء لنا سلفت فلــن تبيد وللاباء ابناء [4]

يتضح مما تقدم ان الثأر هو قانون القصاص في المجتمع القبلي لكنه كان يحمل اثاراً سلبية ونتائج خطيرة ليس على الصعيد الاجتماعي فقط ، بل على الصعيد السياسي ، اذ كثيراً ما كان يؤدي الى اذكاء روح العداء والضغينة في نفوس الافراد من خلال زرع الحقد والكراهية في نفوس هؤلاء الافراد ، اذ غالباً ما يؤدي الى وقوع الضحايا من الابرياء فضلاً عن اشعال نيران عدد من الحروب التي من نتائجها شيوع مظاهر الفوضى [5].

ان هذا الاسراف في القتل وقتل الابرياء صوّره القرآن الكريم ادق تصوير بقوله تعالى "ولاتقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصورا " [6].

" وذلك ان اهل ماقبل الإسلام كانوا يفعلون ذلك اذا قتل رجلاً رجلاً عمداً ولي القتيل الى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه وترك القاتل فنهى الله عز وجل

---

[1] الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 144 .
[2] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص34 .
[3] الاصفهاني ، الاغاني ، 10/ 11ـ 12 .
[4] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص120 .
[5] ينظر : ايام العرب في الجاهلية .
[6] سورة الاسراء 17 ، الآية 33 .

عن ذلك عباده وقال لرسوله قتل غير القاتل معصية وسرف فلا تقتل بـه غـير قاتلـه وان قتلت القاتل فلا تمثل به " [1]

ثانياً : الدية

على الرغم من ان الثأر كان القانون الوحيد للاقتصاص من الجاني في الجزيـرة العربية لعدم وجود سلطة مركزية فان بعضاً مـن عقـلاء القـوم كـان يـدرك خطـورة الضرر الذي يلحق بالافراد او الجماعات من جـراء التطـرف في اسـتخدامه ، لـذلك كانوا يدعون الى قبول الدية للتخفيف من نتائج هذا التطرف فقد مدح زهير أبن ابـي سلمى كلاً من هرم بن سنان والحارث بن عوف لموقفهما الانساني مـن الحـرب الـتي كانت دائرة بين عبس وذبيان وتحملهما ديات القوم بقوله :

يمينــاً لــنعم الســيدان وجــدتما   علـى كـل حـالٍ مـن سـحيل ومـبرم

تــداركتما عبســاً وذبيــان بعــدما   تفـانوا ودقـوا بيـنهم عطـر منشـم [2]

لقد كـان ابنـاء القبيلـة الواحـدة يتضامنـون جميعـاً في دفـع الــدية لعائلـة المقتول [3] ، وكانت تختلف باختلاف مكانة القتيل اذ لايمكن ان يتساوى الشريف مع مع الوضيع [4] .

واذا لم يتوفر دفع الدية دفعة واحدة فتجزأ على شكل دفعات في كل عام مقدار معين ، والعرب كما اسلفنا تفتخر عمن يقوم بمهمة حقن الدماء ودفع ديـات القتلـى من امواله الخاصة [5] .

---

[1] الطبري ، تفسير الطبري ، 15/ 59 .

[2] شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ص79 .

[3] احمد الشريف ، مكة والمدينة، ص56 .

[4] المرزوقي ، ابو علي الاصفهاني (ت453هـ) ، الازمنة والامكنة ، مجلس دائرة المعارف في الهند ، (حيدر اباد ، 1913) ، 2/ 116 .

[5] ابن حبيب ، المنمق ، ص231ـ232 ؛ ايام العرب في الجاهلية ، ص324 . والعرب تسمي الدية الـتي يحملها قـوم عن قوم (الحمالة) . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 13/ 184 هامش (1) .

وكان الحليف يدفع الدية عن حليفه ، وقد ورد في احد التحالفات في مكة " تعقل عني واعقل عنك " [1] أي تدفع عني الدية وادفعها عنك .

وقد تصل دية السادة الى الخمسمائة والى الالف ، والسادة هنا رؤساء القوم واشرافهم ، والسيد الذي فاق غيره بالعقل والمال ، وتذكر الروايات ان الدية عند اهل مكة عشرة من الابل ثم جعلها عبدالمطلب بن هاشم مئة من الابل [2]، وكانت دية المولى في يثرب خمساً من الابل ودية الصريح عشراً [3].

فعلى هذه النظرية الطبيعية في ذلك المجتمع قيمّوا اثمان الديات ، وكانت هذه الديات مقسمة حسب منزلة الفرد في القبيلة ، اذ طبقات السادة قيموا ـ أي سادة القوم ـ وحسب المنزلة ، حتى تصل الى ديات المغمورين فتكون اقلها ثمناً وقد بلغت خمساً من الابل ، وهذا بدوره يفسر لنا التمايز الموجود والمذكور سابقاً ، والذي لم يشمل الديات فقط بل شمل جميع مجالات الحياة الاجتماعية الاخرى كالزواج ، " لهذا حرص الاسير الشريف الذي لايعرفه اسره على اخفاء شخصيته على التظاهر بالاملاق وبانه من المغمورين ليجنب نفسه دفع دية عالية قد يفرضها اسره عليه فتوجعه وتؤلمه " [4].

وكان لعملية جمع الديات في مكة وظيفة خاصة تسمى (الاشناق) [5] وبما ان ان النظام القبلي هو السائد في يثرب ، وكانوا يسكنون في منطقة واحدة تقع فيها مزارعهم ، فكانوا يشتركون في العاقلة وهي الدية عن القتل الخطأ ، ويتعاونون في الشدائد [6].

---

(1) الطبري ، تفسيره ، 8/ 275ـ276 .

(2) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/ 7 .

(3) الاصفهاني ، الاغاني، 3/ 40 .

(4) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 43 .

(5) الالوسي ، بلوغ الارب ، 1/ 294 . والاشناق : مابين الفريضتين من الابل والغنم فما زاد على العشرة لايأخذ منه شيء حتى تتم الفريضة الثانية ، والشناق : مادون الدية وذلك ان يسوق ذو الحمالة مائة من الابل وهي الدية الكاملة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 10/ 188ـ 189 ومابعدها مادة (شنق) .

(6) صالح احمد العلي ، الدولة في عهد الرسول (ص) ، ص22 .

لقد اتسمت العادات الثأرية عندهم بالعنف ، فالدم لايغسله الا الدم فاصبح الشرف معلقاً بالثأر ، الا اذا قبل اهله الدية [1] .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، فثمة احوال اخرى كانت تؤدى فيها الدية كالجرح والشج وبتر الاصبع ، والحق مهما ضؤل شأنه لايتخلى عنه اصحابه ، وسمي يعمر بالشداخ لانه تحمل ديات قتلى كانت بين قريش وخزاعة ، وقال قد شدخت هذه الدماء تحت اقدامي فسمي الشداخ [2] .

وعموماً فان الدية تعد مظهراً ايجابياً من مظاهر حل المنازعات بالطرق السلمية، فضلاً عن كونها تعبر عن روح التضامن باروع صور التضامن الاجتماعي بين ابناء القبيلة الواحدة ، وكذلك عن الاسرة الواحدة .

ثالثاً : المفاخرات

وللمفاخرات اثر كبير في العصبية القبلية اذ كانوا لايتركون مناسبة تمر عليهم الا وكان للمفاخرة بانساب وامجاد القبيلة ، محفل بذلك ، وكانت مواسم الحج والاسواق التجارية تمثل فرصة يستثمرها الشعراء والخطباء للتباهي بمناقب القبائل وتاريخها العريق [3] .

فهي تقوم على اساس الفخر بامجاد القبيلة ومحامدها وعراقة نسبها وشجاعة ابنائها ، وقد حملت دواوين الشعراء قبل الإسلام الكثير من الابيات الشعرية التي تفاخر بقبائل هؤلاء الشعراء ، فيصف حسان بن ثابت قبيلته قائلاً :

اولئك قومي خير قوم باسرهم   وليس على معروفهم ابداً قفل

---

[1] فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول ، 1/ 33 .

[2] الشداخ : هو عروة بن اذينة ، واذينة لقبه ، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبدالله بن يعمر ، شاعر غزل من شعراء اهل المدينة (يثرب) وهو معدود من الفقهاء والمحدثين . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 18/ 322 .

[3] الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد ، اثر الاسواق في وحدة الثقافة العربية ، بحث منشور في مجلة بيت الحكمة ، العدد / 5 السنة الاولى ، 1988 ، ص91 .

يربون بالمعروف معروف من مضى فما عد من خير فقومي له اهل

اذا حاربوا او سالموا لم يشبهوا فحربهم خوف وسلمهم سهل [1]

ويقول حسان ايضاً :

اما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان

شم الانوف لهم مجد ومكرمة كانت لهم كجبال الطود اركان [2]

وكانت الحروب وسيلة اخرى من وسائل التفاخر ، فقد كان الشعراء يفخرون بشجاعة ابناء قبائلهم وذكر مآثرهم ورثاء قتلاهم [3].وكان للعرب في ايامهم قبل الإسلام من الانفة والتفاخر بالاحساب والانساب للمحافظة على شرفهم وعلو مجدهم وسؤددهم [4]. فضلاً عن اعتزاز القبيلة باصلها ونسبها وفخرها بامجادها ومآثرها وايمانها بتفوقها الجنسي وفضلها على القبائل الاخرى "فالعصبية والفخر توأمان لايفترقان ايا كان لون العصبية" [5].ومارس المجتمع المكي ظاهرة التفاخر بالاباء والاجداد وبالخصال الخلقية وتفاخروا بالكثرة العددية وبالثروة والاموال،بل تفاخروا بالاموات في مقابرهم [6]، قال تعالى "الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر" [7].

---

[1] ديوان حسان بن ثابت ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص191، 164، 202،183 . وينظر مثلاً : ديوان الخنساء ،ص56،24 .

[2] ديوان حسان بن ثابت ، ص251.

[3] نالينو ، كارلو ، تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية ، تقديم : طه حسين ، ط1 ، (مصر ، 1970) ، ص106 .

[4] كحالة ، عمر رضا ، العرب قبل الاسلام ، المطبعة الهاشمية ، (سوريا ، 1958) ، 1/ 80 .

[5] احسان النص ، العصبية القبيلة ، ص157 .

[6] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 589 .

[7] سورة التكاثر 102، الآية 1،2.

من هنا نرى المعنى الظاهري للاية اذ انهم يـذهبون الى قـبر فـلان ويتفـاخرون على الاخـرين ، وانهـم انشـغلوا بهـذا التكـاثر في المـال والبـنين ومـا الى ذلـك مـن مفاخرتهم وعملوا من اجله طوال حياتهم حتى انتهوا الى المقابر [1].

ونجد تدرجاً في مراتب المفاخرة يماشي درجات العصبية ، فثمة مفـاخرات بـين بطون القبيلة الواحدة ، ولكن هذه البطون كلها تشترك في مفـاخرة القبائـل الاخـرى باصلها المشترك ، أي ان هذه المفاخرات تبدأ بنطاق ضيق ثم تأخذ بالاتساع ، فالقبائل العربية قبل الإسلام لايكاد يضمها مجلس او سوق ، حتى تنزع الى المفاخرة والتبـاهي بذكر المآثر، وغالباً ما كانت تنتهي هذه المفاخرات الى حروب قبليـة ، وقـد روى ابـو الفرج الاصفهاني :"ان قريشاً كانت تخرج في الجاهلية ـ قبل الإسلام ـ الى مكـان مـن شعاب مكة فتتفاخر وتتشائم ولايفترق القوم الا عن قتـال" [2] ، واكثـر المفـاخرات المفاخرات كانت تجري في الاسواق والمواسم وفي مجالس الملوك وتدور هذه المفاخرات على ألسنة شعراء القبيلة وسادتها فهم الالسنة الناطقة للقبيلة ، يقول طرفه بن العبـد مفتخراً بقومه :

انـــي مـــن القـــوم الـــذين اذا ازم الشـــتاء ودوخلـــت حجـــره

رفعـــوا النـــيح وكـــان رزقهـــم في المنقيـــات يقيمـــه يســـره

تلقـــى الجفـــان بكـــل صـــادقةٍ ثمـــت تـــردد بينهـــم حـــيره

وتـــرى الجفـــان لـــدى مجالســـنا مـــتحيرات بينهـــم ســـؤره [3]

وينشد عبيد بن الابرص مفتخراً بقومه :

ياايهـــا الســـائل عـــن مجـــدنا انـــك عـــن مســـعاتنا جاهـــل

---

[1] السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر وجلال الدين محمد بن احمد المحلي ، تفسير الجلالين ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص809 .

[2] الاغاني ، 9/ 147 .

[3] شرح ديوان طرفه بن العبد ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، 1961) ، ص61 .

ان كنـــت لم تاتـــــك ايامنـــا فاســـأل تنبـــا ايهـــا الســـائل

قـــومي بنـــو دودان اهـــل النهـــى يومـــــاً اذا القحـــــت الحائـــــل

كـــم فـــيهم مـــن سيـــــدٍ ايـــدٍ ذي نفحــــات قائـــل فاعـــــل[1]

ومن صور المفاخرات قبل الإسلام ، المفاخرات التي تشهدها النساء، فقد فاخرت سلمى بن عميص الكنانية الخنساء بقولها:

وكائن ثوى يوم الغميضاء من فتىً كـريم ولم يجـرح وقـد كـان جارحـاً

ولـولا مقـال القـوم للقـوم اسـلموا للاقـت سـليم بعـد ذلـك ناطحـا

فاجابتها الخنساء

ذري عنك اقوال الضلال كفى بنا لكبش الوغى في اليوم والامس ناطحا

نعـوا مالكـاً بالتـاج لمـا هبطنـــه عوابـــس في هـــابي الغبـــار كوالحـــا

فان تك قـد ابكتـك سـلمى بمـــالك تـــــركنا عليـه نائحـات ونائحـا[2]

ومن المفاخرات ماكان يشهدها حكام ، كانوا ينظرون في ختامها احد الفريقين، ومن حكام المفاخرات المشهورين قبل الإسلام اكثم بن صيفي والاقرع بن حابس وهرم بن قطبة وضمرة بن ضمرة ونفيل بن عبدالعزى[3].

وكانت القبائل العربية اذا شهدت المواسم والاسواق حرصت على اصطحاب شعرائها وخطبائها وسرعان ماكانت حلقات المفاخرة تنعقد بين شعراء القبائل كل

---

(1) شرح ديوان عبيد بن الابرص،تقديم:كرم البستاني،دار صادر،(بيروت ، بلا . ت)، ص 124 ـ 125 .

(2) شرح ديوان الخنساء ، ص24ـ 25 .

(3) الجاحظ ، البيان والتبين ، 1/ 390 .

يشيد بمآثر قومه ويعدد مكارمهم وينتقص من شأن القبائل الاخرى ، وتقام للشعراء والخطباء منابر بعكاظ يتناشدون عليها اشعارهم ويتفاخرون [1].

لقد كان لشدة ارتباط الشاعر بقبيلته وتعصبه لها وطغيان الشعور القبلي على الشعور الفردي فيه ، قد عادت على القبيلة بالخير والنفع ، لكن في الجانب الآخر كان لهذا الارتباط له محاذير فكثيراً ماكان التهاجي بين الشعراء يوقع المعارك بين القبيلتين ، لذلك كانت قريش تنكر على الشعراء ان يهجو بعضهم بعضاً وتعاقبهم على ذلك ، وقد همت بقطع لسان ابن الزبعري لهجائه بني قصي [2] ، وفاخر بنو عامر بن صعصعة بيوم شعب جبلة الذي هزموا فيه قبائل تميم وذبيان واسد المتحالفة عليهم .

ولم نجد من هؤلاء الشعراء من اقدم على مدح اعداء قومه ، او ظاهر ممدوحيه على قبيلته ، بل نجدهم جميعاً يسعون في خير عشيرتهم ، فهذا الشاعر الاعشى على الرغم من تطوافه الطويل في البلدان واختلافه الى الملوك لم يكن ينسى قومه ولايخفي اشتياقه اليهم بقوله :

انني منهم وانهم قو　　　　مي واني اليهم مشتاق [3]

ونجد شاعر اخر لم يجد خيراً في هجو قومه احياناً وفي عرض شعره على الثناء والمديح من اشراف القبائل كونه مترافع النسب مغموز الاصل لهذا ضعفت فيه النزعة العصبية ، لاسيما انه لم يلق من قومه الا الاحتقار والازدراء لكونه هجيناً غير صريح النسب [4].

ومثلما كانت للعصبية القبلية تأثيرها على عامة ابناء القبلية ، كان تأثيرها اكثر على الشعراء لفرط العرب وحاجتهم الى الشعر الذي "يقيد عليهم مآثرهم ويفخم

---

[1] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص161 .

[2] ابن سلام الجمحي ، ابو عبدالله بن سلام (ت232هـ) ، طبقات الشعراء الجاهلين والاسلامين ، طبعت على نسخة قديمة وقوبلت على نسخة طبع اوربا ، ص197 .

[3] شرح ديوان الاعشى ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص128 .

[4] احسان النص ، العصبية القبلية ، ص 169 .

شأنهم ، ويهول على عدّوهم ومن غزاهم ، ويهب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم و يهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم " [1].

وهذا يتضح بجلاء حين نستقري اغراض الشعر قبل الإسلام ، فالشاعر اوقف جل شعره على الفخر بقبيلته والاعتزاز بها ، وهجاء اعدائها وتحدي خصومها والحض على طلب الثأر وشن الغارة على القبائل المعادية لقومه ، ووصف الايام التي شهدها قومه والوقائع التي خاضوها ورثاء من سقط صريعاً من قومه في هذه الغارات، لكنها عموماً مستوحاة من العصبية القبلية [2]، من هنا عرفت القبائل لشعرائها منزلتهم فهو لسان القبيلة الناطق بمحامدها ، والذائذ عن حماها ، فكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر "اتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلقين بالمزاهر ، كما يصنعون في الاعراس ويتباشر الرجال والولدان ، لانه حماية لاعراضهم ، وذبّ عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم ، وكانوا لايهنئون الا بغلام يولد ، او شاعر ينبغ بينهم او فرس تنتج " [3].

ولعناية العرب بالشعر واستخدامه وسيلة للمفاخرة والمنافرة وابراز المآثر والسجايا فقد ظهر من بين اهل يثرب (المدينة) عدد من الشعراء البارزين كان من اشهرهم حسان بن ثابت ، الذي غدا من غير منازع شاعر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لانه دافع عن الإسلام بشعره ، وبرز من شعراء يثرب عبدالله بن رواحة وكعب بن مالك [4].

وينكر ابن سلام ان يثرب قد تفوقت في مجال الشعر على كل من مكة والطائف ، وتفوق اهل المدينة (يثرب) على غيرهم من مناطق الجزيرة بكثرة الوقائع

---

(1) الجاحظ ، البيان والتبين ، 1/ 241 .

(2) احسان النص ، العصبية القبلية ، ص169 .

(3) ابن رشيق ، العمدة ، 1/ 65 .

(4) الخزاعي ، تخريج الدلالات السمعية ، ص232،222 .

والحروب التي وقعت بين احياء الاوس والخزرج وذلك لان الحروب تحرك قريحة الشعراء لقول الشعر [1]، ويواصل ابن سلام حديثه "والذي قلل من شعر قريش انه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا" [2] والحال نفسه في الطائف.

---

[1] طبقات الشعراء ، ص102 .

[2] طبقات الشعراء ، ص102 .

المبحث الثالث

التشكيل الاجتماعي للقبيلة

لا يختلف اثنان في تكوين مجتمع الحجاز الذي تشكلت اغلب بنيته الاجتماعية من العرب كما هو شأن بقية اجزاء الجزيرة العربية والتي ظلت عربية خالصة لم يدخلها غاصب . وقبل التطرق الى عناصر المجتمع العربي لابد من القاء الضوء على اراء بعض علماء الاجتماع بخصوص المجتمع وتكوينه .

فقد ذهب مرسر(Mercer) الى ان المجتمع الانساني مجموعة من الناس مترابطة وظيفياً تعيش في منطقة جغرافية معينة وتشترك في ثقافة مشتركة وتنتظم في بناء اجتماعي [1].

اما هوب هوس فقد عرف المجتمع بانه مجموعة من الافراد تقطن بقعة جغرافية محدودة من الناحية السياسية ومعترف بها ولها مجموعة من العادات والتقاليد والمقاييس والقيم والاحكام الاجتماعية والاهداف المشتركة المتبادلة التي اساسها الدين والتاريخ [2].

وعلى اساس هذا التحديد للمجتمع وللمجتمع المحلي ، يمكن القول ان القبيلة بالنسبة للمجتمع العربي قبل الإسلام تمثل مجتمعاً محلياً بما تنطوي عليه من مكونات [3].

ومما سبق يتضح ان العلاقات الاجتماعية تمثل الرابطة بين فردين فاكثر وهي علاقة مستمرة يقر العرف بوجودها ويصورها بصورة اشياء مختلفة مثل العادات

---

(1) د. كشك ، محمد بهجت ، المدخل الى تنظيم المجتمع ، الاسكندرية ، (مصر ، د. ت) ، ص9 .

(2) الجوهري ، عبدالهادي ، قاموس علم الاجتماع ، مكتبة نهضة الشرق ، (القاهرة ، 1983) ، ص192ـ193 .

(3) دنيكن متشيل ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة : احسان محمد الحسن ، دار الرشيد ، (بغداد ، 1981) ، ص226ـ 227 .

والتقاليد السائدة فالافراد لايستطيعون المعيشة منعزلين الواحد عن الاخر والعلاقات انما تنتج بناءً على اساس تصرف الافراد ازاء بعضهم البعض [1].

ولما كانت الحياة الاجتماعية كلها ليست في الواقع الا نتيجة حتمية للعلاقات التي تربط بين الافراد ، فان دراسة العلاقات الاجتماعية ليست الا دراسة المجتمع بكل مظاهره من خلال دراسة العلاقات السائدة به [2].

يتكون التشكيل الاجتماعي في القبيلة من الصلبية والموالي والعبيد :

اولاً : الصليبة

وهم ابناء القبيلة الصرحاء اذ يمثل هؤلاء نواة التنظيم الاجتماعي في القبيلة ، وتتميز هذه الفئة بقدم البيت واول المعاشرة ، وغالباً ما تجتمع على نسب اعلى تتخذه هوية لها تميزها من غيرها من البطون ، لذلك كان افرادها يعتزون بذلك ويعدون انفسهم متساوين نظرياً في الاقل [3].

وقد اطلق على هؤلاء الافراد الصلبية وذلك لانهم اصلاء في النسب فقد جاء في كتب اللغويين ان معنى الكلمة "عربي صليب خالص النسب وامرأة صليبة كريمة المنصب عريقة" [4].

اما ابن منظور فله رأي آخر اذ ذكر قائلاً "قال اللحياني عن العرب هؤلاء ابناء صلبتهم ، والصلب من الظهر ، فسمي الجماع صلباً لان المني يخرج منه وقول العباس بن عبدالمطلب يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

تنقل من صالبٍ الى رحم   اذا مضى عالم بدا طبق

---

(1) سعفان ، حسن شحاته ، العلاقات الاجتماعية العامة (ماهيتها وفلسفتها ومجالاتها وقياسها) ، مطبعة دار التأليف والترجمة والنشر ، (مصر ، 1968) ، ص 50 ، 71 .

(2) حسن سعفان ، العلاقات الاجتماعية العامة ، ص34 .

(3) صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص134 . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 509ـ510 مادة (صرح) .

(4) التوحيدي ، ابي حيان ، البصائر والذخائر ، تحقيق : ابراهيم الكيلاني،مطبعة الانساء ،(دمشق ، بلا. ت) ، 3/ 465 ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، 3/ 209 مادة (صليب) .

وفي الحديث [1] ان الله خلق للجنة اهلاً ، خلقها لهم وهم في اصلاب ابائهم " [2].

وكان هؤلاء الصرحاء (الصليبة) يرون انفسهم متساوين في المكانة والشرف وفي الحقوق والواجبات وكان ابن العشيرة عموماً ."يعامل زعيمة الشيخ المتبوع معاملة الاكفاء والقرناء فكان الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها وقد سادت بين الناس على الاطلاق " [3].

وقد حظي ابناء هذه الفئة بامتيازات متعددة في القبيلة فكانت الرئاسة "لاتكون في غير نسبهم وهي تعتمد في ذلك على شرف البيت والعدد" [4]. وصرحاء النسب هم طبقة الاشراف يتفاوتون في الشرف بتفاوت بيوتهم بالحسب ، اذ كانوا يرتبطون بوشائج القرابة والانتماء الى اب مشترك ولهم الصدارة ولكن على الرغم من هذه المكانة المتميزة التي يتمتع بها الصرحاء في القبيلة ، الا ان عليهم الالتزام بتقاليدها ، فكانت القبيلة غالباً ما تخلع ابناءها الذين يخرجون عن تلك التقاليد والاعراف [5]وقد سلمت قريش من التفكك الداخلي فلم يحدث ان خرج عليها او من دائرتها بطن او عشيرة الى دائرة قبيلة اخرى الا في حالة نادرة [6].

ومن الواضح ان معظم الصفات صفات اجتماعية لا تورث "فلا يكون ابن الشريف شريفاً الا اذا حافظ باعماله على صفات المروءة ومتطلباتها " [7].وكان هؤلاء شأنهم شأن الطبقات الاخرى يهبّون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها ظالمة او مظلومة ، قال الشاعر :

---

[1] مسلم ، صحيح ، 4 / 2050 .

[2] لسان العرب ، 1/ 526ـ527 مادة (صلب) .

[3] فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب مطول ، 1/ 36 .

[4] ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص222 .

[5] ابن منظور ، لسان العرب ، 8/ 77 مادة (خلع) .

[6] التحق بنو عوف بن لؤي بقبيلة غطفان والتحق بنو الحارث بن لؤي ببني هزان بن عنزة بن اسد بن ربيعة . ينظر : الكلبي ، جمهرة النسب ، ص23ـ24 .

[7] صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص134 .

لايسألون اخاهم حين يندبهم   في النائبات على ماقال برهانا [1].

ومثلما كان الفرد يمنح نفسه لقبيلته ، فان القبيلة تمنح افرادها الحماية وحق التصرف كالاجارة ، فاذا اجار احد افراد القبيلة شخصاً ما فأن على القبيلة باكملها حماية ذلك الشخص ، فاذا سلك الفرد سلوكاً شائناً يسيء الى سمعة القبيلة ويجلب اليها العار ، نبذته القبيلة ولم تعد مسؤولة عنه ، وهذا يشكل امراً خطيراً للفرد المخلوع فهو يخرج من حماية قبيلته فلايمكن له العيش من غير ان يكون مرتبطاً بقبيلة او جماعة ، فسوف يكون بمعية هذه الحالة اما ان يلجأ الى قبيلة اخرى يعيش في حماها جاراً او مولى ، واما ان يلجأ الى الصحراء فيتخذ من الغزو والسلب وقطع الطرق وسيلة للحياة واسباب الرزق ، معتمداً على قوته الشخصية في فرض نفسه واثبات وجوده في مجتمع قطع كل صلة معه [2].

وعند الحديث عن الحجاز في أي جانب من جوانب دراستنا نجد ان مكة تنفرد عن قريناتها من مدن الحجاز الاخرى ، فكانت اكثر استقراراً من يثرب والطائف ، لانها حظيت بنوع من الاستقرار والامن لم يتوفر لغيرها من قبائل الحجاز فقد ضمنت بجوارها للبيت الحرام حرمة عامة ليس في نظر القبائل العربية الاخرى ، بل في نفوس ابنائها وهي بذلك سلمت من الغارات ، ولم تحدث بين بطونها اشتباكات ادت الى وقوع دماء بينها ، بل حرصت على حل منازعاتها حلاً سلمياً ، كذلك فانها توسعت في قاعدة الحكم وارتضت نوعاً من الحكومة وهي حكومة الملأ المكونة من زعماء العشائر ، حتى انها عدّت خروج المهاجرين من المسلمين الى الحبشة ويثرب من اعظم الامور التي تهدد وحدة القبيلة فاتهموا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، بانه فرق بين الناس [3] وبما ان العرف الاجتماعي يفرض على عاتق ابناء العشيرة الدفاع عنها عنها لحمايتها في الشدائد ووضع مصالحهم الخاصة جانباً ، ووضع مصلحة القبيلة في

---

[1] المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، 1/ 29 .

[2] ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 100ـ101 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 27ـ 29 .

[3] احمدالشريف ، مكة والمدينة ، ص225 .

القمة، حتى وان بدى له ان قبيلته على خطأ،وقد عبر الشعراء عن ذلك بقول دريد بن الصمة :

فلما عصوني كنت منهم وقد ارى غوايتهم وانني غير مهتدي

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد [1]

وبهذا نلمس ان الصريح يتمتع بمنزلة كبيرة الا ان هذه المنزلة الكبيرة كانت خاضعة لاعراف القبيلة والخروج عنها يمثل وصمة عار كبيرة في حياة هذا الفرد ، ومن ثم عليه التمسك بها لان فيها ضمان لسلامته وحريته ، وعلى الرغم من انها لم تكن مطلقة ، ولكن هذا لايلغي انها خلقت نوعاً من عدم التوازن والتفاوت الطبقي بين ابناء القبيلة .

ثانياً : الموالي واللصقاء

تعني لفظة مولى في اللغة : المالك ، والصاحب وابن العم والقريب والجار والحليف والنزيل والشرك والرب[2] . اما اللصقاء : أي الملتصقين بالقبيلة بواسطة الجوار والحلف وبالاصطناع [3].

ومن ابرز تشكيلات هذه الفئة : الحلفاء والمستجيرون [4].

أ. الحلفاء

الحلف في اللغة :"اصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق ، مما كان منه في الجاهلية (قبل الإسلام) على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام ، عن الرسول صلى الله عليه وآله

---

[1] ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص507 .

[2] الزبيدي ، تاج العروس ، 10/ 398 مادة(مولى) .

[3] الجابري ، العصبية والدولة ، ص466 .

[4] كانوا يسمون الجالية:الذين اجلوا عن اوطانهم ، أي ابعدوا عن اوطانهم.الاصفهاني، الاغاني ، 21/ 293 .

وسلم "لاحلف في الإسلام وما كان منه في الجاهلية (قبل الإسلام) على نصر المظلوم وصلة الارحام كحلف المطيين" [1] . وورد العهد بمعنى الميثاق استناداً الى قوله تعالى "واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم" [2]. وقوله تعالى "الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق" [3]. وتتألف هذه الفئة من الافراد والجماعات الذين ينضمون الى القبائل الاخرى،ويضعون انفسهم تحت حمايتها [4].

فالاحلاف هي ثمرة طبيعية قياساً للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في ذلك الوقت ، ويذكر البكري ان القبائل لما رأت "ماوقع بينها من الاختلاف والفرقة وتنافس الناس في الماء والكلأ ، والتماسهم المعاش في المتسع وغلبة بعضهم بعضاً على البلاد والمعاش ، واستضعاف القوي للضعيف ، انضم الذليل منهم الى العزيز وحالف القليل منهم الكثير وتباين القوم في ديارهم ومحالهم وانتشر كل قوم فيما يليهم" [5].

ومن الواضح ان الحليف لايرتبط بالعشيرة التي انتمى اليها برابطة الدم ، وذلك لانه في الاصل ينتمي الى عشيرة اخرى ، وانه قد انفصل عن عشيرته لسبب من الاسباب . وكان في جملة الاسباب التي تدعو الافراد للانفصال عن عشائرهم والالتجاء الى عشائر اخرى طالبين الحماية والتحالف هو الخلع ، وكان الافراد يخلعون من عشائرهم اذا ارتكبوا جرائم ضد احد افراد عشيرتهم او إساءة التصرف الى الحد الذي يصبح فيه وجودهم بين افراد قومهم غير مرغوب فيه ، وقد يكون سبب انفصال الرجل عن عشيرته والتحاقه بعشيرة اخرى راجعاً لعوامل مصلحية

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، 9/ 53 .

[2] سورة النحل 16 ، الآية 91 .

[3] سورة الرعد13 ، الآية 20 . وقد وردت كلمة احلاف في القرآن في اكثر من موضع ينظر : سورة الاعراف 7، الآية 102 ؛ سورة التوبة 9 ، الآية 401 .

[4] القلقشندي ، نهاية الارب ، ص21 .

[5] معجم ماالستعجم ، 1/ 53 .

كأن يلتجئ الى عشيرة معينة للعمل بها والمتاجرة مع افرادها او للزواج من احدى نسائها ويعيش بين افرادها الى جانب زوجته [1].

وقد شاع نظام الحلف في عصر ما قبل الإسلام وانتشر انتشاراً واسعاً ، فهو رابطة قوية ، واعتمدت بعض القبائل على نفسها ولم تدخل في احلاف وسميت بـ (جمرات العرب) لاعتمادها على شجاعة ابنائها الفردية ويتم الحلف عن طريق المواثيق والعهود [2].

ومن امثال الاحلاف العربية حلف المطيبين وحلف الفضول وحلف الرباب وحلف قريش والاحابيش [3].

ومثلما كان الحلف يكون بين الافراد ، كان يقوم بين القبائل والقبائل ويتحالف الافراد بعضهم ببعض ، ويشهر هذا الحلف ليكون معلوماً بين الناس ، وتتحالف القبائل ايضاً ببعض، وتحمل هذه التحالفات صبغة خاصة فهي حماية للعرض والمال والروح .

واحياناً تأخذ شكل حلف سياسي اواجتماعي أو اقتصادي ، واحياناً لاغراض هجومية او لاغراض اخرى،واحياناً يكون الحلف وقتياً،وكانت القبيلة تسعى لعقد حلف مع قبيلة اخرى لمساعدتها في صد غزو او هجوم على قبيلة ، أو لاخذ ثأر من قبيلة اخرى، واحلاف كهذه لاتستمر طويلاً اذ تنتهي بانتهاء الغاية التي من اجلها عقد الحلف،وعلى الغالب كان يسعى الضعيف ليعقد الاحلاف ـ كما اسلفنا ـ ليقوي عن طريق الحلف نفسه ويرفع مكانته،ومن هنا نعلم انه لايكون في مقدور القبائل او العشائر المحافظة على كيانها من غير حليف قوي يشد من ازرها اذا هاجمتها قبيلة

---

[1] محمد ، محمود جمعة ،النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم السامية،(القاهرة ، 1949)، ص148ـ149 ؛ صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص134ـ135 .

[2] كان العرب يعقدون الحلف على دم الذبائح او بغمس الايدي في جفان مملوءة بالدماء او بغمسها في الطيب . ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 132 ؛ المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص180 .

[3] البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 76 .

اخرى ، وكان معظم القبائل داخلة في هذه الاحلاف الا اعداداً قليلة من القبائل القوية كانت تتفاخر بنفسها، يقول النابغة الذبياني:

جمع محاشك يايزيد فانني اعددت يربوعاً لكم وتميماً

ولحقت بالنسب الذي عيرتني وتركت اصلك يايزيد ذميماً

عيرتني نسب الكرام وانما فخر المفاخر ان يعد كريما [1]

الا انها كانت تدافع عن حقها بالسيف،وقد تنزل القبائل على حلفائها وتكون الغلبة بطبيعة الحال للقبائل الكبيرة [2].

وحمل الحلف القدسية فقد اقسموا قسماً عظيماً على الصلح فلا غدر والى هذا المعنى يقول زهير بن ابي سلمى :

الا ابلغ الاحلاف عني رسالة وذبيان هل اقسمتم كل مقسم [3].

وقد ورد حلف ذي المجاز بمعلقة الحارث بن حلزة قائلاً :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قد م فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل ينـ قض مافي المهارق الاهواء [4]

وضرب العرب اروع الامثلة في المحافظة على العهود والمواثيق ، لما تحمل هذه العهود من قدسية خاصة في نفس العربي ، وقد حفظت روايات المؤرخين الكثير من

---

[1] المحاش : هم اقوام ينتمون الى قبائل شتى تحالفوا عندالنار على قوم النابغة حتى احترقوا . يزيد بن سنان بن ابي حارثة . ديوان النابغة الذبياني ، ص130 .

[2] الاصفهاني ، الاغاني ، 12/ 118ومابعدها .

[3] ديوان زهير بن ابي سلمي ، ص81 . وكان العرب يوثقون (العهد بالتماسح بالاكف والتحالف على النار والتعاقد على الملح وباليمين الغموس مثل قولهم ما سرى نجم وهبت ريح ، وبل بحر صوفه وخالفت جرة درة) . ينظر : الجاحظ : البيان والتبين ، 3/ 7 .

[4] الجاحظ : البيان والتبين ، 3/ 6 .

الامثلة على ذلك ، فكان للاحلاف دور كبير في الحياة السياسية فمثلاً في مكة كان الاخنس بن شريق الثقفي الذي بلغ من مكانته ، ان اثر على حلفائه بني زهرة فاقنعهم بالرجوع وعدم المشاركة في معركة بدر "فاطاعوه وكان بينهم مطاعاً" [1]. وكان لهؤلاء لهؤلاء الحلفاء حق الاجارة على ان لايجيروا احداً على حلفائهم لان الحليف لايجير على الصريح [2].

وكان العرب قبل الإسلام اذا ارادوا ان يعقدوا حلفاً "أوقدوا ناراً وعقدوا حلفهم عندها ودعوا بالحرمان والمنع من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد ، وكانوا يطرحون فيها الملح فاذا استشاطت قالوا للحالف هذه النار تهددك فان كان مبطلاً نكل ، وان كان بريئاً حلف ولهذا اسموها ايضاً نار المهول ، وانما خصوها لانها لاينفقع بها من بين انواع الحيوان غير الانسان" [3].

وكانوا اذا ارادوا ان يستحلفوا رجلاً اوقدوا ناراً والقوا فيها ملحاً من حيث لايشعر الحالف فينفقع الملح ، يهولون عليه بذلك ، وقد اشار اوس بن حجر الى ذلك بقوله :

اذا استقبلته الشمس صد بوجهه   كما صد عن نار المهول حالف [4]

وقال الشاعر :

حلفت بالملح والرماد وبالنار   وبالله نسلم الحلقه

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/ 258 ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص304 ـ 305 .

[2] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 347 .

[3] الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 162 .

[4] شرح ديوان اوس بن حجر ، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، (بيروت ، 1960) ، ص69 . المهول : الذي يتولى تحليف القوم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 713 ، مادة (هول) ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 3/ 7 .

حتـــى يظـــل الجـــواد منعفـــراً ويخضـــب النبـــل غـــرة الدرقـــه [1]

فضلاً عـن حرصـهم علـى هـذه التحالفـات واهتمـامهم بهـا كـانوا يـدونوها لتوكيدها وتثبيتها وتحفظ عند المتعاقدين او تودع في اماكن عبادتهم "فكانوا يدعون في الجاهلية (قبل الإسلام) من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيماً للامر وتبعيداً من النسيان" [2].

وشهادات الشهود على صحة العقود معروفة عند اهل مكة لانهـم قـوم تجـار وقد اكد القرآن الكريم على وجوب المحافظة وعدم كتمانها بقوله تعالى : " ولاتكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه اثم قلبه والله بما تعملون عليم" [3] ، وكـان هـذا الحلـف يتخذ مظهراً جميلاً تكاملياً بحتاً فيسمون "دمـي دمـك وهـدمي هـدمك وثـأري ثـأرك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وارثك وتطلب بـي واطلـب بـك وتعقـل عـني واعقل عنك" [4].

زد على ذلك ان الاحـلاف شـكلت اهميـة كـبيرة في حيـاة المجتمـع الحجـازي بصورة خاصة والجزيرة العربية بصورة عامـة ، فهـي تقـوم علـى التناصـر والمسـاندة وتجمع ابناء القبيلتين وتجمع كبيرهم وصغيرهم ، فمـثلاً عنـد محالفـة عبـدالمطلب بـن هاشم للخزاعين "تحالفوا على التناصر والمواساة حلفاً جامعاً غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاكابر والشاهد على الغائب تعاهدوا وتعاقدوا مـا شـرقت الشمس ..." [5].

---

[1] الحلقة : حلقة القوم ، الدرقة : هو ضرب من الترسة يتخذ من الجلود . الجاحظ ، البيان والتبين ، 3/ 8.

[2] الجاحظ ، الحيوان ، 1/ 69 ومابعدها . ويـذكر الـبلاذري : ان عـدد مـن كـان يكتـب في مكـة سـبعة عشـر رجـلاً ويدعون (بالكملة) اورد اسماءهم ، وفي المدينـة (يثـرب) احـد عشـر رجـلاً يكتبـون . ينظـر : فتـوح البلـدان ، ص660، 663 .

[3] سورة البقرة 2، الآية 283 .

[4] الحلبي ، علي برهان الشافعي ، السيرة الحلبية ، (بيروت ، بلا . ت) ، 1/ 272 .

[5] ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص90 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 71 ـ72 .

لكن تبقى منزلة الحليف دون منزلة الصريح لان هؤلاء الحلفاء لايرتبطون مع القبيلة برابطة القرابة ، لذلك ليس للحليف الحق بالاجارة ، فقد رفض الاخنس بن شريق اجارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال له "انا حليف والحليف لايجير "[1]. لكن للحليف حق في وراثة حليفه [2].

غير ان هذه المنزلة للحليف ، والمقيدة ببعض القيود يمكن ان تتحسن مع تقادم الزمن وطول المعاشرة فتختلط الانساب ويمكن للحليف ان يصبح صريحاً [3].وبقدر ماحمله الحلف من جوانب ايجابية اذ كانت هناك رابطة تجمع القبائل العربية على الرغم من اختلافها ونزاعها الدائم فكان خير مظهر لهذه القومية العربية [4]ان صح التعبير .

كذلك فان هذه الاحلاف ادت الى اخراج العصبية القبلية من اطارها المحلي الضيق من خلال روح التفاعل التي اوجدها مع الاخرين ، وعلى الرغم من الاثر المهم الذي تركته الاحلاف في الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الإسلام وبعد الإسلام ، وكذلك على الرغم من الحديث المنسوب الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي ناهض الحلف "لاحلف في الإسلام "[5]. فقد ادرك الرسول صلى صلى الله عليه وآله وسلم ضررها بالمجتمع العربي اذ كانت من اسباب التفريق .

ولقد تميزت الاحلاف باشكال عدة منها فردية ومنها جماعية ومنها احلاف داخلية واخرى خارجية ، والمهم ان الهدف الذي يقوم من اجله الحلف سواء الفردي او الجماعي هو المحافظة على التوازن بين القبائل المتحالفة زد على ذلك درأ اذى قبيلة

---

[1] ابن هشام ، السرة النبوية ، 1/ 381 .
[2] ابو داود ، سلمان بن الاشعث بن اسحق الازدي ، سنن ابو داود ، (مصر ، 1952) ، 2/ 115 .
[3] ابن دريد ، الاشتقاق ، 1/ 311 .
[4] الخربوطلي ، علي حسين ، محمد والقومية العربية ، (القاهرة ، 1959) ، ص21 .
[5] مسلم ، صحيح ، 4 / 1960 . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 9/ 53 مادة (حلف).

كبيرة عن اخرى صغيرة [1]. فهو حلف يعقده فرد او مجموعة افراد حين ينزلون بجوار احد الافراد او القبائل ومحالفتها على السكن بين ظهرانيها ويقع على الحليف ما يقع على افراد القبيلة التي تحالف معها [2].

وعلى الرغم من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي ادت الى قيام التحالفات السياسية هناك دور للجوار الجغرافي فكثيراً ما كانت القبائل المتحالفة متجاورة في مناطق استقرارها [3].

ان السمة الغالبة على الاحلاف كانت ذات سمة تناصرية ومؤازرة وهنا لابد من التعرض لمجتمع مكة والمتمثلة بقريش بصورة خاصة ، اذ كانوا مختلفين عن مجتمع يثرب والطائف ، فما يميز قريش هو روح التألف واهتمامهم بشؤون مدينتهم ومصالحهم فهي تمثل حالة فريدة في مدن الحجاز كلها بصورة خاصة والجزيرة العربية بصورة عامة ، فلو نظرنا الى ماذكره اليعقوبي [4] "ان قريشاً تحالفت احلافاً كثيرة على الحمية والمنعة" ونجد انفسنا امام سؤال في غاية الاهمية هو لماذا كانت قريش كثيرة الاحلاف على الرغم من وضعها الداخلي والخارجي المستقر كما اسلفنا ؟ والجواب عن السؤال ان قريشاً ارادت من وراء هذه التحالفات ايجاد نوع من الموازنة والاستقرار للتعبير عن مصالحها والحد من الاساءة الى علاقاتها الداخلية والخارجية وتشويه سمعتها وسمعة مكة وقداستها ، لذلك نراها لجأت الى اقامة حلف الفضول ، لقد ارادت قريش من وراء هذا الحلف القيام بحركة اجتماعية اصلاحية لتحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة ولاشاعتها بين الجميع فضلاً عن ان الملأ من قريش والمصالح المشتركة كانت تؤمن العدالة بينهم وتشد من وحدتهم الاجتماعية في رعاية

---

(1) الجبوري ، ابراهيم محمد ، التحالفات بين القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية قبل الاسلام وعصر الرسالة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، 1990 ، ص178 .

(2) ابراهيم الجبوري، التحالفات بين القبائل ، ص165 .

(3) ابراهيم الجبوري ، التحالفات بين القبائل ، ص 34 .

(4) تاريخ اليعقوبي ، 2/ 17 .

الكعبة [1]. على عكس الاحلاف الاخرى ذات الطبيعة السياسية وللحفاظ على الاخرين وضمان العمليات الاقتصادية داخل مكة [2].

اما يثرب فقد كانت تفتقر الى وحدة المصالح ، اذ كان سكانها من عنصرين مختلفين العرب واليهود ، فضلاً عن فقدانهم للاهداف المشتركة التي توحد بينهما مما تسبب في سوء علاقاتهم واضطرابها ، بقول قيس بن الخطيم بهذا الصدد يقول:

ويوم بعاث اسلمتنا سيوفنا   الى نسب في جذم غسان ثاقب [3]

اما الطائف فقد ادت المنافسات على الزعامة ، الى قيام الاحلاف الداخلية بين القبائل حتى تقوى الواحدة فيها على الاخرى ، فامتازت الطائف بروح التنافس بين الاحلاف وبني مالك وهذا ما كان ظاهراً اكثر من ظهوره في الجماعات العربية الاخرى [4].

ومن الاحلاف الجماعية حلف الاحابيش مع قريش وقد ذكرهم كعب بن مالك الانصاري في معركة احد

وجئنا الى موج من البحر وسطه   احابيش منهم حاسر ومقنع [5]

وكان للاحابيش دور بارز في الدفاع عن مكة عام الفتح بقيادة عمرو بن بلال سيد الاحابيش فقد وجه لهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد على رأس قوة كبيرة من المسلمين فقاتلهم وهزمهم [6].

---

[1] احمد الشريف ، دور الحجاز في القرنين ، ص48 .

[2] الجميلي ، خضير عباس ، دور قريش قبل الاسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات القومية ، الجامعة المستنصرية ، ص83 .

[3] ديوان قيس بن الخطيم، تح : ناصر الدين الاسد ، دار صادر ، (بيروت ،1967) ، ص89 ،123.

[4] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 2/ 63 .

[5] ديوان كعب بن مالك ، دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني،مكتبة النهضة ، (بغداد ، 1964) ، ص25 .

[6] الزبيري ، نسب قريش ، ص9 ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص245 . وحول هذا الحلف ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 1/ 241 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 1/ 56 ؛ الفاسي ، شفاء الغرام ، 1/ 150 ؛ ابن حبيب=

وقد حاولت الاحلاف التقرب الى الاوس وانشاء نوع من الحلف بينهما ضد بني مالك الا ان الصراع كان قائماً بين الاثنين ، ومن المرجح ان بين الاوس واحلاف الطائف تشابهاً في الظروف الاجتماعية والقبلية هذا التشابه يكاد يكون له دور في خلق هذه المحاولات في عقد الاحلاف [1].

اما يثرب فقد حالفت الاوس فيها بني قريضة والنضير في حروبهم يوم بعاث [2].

لقد تميزت الاحلاف بانها مواثيق على الوفاء والالتزامات التي اتفق عليها واتفق عليها بين الاحلاف ، وقد تكون هذه الاحلاف لمدة معينة قد لاتطول مدة طويلة فسرعان ما تنتهي بانتهاء الغاية التي من اجلها عقد الحلف ، زد على ذلك ان هذه الاحلاف اخذت شيئاً من الدلالة على الشعائر والايمان والمعاني الدينية، ويصف هيردوتس نقلاً عن جواد علي طريقة من طرق التحالف والمحافظة على العهود عند العرب فذكر "ان العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظه شديدة لايشاركهم في ذلك احد من الامم ، ولها قداسة خاصة عندهم حتى تكاد تكون من الامور الدينية المقدسة" [3].

ولهم طريقة معينة للقسم الذي يقسم به المحالفون فمنهم من اقسم بالاصنام ومنهم كانوا يحلفون عند الركن من الكعبة [4].

=المحبر ، ص246 .زيادة في التفصيل عن الاحلاف الجماعية ينظر : رسالة خضير الجميلي ، دور قريش ، ص209ـ213 .

(1) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، 1/ 686 ؛ مونتغمري واط ، محمد في مكة ، ص219 ـ 220 .

(2) الاصفهاني ، الاغاني ، 17/ 119 . وزيادة في التفصيل عن الاحلاف الفردية ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص 275، 280 ، 294 ، 324 ، 326 ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب ، 1/ 2،162/ 357 ؛ ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، 1/ 211، 2/ 57 ، 3/ 9ـ 34 ؛ مونتغمري واط ، محمد في المدينة ، الصفحات 235، 236، 238 ، 253 ، 241 ، 258 .

(3) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 379 .

(4) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، 1/ 241 .

وكانت هذه الاحلاف تدون لتوكيدها وتحفظ عند المتعاقدين ، وفي قصيدة قيس بن الخطيم مايفيد بوجود صحف مكتوبة بعهود ، وعقدت بين الاوس والخزرج بقوله :

لعمري لقد حالفت ذبيان كلها   وعبساً على مافي الاديم المدد [1]

وبما ان مراسيم الاحلاف من المراسيم المهمة اقترنت من اجل ذلك بتقديم الطعام للمتحالفين ، ومثالنا في ذلك ما قام به عبدالله بن جدعان من اعداد وليمة للمتحالفين ، فقد تكون هذه الولائم مظهراً من مظاهر مراسيم عقد الاحلاف لما للخبز والملح من ضرورة عند العرب [2].

ب. المستجيرون

وللجوار اهمية كبيرة لدى عرب قبل الإسلام فالجوار من سنن العرب [3]، وامتاز به اهل يثرب خاصة ، واذا استجار شخص بشخص اخر او قبيلة وقبل جاراً ومستجيراً وجبت حمايته ، وحق على المستجار به الدفاع عن مجيره مهما كلف الثمن والا عد ناقضاً للعهد ، وبذلك يكون مخالفاً للتقاليد العربية العريقة ، وقد وردت في كتب اللغة : "يقال للذي يستجيريك (جار) والجار الذي اجرته من ان يظلمه ظالم وجارك المستجير بك ، والمجير هو الذي يمنعك ويجيرك . واجاره : انقذه من شيء يقع عليه" [4].

والجوار من القوانين التي ترتبط بنظام الحلف وهو يعني ان يعمل الرجل ذمة لرجل آخر فيكون بموجبها جاره فيجيره [5].

---

(1) البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 238 ؛ ديوان قيس بن الخطيم ، ص117، 127 .

(2) ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 133 ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص45 ومابعدها .

(3) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 360 .

(4) الزبيدي ، تاج العروس ، 10/ 478 مادة (جار) .

(5) الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، (مصر ، 1952) ، 1/ 408-409 .

ولايشترط ان يكون فردياً،اذ كثيراً ما تلجأ القبائل الى قبول حق الاجارة [1].

وقد ورد في القرآن الكريم آيات ذكر فيها الجوار بمفهومه عند العرب وهو حماية الجار وابلاغ المستجير ومنع الاعتداء عليه [2].

وقد اعزّوا الجار والحليف حتى انه كان يعد من العشيرة ، لذا كان المجير يرثه في ماله ، وتمادوا في حماية الجار حتى حمايته من الموت ، فاذا مات دفع حاميه ومجيره و ديته الى اهله ، فقد رووا ان الاعشى خاف بني عامر على ما معه من عطايا فاتى علقمة بن علانة فقال له : اجرني . فقال اجرتك قال : من الجن والانس قال : نعم ، قال : ومن الموت . قال : لا ، فأتى عامر بن الطفيل فقال : اجرني قال : قد اجرتك قال من الانس والجن ، قال : نعم . قال ومن الموت قال نعم قال : وكيف تجيرني من الموت ؟ قال : ان مت وانت في جواري بعثت الى اهلك الدية ، فقال : الان علمت انك قد اجرتني من الموت فمدح عامراً وهجا علقمه" [3].

لكنهم لم يجيروا على الملوك ، فقد اوصى حصين بن حذيفة بن بدر اولاده وهو يحتضر وجاء في نصحه لهم : ولاتجيروا على الملوك ، فان ايديهم اطول من ايديكم [4].

قال عبيد بن الابرص :

انا لعمرك لايضام   حليفنا ابداً لدينا [5]

وقال :

نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا   ونلف بين ارامل الايتام [6]

---

(1) احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص40 .

(2) ينظر : سورة التوبة 9، الآية 6 ؛ سورة الانفال8 ، الآية 48 ؛ سورة المؤمنون23 ، الآية 88 ؛ سورة الملك 67، الآية 28 ؛ سورة الجن 72، الآية 22 ؛ سورة النساء4 ، الآية 36 .

(3) الاصفهاني ، الاغاني ، 8/8 .

(4) المرتضى ، الامالي ، 2/ 168 .

(5) ديوان عبيد بن الابرص ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) ، ص144 ؛ شعراء نجد والحجاز والعراق ، جمع الاب لويس شيخو اليسوعي ، مطبعة الاباء اليسوعين ، (بيروت ، 1924) ، ص600 .

(6) شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص 132 .

وقد كان الاعتداء على الجار يغضبهم ويثير حفيظتهم كأنه اعتداء عليهم ، واذا حدث فانهم يمتشقون الحسام للذب عن الجار فقالوا : فلان منيع الجار حامي الذمار . يقول الشاعر :

وما جار بيني بالذليل فترتجي   ظلامته يوماً ولا المهتضم [1]

وكانت حماية الجار دليلاً على الرهبة والقوة وان قلّ عدد افراد القبيلة قال السموأل :

وما ضرنا انا قليل وجارنا   عزيز وجار الاكثرين ذليل [2]

ولم يقتصر فخرهم على حمايتهم للجار ، بل يتنعم بخيراتهم ايضاً ، قال عدي ابن يزيد من بني شيبان في حديثه عن يوم ذي قار ، بانهم يخلطون جارهم بانفسهم ويكرمونه ويحمونه ، قال الشاعر :

اني حمدت بني شيبان اذ خمدت   نيران قومي وفيهم شبت النار

ومن تكرمهم في المحل انهم   لايعلم الجار فيهم انه الجار

حتى يكون عزيزاً من نفوسهم   أو ان يبين جميعاً وهو مختار [3]

وكما اوضحنا من قبل في موضوع الحلف فقد كان للجوار قيمة كبيرة في المجتمع القبلي لانه يوفر الحماية والدعم لاولئك المخلوعين الذين طردتهم قبائلهم فهما امام امرين : الاول : اما الاحتماء بهذه القبائل ، او اللجوء الى العيش صعاليك متمردين في الصحراء .

---

[1] الجاحظ ، البيان والتبين ، 2/ 217 .

[2] ديوان السموأل ، شرح عيس سابا ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص90 .

[3] ديوان حماسة التبريزي ، 1/ 108 .

ولم يكن جميع الموالي متساوين في الحقوق والمنزلة ، فابن العم هو من ابناء القبيلة الصرحاء اما الجار والحليف فليس في منزلة ابن القبيلة الصريح، والحليف يخضع لتقاليد القبيلة واعرافها والدفاع عنها ، ومن شروطه ان يعقل الرجل عن حليفه اذا ارتكب جناية وان يطالب بدمه اذا قتل [1].وقد نسمع ان موالي القبيلة يشكون من سوء معاملة حلفائهم وغمطهم حقوقهم [2].

وكان للنساء حق الاجاره ، ولدينا امثلة كثيرة على ذلك [3].

لقد كان العرب يحترمون قانون الجوار وبالمقابل فان على المستجيران يراعي حرمة جاره وان يلتزم بالقيم والاعراف السائدة ولا يسقط حقه في الجوار ويتم خلعه . وكانت للعرب اساليبهم في منح الجوار منها دخول الخيمة [4] او الدار ولم يكن الجوار مقبولاً في كل الاحوال ، اذ كثيراً ما يرفض اذ تعارض مع المصلحة العليا للقبيلة وقد ذكر ابن اسحاق "ان ابن الدغنة شرط على ابي بكر الصديق رضى الله عنه الذي كان في جواره ان لايعمل بما يتعارض مع مصلحة قبيلة قريش لكي يستمر في جواره" [5].

واشتهر اهل يثرب خاصة بالجوار اذ عرف بنو مرة بن مالك ـ احد بطون الاوس ـ بالجعادرة "وانما سموا بذلك لانهم كانوا يقولون للرجل اذا جاورهم ـ جعد ـ حيث شئت فانت آمن أي اذهب حيث شئت" [6].

---

[1] ينظر خبر حصين بن حمام وحلفائه . الاصفهاني ، الاغاني ، 1/ 14 ومابعدها .
[2] ينظر خبر زهير بن ابي سلمى وشكواه من اهتضام حقوقه . الاصفهاني ، الاغاني ، 10/ 291 .
[3] ينظر مثلاً : ابن حبيب ، المحبر ، ص433ـ 434 . وتسمى المراة التي تذهب بزوجها الى قومها فتجيره بالسحوب . وتسمى المرأة التي تتزوج في عربه الطريحة . ينظر ايضاً : نقائض جرير والفرزدق ، 1/ 278 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 461 مادة (سحب) ، 2/ 528 مادة (طرح) .
[4] قدامة ، ابو الفرج بن جعفر(ت321هـ) ، نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، (القاهرة ، 1963 ، ص161؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 22/ 7 .
[5] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 373 ـ 374 ؛ دروزه ، عصر النبي ، ص216 .
[6] ابن دريد ، الاشتقاق ، 2/ 437 .

وعرف بنو غنم بن عوف احد بطون الخزرج بالقواقل "لانهم كانوا اذ استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً فقالوا له : قوقل بيثرب حيث شئت"[1].

وكان في مكة الكثير من ابناء القبائل العربية الذين وفدوا اليها لغرض التجارة والعمل نظراً لمكانتها التجارية او لغرض الاحتماء بالبيت الحرام ، فضلاً عن وجود الخلعاء والصعاليك "الذين نبذتهم قبائلهم وتبرأت منهم ومن فعالهم لعدم انصياعهم لنظام القبيلة ، ويتم خلعهم عن طريق اعلان يعلن عادة في الاسواق العامة كسوق عكاظ"[2].

ولم يكن للمستجيرين دور بارز في الاحداث السياسية ، فلم يصلنا عنهم الا القليل من الاخبار ، لانهم جاءوا لغرض العيش بسلام ، فاساس هذا الحلف هو الشعور بالضعف وطلب الحماية عن طريق الجوار[3].

ورابطة الجوار حالة مؤقتة فهي تبقى ببقاء الجار في كنف مجيره وتنتهي بخروجه عنه وبذلك يعلن المجير انه في حل من حمايته . وكانت الاجارة تعلن على الملأ من الناس ليكونوا على دراية وبينة من ان المستجير اصبح في ذمة ذلك الشخص[4].

ان حماية الجار من الامور المهمة عند العرب فقد تدخل القبيلة باكملها في حروب طاحنة لحماية شخص اجاره احد افرادها[5].

ولا تكون منزلة الجماعة النازلة على قبيلة اخرى لتحالفها بمنزلة حليفتها ويعود ذلك الى سبب مخالفتها بسبب ضعف الحليفة وشعورها بالحاجة الى حليف تعتز

---

[1] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 432؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، 2/ 456 .

[2] عبدالكريم خليل ، قريش من القبيلة الى الدولة المركزية ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت ، 1997) ، ص286 ـ 287 .

[3] ابراهيم جمعة ، مذكرات في تاريخ العرب ، ص41 .

[4] ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 1/ 95ـ96 . ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص60 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 182 .

[5] ينظر : ايام العرب في الجاهلية ، ص320 .

به ، وقد تؤثر الجماعة الدخول في نسب حليفتها وبذلك تنقطع صلاتها بالقبيلة الام . وفي حالة الاندماج يصبح افراد هذه الجماعة بمثابة الابناء الصرحاء وهذه حالة كانت كثيرة لدى المجتمع القبلي ، ولدينا امثلة لمثل هذه الحالة [1].

ان استقراء واقع العلاقات بين القبائل يضع الباحث امام نمطين اساسين من هذه العلاقات اولهما : ايجابي يتمثل بالاحلاف والجوار والمواسم وثانيهما سلبي يتمثل بالغزو المتبادل بين القبائل سواء اكانت اسباب الغزو سياسية او اقتصادية او اجتماعية.

ويرى المستشرق مونتغمري واط غير هذه الاراء فيعزو سبب الاحلاف والجوار الى الظروف الجغرافية والمادية فيقول "اصبح من الشائع في المدينة(يثرب) استخدام الاطم لاسباب دفاعية وكان من الضروري استخدام عدد من الرجال لبنائها وللاشراف عليها ، فكان لابد من انضمام جماعات صغيرة الى جماعات اخرى فوجدت جماعات سماها (اهل راتج) وهي عبارة عن فئات تجمعت لتأمين الدفاع المشترك ثم ربطت بينها بمرور الزمن" [2].

يتبين من هذا الرأي ان بناء الاطام كان سبباً في اهتمام العرب بالجوار وهذا غير صحيح ، لقد سبق وان ذكرنا بان هناك اسباب مجتمعة شجعت العرب على الجوار وليس الظروف الجغرافية والمادية الوحيدة لاقامة الجوار بين القبائل ، واذا كان الحال في يثرب فما هو بالنا في مكة والطائف والمدن الاخرى من بلاد العرب .

وهنا لابد من الوقوف على مايقع فيه المستشرقون [3]من خطأ شائع وذلك بوصفهم العرب بالفردية ويتناقض مع طبيعتهم الاجتماعية ، وقد عزوا هذه الفردية الى خلق ابائهم الاولين لاسيما طور بداوتهم الاولى .ان ماوردناه يعطي بصورة لاتدعو الى الشك على ان تقليد التضامن الاجتماعي او العصبية الاجتماعية كان

---

[1] ينظر مثلاً دخول البرابيع وهم بطن من نمر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عباد من تغلب . الاصفهاني ، الاغاني ، 9/ 342 .

[2] محمد في المدينة ، ص262 .

[3] بلاشير . ر ، تاريخ الادب العربي ، ترجمة : ابراهيم الكيلاني ، منشورات وزارة الثقافة ، (دمشق ، 1973) ، ص39 ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص18 .

راسخاً عند العرب ، وقد كان هذا التضامن ركناً من حياتهم الاجتماعية ان لم يكن اقوى ركن ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ففى بيئة مثل بيئة العرب الصحراوية القاسية بوجه عام والحجاز خاصة فان العصبية الاجتماعية سواء كانت بين ذوي الارحام والقربى ام بين ابناء القبيلة ام القبائل المتعددة المتحالفة، كانت حاجة طبيعية ، لان بدونها لايمكن حفظ التوازن والحقوق ، واذا كان من مجال للنقد فهي للحدود الضيقة للعصبية الاجتماعية ورسوخها التي لم تكن تتعدى الوحدات الاجتماعية كالاسرة والقبيلة والذي ساهم في عوامل التفكك الذي حل بالعرب في القرون الإسلامية الاولى ، فضلاً عما تقدم فالعرب لم تكن الامة الوحيدة التي تتمسك بالتضامن الاجتماعي انما هي صفة عامة في البشر وقد مروا كلهم بهذا الدور[1] .

ثالثاً : العبيد

تعد هذه الفئة ادنى الفئات التي شكلت الترتيب القبلي في القبيلة وفي اخر السلم الاجتماعي ، وتعد الحروب والوقائع من اهم مصادر العبيد ، وقد كان هؤلاء المسترقون يجلبون الى الاسواق لبيعهم ، وكانت مكة احدى اسواق تجارة العبيد الذين يسبون في الحروب[2].وكانت المناطق المجاورة لجزيرة العرب من بلاد افريقيا مصدراً هاماً من مصادر العبيد كذلك[3].

اما الحالة الاجتماعية للعبيد فلم تكن بالمستوى المطلوب لاسيما من كان منهم من اصحاب السوداء او من ابناء الاماء الذين كان العرب يطلقون عليهم اسم الهجناء ويأبون الحاقهم بانسابهم[4].وكان يقال لولد العربي من غير العربية هجين لان

---

[1] لدينا امثلة كثيرة في التاريخ العربي تدل الى عكس ماذهب اليه المستشرقون ومن الامثلة حديث مقاطعة بني هاشم حيث دخل الهاشميين والمطلبيين انتصاراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، في حين كانوا متمسكين بدين الاباء بدافع عصبية القربى او الرحم . ينظر : ابن اسحق ، السير والمغازي ، ص156 .

[2] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/ 171 .

[3] جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، (بيروت ، د. ت) ، 4/ 20 .

[4] ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 431 مادة (هجن) ؛ الهاشمي ، على ، المرأة في الشعر الجاهلي ، (بغداد ، 1969) ، ص249 . الهجين عند العرب : الذي ابوه شريف وامه وضيعة والاصل ان تكون امةً . ينظر : المبرد ، الكامل ، 2/ 125 .

الغالب على الوان العرب الادمة وكانت العرب تسمي العجم الحمراء ورقاب المزاود لغلبة البياض على الوانهم قال عمر بن كلثوم :

ذراعي عيطل ادماء بكر   هجان اللون لم تقرأ جنينا [1]

وكانت العرب قبل الإسلام اذا كان للرجل منهم ولد من امه استعبده فان انجب اعترفت به والا بقي عبداً ، ومن الامثلة على ذلك عنترة بن شداد كان له اخوة من امه فاغار بعض احياء العرب على قوم من عبس فاصابوهم فتبعهم العبسيون فقاتلوهم فقال ابو عنترة لعنترة : كر فقال عنترة العبد : لايحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر فقال : كر وانت حر، فكرّ عنترة وانشد قائلاً :

كل امريء يحمي حره   اسوده واحمره [2].

وقال ابن الاعرابي : ابن مدينة ابن أمةَ ، وقال ابن خالويه: يقال للعبد مدين وللامة مدينة ، وقد فسر قوله تعالى (انا لمدينون) أي مملوكون قال الاخطل :

ربت وربا في حجرها ابن مدينة   يظل على مسحاته يتركل [3]

وكانت مكة اكبر سوق للرقيق في الجزيرة العربية وكان العرب يحرصون على شراء الجواري والعبيد منها ، لان لاهل مكة عناية خاصة بتربية الجواري والعبيد وتمرينهم على الخدمة المنزلية ، وافضل العبيد والجواري المجلوبون من الحبشة لانهم اخلص في الخدمة واوفى لسادتهم [4].

وكان العبيد اوالرقيق على نوعين :

أ. الرق الاسود

وهم من اصل افريقي سود البشرة اشتراهم الاثرياء للقيام باعمال شتى خدمة لهم وكان هذا النوع من الرقيق ضرورة في حركة الاقتصاد اذ انه يعوض عن الآلة في

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 431 مادة (هجن) ؛ الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص160.

[2] ديوان عنترة ، شرح كمال البستاني ، دار صادر ، (بيروت، بلا . ت) ، ص203؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص153 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 8/ 237ـ239 .

[3] نقائض جرير والاخطل ، ص50 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 17/ 18 .

[4] حافظ وهبه ، جغرافية جزيرة العرب ، ص36 .

الخدمات والاعمال [1].وكان عددهم في مكة كثيراً فيذكر ان هند بنت عبدالمطلب اعتقت في يوم احد اربعين عبداً من عبيدها ، واعتق سعيد بن العاص مائة عبد اشتراهم فاعتقهم جميعاً [2]وبسبب سعة اعمال الاثرياء فقد استخدموهم في القوافل التجارية وكان الرقيق يدافعون عن اسيادهم عند الضرورة ، وكان من عادة المسلمين ان يحرروا عبيدهم فمن ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرر عبيد الطائف حين نزلوا اليه وحاربوا معه اسيادهم حين غزا الطائف [3].

ب. الرق الابيض

وهؤلاء وصلوا الى الجزيرة اما من الشام او من العراق عن طريق الاسر ، ويباعون في اسواق النخاسة وكان الرقيق الابيض يسميه العرب الاحمر او الاصفر مفضلاً على الاسود واغلى ثمناً منه ففي رجاله بأس وفي نسائه جمال وشقره يهواها العرب ، وفي غلمانه حسن ووسامه ولانه جلب من بلاد متحضره فقد اكتسب ثقافة وفناً [4].

وقسم منهم يجلبه التجار من رقيق اوربا ويباعون في اسواق الشرق ويتميز الرقيق الابيض بحسن ادائه ووفرة في الانتاج ، اما ابرز الاعمال التي انيطت بهؤلاء وهي الخدمة في البيوتات والاشتغال بالمهن التي لابد للعامل فيها ان يمتلك المهارات الاساسية والخيرة والتمرس مع قدر من التفنن وهذه امور لايجيدها الا الخبرة من كان من اهل المدن والحضر [5].

وكان الرجال يسخرون فيما يحسنون من حرفة وصناعة ، ومن لايحسن عملا كان يسخر في الاعمال الحقيرة ، واما النساء فكن يتخذن لسقي القوم في مجالسهم

[1] جواد علي ، المفصل ، 4/ 118 .

[2] الجاحظ ، ابي عثمان عمرو بن بحر (ت255هـ) ، المحاسن والاضداد ، تصحيح : محمد امين الخانجي ، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1324) ، ص228 ؛ احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص228 .

[3] ابن هشام ، السيرة النبوية ، 4/ 485 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 119 .

[4] الحميري، الروض المعطار ،ص64؛ الترمانيني ، عبدالسلام ، الرق ماضيه وحاضره ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، 1985) ، ص114 .

[5] محمد عزة دروزة ، عصر النبي ، ص233 .

وتسليتهم بالرقص والغناء وامتاعهم بفنون اللهو والمجون ومنهن البغايا يساعي بهن مالكوهن ، ويقيمون لهن دوراً كانت ترفع عليها رايات حمر ، فعرفن باصحاب الرايات [1].

ويصور لنا المتطبب البغدادي في رسالته مايتحلى به كل صنف من الاماء وما يختص به من الصفات والطبائع ، فالمدنيات سمر الالوان معتدلات الاقوام وقد اجتمع فيهن حلاوة القول والنعمة قانعات بالقليل لا يغضبن ولا يصخبن ويصلحن للقيان ، اما المكيات خناث مؤنثات لينات الارساخ الوانهن بيض المشرب بسمره ، والطائفيات سمر مذهبات مجدولات السن بامهات اولاد يكسلن في الحَبل ويِهلكن عند الولادة [2].

ولم يكن هؤلاء العبيد متساوين في الحقوق والامتيازات اسوة باقرانهم من الفئات الاخرى ، حتى ان العبد لايقدر على الزواج الا بإذن سيده ، وكان ابناء الاماء البيض من اباء عرب يعرفون بالهجناء ، اما ابناء الاماء السود فيطلقون عليهم اسم اغربة العرب [3] وكان الرقيق ملكاً لسيده ولم يكن له حقوق مدنية او سياسية في العشيرة وكان عليه ان يعمل في خدمة سيده ويطيع اوامره طاعة تامة وقد عبر عنترة بقوله :

المال مالكم والعبد عبدكم فهل عذابك عني اليوم مصروف [4]

وكان اهل المدينة (يثرب) يكرهون اتخاذ الاماء امهات اولادهم [5].

---

(1) مساعاة الامة هو ان يضرب السيد على امته ضريبة الزنا ، منهن امرأة يقال لها ام مهزول . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص340 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 4 .

(2) ابن بطلان :الشيخ ابا الحسن المختار بن الحسن بن عبدون ، رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد ، نوادر المخطوطات ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، 1973) ، ص372 .

(3) اغربة العرب : وهم الذين جاءهم السواد من قبل امهاتهم منهم عنترة بن شداد ، وضفاف بن عمير وسليك بن السلكة . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 8/ 240 .

(4) ديوان عنترة بن شداد ، ص53 ؛ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص153 .

(5) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص253 .

وكانت طبقة العبيد في المجتمع العربي قبل الإسلام طبقة محرومة من الامتيازات، وكانت طبقة مثقلة بالواجبات نحو ساداتها وكان يوكل اليهم بالاعمال التي يأنف العرب في القيام بها مثل الرعي والحدادة والتجارة ، وكان في امكان العبد ان يعتق اذا قام بعمل كبير او ادى خدمة عظيمة لسيده تبرر عتقه وتحريره [1].

وابن الامة لاترغب فيه الحرائر وكذلك فان بيته لايكون مصاناً كسائر بيوت الناس ، فكانت امرأته تزار رضى بالزيارة هو ام لم يرض [2].

وقد ورد عند البغدادي في رسالته "من اراد الجارية للذة فليتخذها بربرية ومن ارادها خازنة وحافظة فرومية ، ومن ارادها للولد ففارسية ، ومن ارادها للرضاع ففرنجية ، ومن ارادها للغناء فمكية" [3]

اما الاماء فقد كلفت باعمال شاقة فهي في الاسر الراقية تقوم بالطبخ ولوازمه، قال طرفه بن العبد :

تبيت اماء الحيّ تطهي قدورنا ويأوي الينا الاشعث المتجرف [4]

وهي تقوم بالطحن والخبز والخدمات المنزلية كافة فقد روى عن دريد بن الصمة انه عندما اسن وشاخ وكل به قومه امة تخدمه [5].

روي عن ماوية زوجة حاتم الطائي انها ارسلت له جاريتها تخبره بقدوم اضياف ليرسل لهم مايحتاجون اليه فقال :

ايا ابنة عبدالله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس والورد

---

[1] السيد عبدالعزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ص385 .
[2] علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص246 .
[3] شري الرقيق وتقليب العبيد ، ص325 .
[4] ديوان طرفه بن العبد ، شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت، 1961) ، ص68 .
[5] علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص262 .

اذا ماصنعت الزاد فالتمسـي لـه   اكـيلاً فـاني لسـت اكلـه وحـدي [1]

وقال شاعر :

فقلت لعبدينا اديرا رحاكما   فقد جاء رجاف العشي جرور [2]

كذلك فان الاماء يقمن بالتحطيب وقطع الاخشاب يقول طرفة بذلك :

لااری الا النعام به   كالاماء اشرفت حزمه [3]

وقول قيس بن الخطيم :

اصابت سراة الاغر سيوفنا   وغودر اولاد الاماء الحواطب [4].

ويتم عتق العبد اذ عمل عملاً كبيراً وادى خدمات عظيمـة كمـا ذكرنـا او قـد يتفق مع سيده على شراء حريته بالمال ، فيكتب بذلك عهداً ويطلق على العبد المتحرر بهذه الطريقة (المكاتب) وتعني (الفرض) وفي قوله تعالى "كتب عليكم الصيام كمـا كتب على الذين من قبلكم " [5] أي فرض عليكم وهي ان يفرض المولى علـى عبـده اداء مبلغاً لقاء عتقه [6].وربما يعتق بتوصية من سيده قبل مماته تقربـاً للالهـة ، وهـذا مايطلق عليه (المدبر) [7]. وربما يتخذ السيد عتيقة ابنـاً لـه وفي هـذه الحـال لايحـق للسيد ان يتزوج زوجة متبناه [8].

---

[1] ديوان حاتم الطائي ، ص43 ؛ على الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص262 .
[2] نقائض جرير والفرزدق ، 1/ 34 .
[3] ديوان طرفة بن العبد ، ص85 .
[4] ديوان قيس بن الخطيم ، ص91 .
[5] سورة البقرة 2، الاية 183 .
[6] عبدالسلام الترمانني ، الرق ، ص85 .
[7] ابن الاثير الجزري،مجد الدين ابي السعادات (ت 606هـ)،النهاية في غريب الحديث والاثر، تح: طاهر احمد الراوي و محمود محمد الطناجي،دار احياء التراث العربي،(بيروت ، بلا. ت)، 1/ 43ـ 44 .
[8] احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص24 .

وكان بعض الرقيق من اصل عربي اذ تأسر القبيلة بعض افراد قبيلة اخرى في غارة من غاراتهم ثم تسترق هذا بالسبي والعنف والقوة وتبيعهم في اسواق الجزيرة بالمال الى المشترين من تجار القبائل ، فمثلما كانت الحروب غايتها الاستيلاء على اكبر قدر من الغنائم والاسرى ، كانت النساء اللائي لاتفديهن قبائلهن ، يصبحن اماء للقبيلة التي اسرتهن [1]. وعرفت تجارة العبيد باسم النخاسة ، وقد كان عبدالله بن جدعان تاجر للرقيق او نخاساً بل اكبر تجار قريش. ودليل على اهمية النخاسة في مكة ورواجها بين قريش وجود سوق الرقيق الذي نظم خصيصاً لهذا النوع من التجارة عند جبل ابي قبيس قبل جبل فاضح [2].

وتعددت جنسيات اولئك الرقيق فمنهم الحبشي والفارسي والرومي ، واجاد البعض من الرقيق الابيض القراءة والكتابة [3].

ويذكر ان الرقيق كان يباع في اسواق خاصة ، وفيه يعرض النخاسون تجارتهم ويصنفون رقيقهم الى زمر وتعرف كل زمرة بمزاياها وخواصها ويقف الرقيق على منصة ليراهم الشارون : وينادي النخاس عليه ويمتدح مزاياه ومايحسنه وتجري المزاودة عليه فيشتريه من يدفع فيه ثمناً اغلى [4]. ومن طريف مايذكر في هذا الصدد ماذكره القزويني "ان بعض التجار اشترى مملوكاً حسن الصورة بثمن بالغ فلما غاب عنه بائعه، وجده جارية" [5].

وكان للمشتري الحق ان يقلب العبد او الامة بنظره ويده ، وكان النخاسون يلجأون الى الحيلة والتدليس في اخفاء العيوب ولاسيما الاماء ، فيعمدون الى تغير

---

(1) ناصر الدين اسد ، القيان والغناء ، ص36 .

(2) الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 81.

(3) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 6/ 589.

(4) عبدالسلام الترمانيني ، الرق ، ص106 . ينظر : البغدادي ، رسالة في شري الرقيق، نوادر المخطوطات ، ص347 .

(5) اثار البلاد واخبار العباد ، ص531 .

البشرة فيحيلون السمراء الى ذهبية اللون ويجعدون الشعور السبطة ويسبطون الشعور الجعدة ويسمنون الاعضاء الهزيلة [1].

ولم يكن للرقيق اية حقوق مادية او معنوية ، ولا حقوق اجتماعية ولا سياسية فليس لهم حقوق مدنية اذ يعمل هؤلاء بقوت يومي أي بمأكلهم وملبسهم وسكنهم مقابل الاعمال العديدة الملقاة على عواتقهم ، وكانوا سلاحاً يستخدم للدفاع عن السادة ايام السلم والحرب [2].

لذلك زادت الحاجة لهؤلاء العبيد فأخذت الاسر الغنية تشتريهم وتصطفيهم وتختارهم ، فاصبح عاملاً مهماً من عوامل الرفاهية عند الطبقات المترفة في الحواضر الثلاث ، ونرى في الجانب الاخر أي الجانب الاجتماعي عمل الرقيق على انحلال الاسرة والمجتمع بما اشاعت تلك الطبقة من انحلال في تلك المجتمعات واشاعت الرذيلة واللهو والفساد .

زد على ذلك ان المعروف عن الرقيق اذا ما انفعل عبر عن انفعاله في غير تحرج،وكان العرب يعرفون ذلك فيهم ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم خرج الى حنين في عبيد الحبشة "ان جاعوا سرقوا وان شبعوا زنوا" [3].

لكن هذه الطبقة عاشت عيشة سيئة لذلك نرى لهذا الوضع السيء سرعة استجابة هؤلاء للدعوة الإسلامية ، لان الإسلام قد قام بثورة اجتماعية ، مما كان له الاثر الواضح في نفوس هؤلاء فالإسلام ساوى بين السيد والعبد والناس كلهم لادم وادم من تراب ، لذلك فان الإسلام انتشل هذه الطبقة من الظلمات الى النور فسارعوا للاسلام ، وهذا مانلمسه جلياً من خلال اسلام مجموعة كبيرة من العبيد في الإسلام فقد كانوا مقاتلين اشداء مؤمنين حتى اصبح للبعض شأن كبير .

---

[1] عبدالسلام الترمانيني ، الرق ، ص106 .

[2] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 118 ومابعدها.

[3] ينظر : الهيثمي ، علي بن ابي بكر (ت807هـ) ، مجمع الزوائد ، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، (القاهرة وبيروت ، 1407هـ) ، 4/ 235 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 1/ 65 ؛ الحوفي ، الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، دار القلم ، (بيروت ، 1972) ، ص157 .

شرائح المجتمع

لقد عاشت العرب كغيرها من الامم متفاوته في شرائحها ففيها الغني المترف وفيها الفقير البائس وذلك يعود بالدرجة الاولى الى تلك البيئة الصحراوية التي خلقت تلك الشرائح .

اولاً. الاغنياء

ان المجتمع القبلي من وجهة النظر الاقتصادية مجتمع بسيط التكوين يتألف من ثلاث طبقات ، طبقة المال من التجار واصحاب الابل الذين تتركز في ايديهم الثروة وتتحكم رؤوس اموالهم في الحياة الاقتصادية والطبقة الثانية التي تتألف من صغار التجار واهل الحرف وهم افضل حالاً من الطبقة الثالثة وهم الفقراء الذين لم يستطيعوا المشاركة في النشاط التجاري ، وكانت الهوة الاقتصادية بين هؤلاء قد بلغت حداً كبيراً مما ادى الى اختلال التوازن الاقتصادي والاجتماعي ، فشكلت طبقة الاغنياء طبقة متميزة في المجتمع الحجازي ،وكانت لهم السيادة والسيطرة في مجتمعهم ، وكان المال الذي يعد وسيلة التعامل الاقتصادي في المجتمع ، ويختلف مفهومه باختلاف البيئة الاجتماعية والمال فيه يكون فك الاسرى ، ويمهرون زواجهم ، ويدفعون ديات قتلاهم لذلك سموها (النعم) [1]، وكان الاغنياء قد كسبوا اموالهم وكونوا ثرواتهم من اشتغالهم بالتجارة او اشتغالهم بالزراعة ، وكانوا اثرياء العرب قلة اذا ماقيسوا بفقرائهم ، وتكونت هذه الطبقة من كبار التجار والمرابين ومالكي المزارع، وكثيراً ما كان الواحد منهم يجمع مابين عدة انشطة اقتصادية فلا يقتصر عمله على نشاط واحد [2]. وكان هؤلاء يرتبط بعضهم

---

[1] النعم : الابل خاصة ، والانعام الابل والبقر والغنم .ابن منظور ، لسان العرب ، 12/ 585 مادة (نعم) . ينظر : الخربوطلي ، علي حسين ، المجتمع العربي ، (القاهرة ، 1959) ، ص29 .

[2] عبدالكريم خليل ، قريش من القبيلة الى الدولة المركزية ، ص300 .

بـبعض بالمصـالح المشـتركة [1]، ولقـد بلـغ هـؤلاء مـن صـور الغنـى ارفـع الـدرجات ، فيـذكر ان عبـدالله بـن جـدعان كـان ثريـاً جـداً الى درجـة انـه يأكـل ويشـرب بآنيـة مـن الـذهب والفضـة حتـى عـرف بحاسـي الـذهب [2]، ومـن مظـاهر ثـراء قـريش ان عثمـان بـن عفـان رضـى الله عنـه جهـز وحـده جـيش العسـرة(تبـوك) بتسـعمائة وخمسـين بعـيراً واتمهـا الفـاً بخمسـين فرسـاً ،وهـو الـذي اشـترى بئـر رومـة [3] في يثـرب ، اشـترى نصـفها اول الامـر بـاثنى عشـر الـف الـف درهـم فجعلـه للمسـلمين ثـم اشـترى النصـف الثانيـة بثمانيـة الاف درهـم [4] ، ولقد صور النابغة ترف هذه الطبقة فيصف ملابسهم وثيابهم .

رقـاق النعـال طيـب حجـزاتهم ... يحيـون بالريحـان يـوم السباسـب

تحيـيهم بـيض الولائـد بيـنهم ... واكسـيه الاضـريح فـوق المشـاجب

يصـونون اجسـاداً قـديما نعيمهـا ... بخالصـة الاردان خضـر المناكـب [5]

ومن سادات يثرب قبل الإسلام سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وابنه قيس بـن سعد بن عبادة ومالك بن العجـلان[6] ومـن سـادات الطـائف عبـد ياليـل واخوتـه (حبيبا) و (مسعودا) و (ربيعة) و (كنانة) وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيره الثقفي . وكانوا اثرياء أجواداً يطعمون بالرياح [7] وبنو عـلاج مـن البيـوت

---

[1] احمد عباس صالح ، اليمين واليسار ، ص24 .

[2] الالوسي ، بلوغ الارب ، 1/ 87 ؛ جاد المولى وآخرون ، ايام العرب ، ص248 .

[3] بئر رومة في يثرب وكانت ليهودي يبيع المسلمين ماءها فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين وله بها مشرب في الجنة فاشتراها عثمان بن عفان رضى الله عنه بعشرين الفاً . ينظر : البكري ، معجم مااستعجم ، 2/ 658؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص274 .

[4] ابن قتيبة ، المعارف ، ص83 .

[5] ديوان النابغة ، ص53 .

[6] الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 3/ 90 ـ 93 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 137 .

[7] ابن حبيب ، المحبر ، ص460 .

البيوت القديمة المعروفة بالطائف [1] ، ويذكر الطبري عروة بن مسعود وهو من وجوه الطائف [2].

وكان هؤلاء الاغنياء من هو ذو حس وعاطفة فعطفوا على المحتاج واطعموا الناس فمثلاً هاشم بن عبد مناف وكان من سادات قريش اذ اصابت قريشاً سنوات قحط فكان يقوم بنحر الابل ويقدمها الى اهل مكة فيشبعهم فسمى هاشماً وفيه يقول ابن الزبعري :

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف [3]

ويروى ان رجلين من بني سليم دخلا مكة معتمرين في سنة فقالا:" فما وجدنا بها شواءً ولا قرى ، فبينما نحن كذلك اذ رأينا قوماً يمضون ، فقلنا اين يريد هؤلاء القوم ، فقيل لنايريدون الطعام ، فمضينا في جملتهم حتى اتينا داراً فولجناها ، فاذا رجل آدم على سرير وعليه حلة سوداء ، واذا جفان مملوءة خبزاً ولحماً فقعدنا فأكلنا وشبعنا ... وسألنا عن صاحب الطعام فاذا هو ابو جهل بن هشام" [4].

وكان حكيم بن حزام بن خويلد وهو من اشهر تجار مكة ذو شرف ومال كثيراً وكان يضع ماله في صناعة البر ومعالجته قبل الإسلام وكان ذا ثروة طائلة ولكنه لم يكتنزها ، بل كان جواداً كريماً حتى انه قاسم الفقراء وذووي الحاجات ارباح تجارته [5] . وممن اطعم الناس وكان يفتح بيته للضيوف ولا يمنع جائعاً من دخول داره ، وكانت له جفان يأكل منها القائم والراكب [6] ، وكان منهم من يبخل بماله فلا ينفقه على المحتاجين والمساكين ، وكان منهم من يعتذر عن بخله وحرصه بقوله

---

(1) ابن دريد ، الاشتقاق ، 1/ 305 .

(2) تاريخ الرسل ، 3 / 82 ومابعدها .

(3) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 76؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 64 .

(4) ابن حبيب ، المحبر ، ص140 . جفن : اعظم مايكون من القصاع والجمع جفان . ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 89 مادة (جفن) .

(5) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 83 ـ 84 .

(6) العصامي ، سمط النجوم ، 1/ 199 .

تعالى "فذلك الذي يدع اليتيم ولايحض على طعام المسكين " [1] وقال احد بني الخزرج:

الخالطين فقيرهم بغنيهم والباذلين عطاءهم للسائل [2]

وكانت الايلاف من اهم العوامل التي ادت الى ازدهار تجارة المكيين ، والذي تم به انتقال تجار مكة الى بقية الاقاليم ، وتذكر المصادر ان ابناء عبد مناف ادوا دوراً هاماً ومؤثراً في مساعدة الفقراء والمحتاجين وتعد فكرة الايلاف من المشاريع التي سعت الى تحقيق نوع من التوازن الاجتماعي في مكة من خلال اشراك الفقراء في هذه السياسة ، مقابل بعض الحصص في الارباح نظير اعمالهم [3].

لقد كان من نتائج هذا التطور الاقتصادي الذي شهده المجتمع الحضري عامة ، والمكي خاصة ، شيوع مظاهر الغنى والترف والاسراف وظهور فئات عديدة مستقلة تسعى لخدمة مصالحها بلا مراعاة لمصالح الاخرين ، وقد ادى ذلك الى ظهور نمط اجتماعي لا تستند مقوماته الى المبادئ العليا القديمة القائمة على مبدأ التكافل الاجتماعي ، وانما اصبح الثراء الفردي هو القيمة العليا في المجتمع [4]، ففي المجتمع اليثربي كان بعض سادات القبائل واغنيائها ينعمون بحياة وعيش رغيد يتطاولون في امتلاك الثروات والضياع ، يتهافتون في اقتناء الدور والحصون والعبيد ، وقد مهدت لهم ثرواتهم سبل العيش واللذة فعمرت دورهم بمجالس الطرب والشراب ، ولم يكن ذلك الا مظهراً من مظاهر الثراء والترف. [5]

---

[1] سورة الماعون 107 ، الاية 3،2 .

[2] شرح حماسة التبريزي ، 2/ 289.

[3] كستر ، م . ج ، الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : د. يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1976) ، ص50 ـ 51 .

[4] مكسيم،رودنسون ، حياة النبي (ص) والمشكلة الاجتماعية لاصول الاسلام ، ترجمة : زينب رضوان،مجلة الفكر العربي (الاستشراق)، السنة الخامسة ، العدد/ 3، (بيروت ، 1983)، ص13 .

[5] جميل سعيد ، تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية الى ابي نؤاس ، مطبعة الاعتقاد ،(مصر ، 1945) ، ص28 ومابعدها .

ومن مظاهر الثراء والترف الاهتمام بالمظهر الخارجي وحسن الهندام ، فقد اهتم القرشيون على وجه الخصوص بمظهرهم وحسن هندامهم ، فاقتنوا الملابس الجميلة ، بل اتخذوا كل مايزين في الملبس خاصة ، فلبس عبدالمطلب العمامة فزادته هيبة مظهر، وهيبة شخصياتهم وجمالهم [1].وكان امر تنظيم البيع والشراء منعدماً ، فنجد مثلاً في اسواق يثرب لم تكن هناك رقابة رادعة على التجار الذين يغشون في الكيل ويحتالون على الناس [2]وقد تغير الامر بظهور الإسلام اذ نزلت آيات خاصة بضبط المكاييل[3] والموازين وقد مارس اهل يثرب ومكة اعمال الصيرفة وكانوا يعدونها نوعاً من التجارة [4].

وكان في مكة ويثرب والطائف مرابون محترفون ليس لهم سوى العيش على الربا [5]، وقد كان الربا مظهراً من مظاهر الحياة الاقتصادية والتجارية ووسيلة من وسائل التعامل في المجتمع العربي عامة ، وفي المدن خاصة وكان يزاول في مكة ويثرب مزاولة كبيرة بين اهلها انفسهم وبينهم وبين الوافدين اليهم ، وكان وسيلة من وسائل زيادة الثروة وقد مارسه العرب واليهود على حد السواء ، فقد ذكرت الروايات ان احية بن الجلاح احد زعماء الاوس كان يتعامل بالربا حتى مع قومه من الاوس حتى كاد يحيط باموالهم فكان له تسع وتسعون بئراً [6]، ومنهم من كان يبغي المال والكسب،لذلك كان يقامر بكل مايملك في سبيل الحصول على المال للمياسرة،وروى عن ابن عباس"كان الرجل في الجاهلية ـ قبل الإسلام ـ يخاطر على اهله وماله" في سبيل المياسرة [7].

---

[1] ابن حبيب ، المحبر ، ص21 ـ 22 .

[2] ابن حجر ، الاصابة ، 4/ 36 .

[3] منها قوله تعالى"أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين"الشعراء26،الاية181،وقوله تعالى"والسماء رفعها ووضع الميزان،الاتطغوا في الميزان"سورة الرحمن 55،الاية8،7.ينظر : سورة المطففين 83، الاية 1ـ 3 .

[4] الكتاني ، التراتيب الادارية ، 2/ 35 .

[5] كحالة ، عمر رضا ، مباحث اجتماعية ، ص102 ـ 103 .

[6] الاصفهاني ، الاغاني ، 15/ 51 ؛ البغدادي ، عبدالقادر بن عمر (ت 1093هـ) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبدالسلام هارون ، ط2 ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، 1988) ، 3/ 337 ؛ سعيد الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، مطابع دار الفكر ، (دمشق ، 1960) ، ص62 .

[7] الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 53 ؛ على جواد ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 127 .

ويعد الربا تلك الاعمال التي كانوا يتعاملون بها واعمال الصيرفة قائمة على بيع الذهب بالفضة يداً بيد ، وفي بعض الاحيان يكون البيع بالنسأ او التأخير ولم يكن شائعاً [(1)].

لقد كان لتجار القبائل سواء في مكة ام يثرب ام الطائف دور كبير ساهم في ازدهار رواج التجارة في اسواقها [(2)]وقد ذكر ان عبدالرحمن بن عوف لما هاجر الى المدينة (يثرب) قال : دلوني على السوق حيث اشتغل بالتجارة فكثر ماله ، حتى قدمت له سبعمائة راحلة تحمل البر والدقيق والطعام [(3)].وكان من امكانيات الاثرياء ان امتلك اثرياء مكة المزارع الخاصة بهم في الطائف ، وذلك للعلاقات المتينة الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تربط مكة بالطائف ، فامتلك عمرو بن العاص مزرعة كروم كبيرة بالوهط كلفته الف درهم ثمناً لخشب عرائش العنب وبلغ عددها الف عريش [(4)] وكان للعباس بن عبدالمطلب كرم بالطائف وكان يداين اهل الطائف الطائف على زبيبهم [(5)]كذلك فقد لعبت الاسواق التجارية دوراً مهماً في اشاعة التعامل بين المدينة والبادية [(6)]. فضلاً عن البيع والشراء فقد ادت الاسواق دوراً مهماً في حياة الجزيرة قبل الإسلام ، فقد كانت وسيلة للتقارب بين العادات والاتجاهات ، وعنصراً فاعلاً في تقريب الشعور واحداث نوع من الاتجاهات العامة ، كما قامت في تنشيط حركة التجارة وفي بث الثقافة ، فضلاً عن اثرها في التقريب بين اللهجات [(7)]فضلاً عن انها سبب لاينكر في ازدهار الحياة الاجتماعية من خلال خلق وشائج الصلة مع المناطق والبلدان الاخرى،وعلى الرغم من ان الهدف الاساس

[(1)] الكتاني ، التراتيب الادارية ، 2/ 36 .

[(2)] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 3/ 114 ـ 115 . ينظر : الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، ص39 ـ 40 .

[(3)] الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ) ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، (القاهرة ، 1955) ، 1/ 50 .

[(4)] ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 386 .

[(5)] الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 114 . ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص75 .

[(6)] نجد في القرآن الكريم اشارات الى معرفة العرب للنقد بقوله "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين" سورة يوسف 12، الآية 20 . ينظر : سورة آل عمران 3، الآية 75 .

[(7)] الدوري ، عبدالعزيز ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، دار الطليعة ، (بيروت ، 1980) ، ص41 .

من اقامتها هو التجارة الا انها تطورت مع تقادم الزمن فاصبحت ظاهرة اقتصادية وادبية واجتماعية لانها تنمي ضروباً من العادات او الشعائر المشتركة بين القبائل [1]،ومن مصادر ثرائهم الاخرى الغزو والغارات المتعددة،وكان لهذه الغزوات الاثر المهم في الحصول على المال [2].

لقد برز التفاوت في الثروة والانقسام الاجتماعي في حواضر الحجاز ايضاً ، فمكة التي هي مدينة تجارية كانت تضم فئة التجار والذين كان منهم التاجر الكبير والصغير ، واذا كان هناك تفاوت بين الناس في يثرب والطائف الا انه بالتأكيد دون حدة التفاوت في مكة بحكم ان الزراعة تعمل على تجزئة الثروة وتقلل من الفوارق ، على حين تسعى التجارة لخلق تفاوت عن طريق تنمية الثروة [3] .

نستخلص مما تقدم ان هذا الثراء تحول الى ضروب من الترف والنعيم فاكلوا وشربوا في اواني الذهب والفضة ، ولبسوا السندس والديباج والاستبرق ومقطعات الخز [4]والحرير والحلل الموشاة [5].

ثانياً الطبقات العامة

نشأت هذه الفئة بين فئتي الاغنياء والفقراء ، وقد ظهرت نتيجة للتطور الاجتماعي ، وتتألف هذه الفئة من صغار التجار واهل الحرف واصحاب قطعان الماشية ، وكان الكثير من اشراف مكة يجمعون بين الحرفة والتجارة فكان ابو طالب بن عبدالمطلب يبيع العطر وكان ابو بكر رضى الله عنه بزازاً والعوام خياطاً ، وعقبة بن ابي معيط خماراً وكان ابو سفيان بن حرب يبيع الزيت والجلود المدبوغة التي كانت تسمى الادم ومنهم من كان يعمل بصناعة النسيج اليدوي [6]. ولم تقتصر هذه

---

[1] الافغاني ، اسواق العرب في الجاهلية ، ص222 .

[2] احمد الحوفي ، الحياة العربية ، ص303

[3] ياسين ، لجمان ، تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، مطبعة بيت الموصل ، (الموصل ، 1988) ، ص65 .

[4] الاصفهاني ، الاغاني ، 5/ 66 .

[5] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 4/ 126 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 1/ 221 ، 278 ، 11/ 29 .

[6] ابن قتيبة ، المعارف ، ص249 ، 250 .

الحرف والاعمال على الرجال فقط وانما كان بعض النساء يعملن في هذا المضمار فكانت الحنظلية ام ابي جهل تعمل في بيع العطور [1]وهناك مهن اقل شأناً ومنزلة مارسها بعضهم في يثرب مثل مهنة الحجام [2] وكذلك الجزار ويدعى احياناً لحاماً [3] ومهنة الخياط [4] ومهنة حفر القبور وقد يسمى الحفار نباشاً [5]وعرف [5]وعرف اهل يثرب السقاء وكان يحمل الماء للناس على ظهره او على الابل ، واحياناً كان يؤجر نفسه ليستخرج الماء في البئر بالدلو على كل دلو تمرة [6] وكان لبعض النساء نشاط مهني يتلاءم مع تقاليد المجتمع ، فكان هناك من النساء الماشطة والقابلة والمرضعة [7] وقد عرفت المدينة (يثرب) صناعة النسيج الا انها كانت تمارس تمارس على نطاق ضيق ، وكان يقوم بها بعض النساء في البيوت [8] كذلك حرفة الدباغة وحرفة البناء وضرب الطين او الطوب ، فضلاً عن البراعة في التخطيط ومعرفة القواعد الصحيحة لجعل الاساس وصف الطوب [9].

ثالثاً الفقراء والمعدمين

شكلت هذه الفئة الاغلبية الساحقة في المجتمع سواءاً في مكة المجتمع التجاري ام يثرب والطائف المجتمعات الزراعية ، فعاشوا في المستوى المعيشي السحيق نفسه وهم لايمتلكون الا قوت عملهم فهم يعملون بالاجرة اليومية لدى غيرهم ،اما في حراسة القافلة وادارتها او غيرها من الاعمال التي يؤجر عليها صاحبها [10]واكثر هؤلاء لم

---

[1] الاصفهاني ، الاغاني ، 1/ 65 .

[2] ابن حجر ، الاصابة ، 2/ 104 .

[3] ابن حجر،الاصابة،4/ 102. واللحام بصفة المبالغة بائع اللحم.ينظر:الكتاني، التراتيب الادارية ، 2/ 106 .

[4] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 391 ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، الادارية ، 2/ 60 .

[5] واطلق لفظ نباش ، وفيما بعد على صغار القبور لغرض السرقة . ينظر : ابن حجر ، الاصابة ، 1/ 67 ؛ الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص769 .

[6] ابن حجر ، الاصابة ، 3/ 297، 298 .

[7] الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص751،747 ،

[8] ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 454 ؛ الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص707 .

[9] السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 333 ـ 334 ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، 2/ 75 .

[10] صالح عباس ، اليمين واليسار ، ص26 .

يجدوا قوت يومهم ، فهم يحيون في ضنك من العيش وقد تصل بهم الحال الى الاعتزال في مكان ما للموت جوعاً ويطلق عليه (الاعتقاد)[1] وقد فضل عروة عروة الموت على الحياة الذليلة التي شعر فيها بقوله :

اذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه ولم تعطف عليه اقاربه

فللموت خير للفتى من حياته فقيراً ومن مولىً تدب عقاربه[2]

ونشأت عن الفقر حالتان من الرق بيع النفس والاولاد، وافتقار المدين[3]وقد كان قسم من الفقراء يستدينون ويكون موعدهم الهلال حتى انهم كانوا اذا رأوا الهلال قالوا : لامرحباً بمحل الدين ومقرب الاجال ، وذلك لانهم كانوا يتواعدون في دفع الديون على مطالع القمر[4].

وكانت طبقة العبيد من بيض وسود في وضع اجتماعي سيء ، فقد سلبتهم - ان جاز التعبير - الارستقراطية العربية والمؤمنة ايماناً عميقاً برابطة الدم كل مايمكن ان يكون لهم من حقوق وفرضت عليهم من الواجبات ما ارهق كواهلهم واهدر انسانيتهم وباعدت بينهم وبين الحياة الاجتماعية الكريمة وضيقت عليهم النطاق في حياة ذليلة مهينه على هامش المجتمع .

فكان من الطبيعي ان تتمرد هذه الطبقة وتفّر الى الصحراء ولم يكن امامها غير طريق القوة حتى تستعيد مكانتها ، فاخذت تثأر من المجتمع الذي ابى عليها حقها في

---

[1] ذلك ان قريشاً كانوا اذا اصابت احدهم مخمصة جرى هو وعياله الى موضع معروف فضربوا على انفسهم خباءً فماتوا . ينظر : القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، 2/ 240 ؛ الصالحي ، محمد بن يوسف الشامي (ت942هـ) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح : الدكتور مصطفى عبدالواحد ، مطابع الاهرام التجارية ، (القاهرة، 1972) ، 1/ 317 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 80 .

[2] شرح ديوان عروة بن الورد ، ص19 .

[3] عبدالسلام الترمانيني ، الرق ، ص44 .

[4] الزبيدي ، تاج العروس ، 7/ 286 مادة (هلل) ، 9/ 72 مادة (نجم) .

الحياة ،فخرجت وانتشرت من هذه الاوضاع طبقة الصعاليك ، والصعلكة في اللغة : الفقير الذي لامال له ولا اعتماد ، قال حاتم الطائي :

عنينا زماناً بالتصعلك والغنى   كما الدهر في ايامه العسر واليسر

فما زادنا بأوا على ذي قرابةٍ   غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر [1]

وتكونت الصعاليك من مخلوعي القبائل وشذاذها ومن هجنائها واغربتها ومن فقرائها المتمردين الذين فارقوا قبائلهم ليؤلفوا فيما بينهم مجتمعاً فوضوياً متمرداً يتخذ من الغزو والغارات وسائل للحياة ومن السلب والنهب وقطع الطريق اساليب للعيش يجمعهم هدفاً مشتركاً هو الفقر والتشرد ، ويصف تأبط شراً وهو من مشاهير الصعاليك نفسه بقوله :

شامس في القرِّ حتى اذا ما   ذكت الشعرى فبرد وظل

ظاعن بالحزم حتى اذا ما   حلَّ حل الحزمُ حيث يحل

غيث مزنٍ غامر حيث يجدي   واذا يسطوفليث ابل

مسبل في الحي احوى رفلّ   واذا يغزو فسمع ازل [2]

ونتيجة لتلك الظروف برزت فئة اخرى على النقيض من الصعلكة والمتمثلة بالفتوة [3] وكانت الفتوة في عرفهم تقوم على السخاء والكرم والحرية المطلقة واتلاف المال في الجد والهزل ، على ان هؤلاء الفتيان يمثلون ابناء الذوات واولاد

---

(1) ديوان حاتم الطائي ، ص51 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 455 ، 456 مادة (صعلك) .

(2) ديوان تأبط شراً ، ص249 .

(3) عرف شباب ابناء الاغنياء والجاه بالفتيان ، ويراد به الشباب وقد تطلق على السخي الكريم وهو من (الفتوة) . ينظر : الزبيدي تاج العروس ، 10 / 275 مادة (فتى) .

الاصول العريقة والمرموقين [1]كأمرئ القيس وطرفة بن العبد الذي وصفهم بقوله: بقوله:

اذا القوم قالوا من فتى خلت انني عنيـــت فلـــم اكســـل ولم اتبلـــد

احلت عليهـا بـالقطيع فـا جـذمت وقـــد خـــب آل الامعـــز المتوقـــد

فـذالت كمـا ذالـت وليـدة مجلسٍ تـــري ربهـــا اذيـــال كـــل ممـــدد

ولســـت بحـــلال الـــتلاع مخافـــة ولكـــن متـــى يســـترفد القـــوم ارفـــد [2]

والمتتبع لاشعار الصعاليك يجد فيه نزعة انسانية حاولـت ان تجـد حـلاً لمشـكلة الفقر في هذا المجتمع بما فرضته من حق للفقراء في اموال الاغنياء ، وكان من اهدافهم تحقيق الحرية للجميع والمساواة ، فضلاً عن ذلـك فهـم سـجلوا اراءهـم الاجتماعيـة والاقتصادية ومايملأ نفوسهم من احساس بالفقر وشعور بالظلم والاضـطهاد والـذل والهوان ، وعللوا لثورتهم التي اثاروها ضد مجتمعهم ، وفسروا الدوافع المختلفـة الـتي دفعتهم اليها يقول عروة بن الورد يقول :

ذريـــني اطـــوف في الـــبلاد لعلـــني اخليـك او اغنيـك عـن سـوء محضـري

فـــان فـــاز ســـهم للمنيـــة لم اكـــن جزوعـــاً وهـــل عـــن ذاك مـــن متأخـــر

وان فـــاز ســـهمي كفكـــم عـــن مقاعـــدٍ لكم خلـف ادبـار البيـوت ومنظـر [3]

[1] سمك ، محمد صالح،امير الشعراء في العصر القديم امرؤ القيس،دار النهضة،(مصر،1929) ، ص76 .
[2] شرح ديوان طرفة ، ص29 .
[3] ديوان عروة بن الورد ، ص36 .

ويحدثنا السليك في بعض شعره كيف كان يغمى عليه من الجوع في شهور الصيف حتى ليشرف على الموت والهلاك :

وما نلتها حتى تصعلكت حقبة   وكدت لاسباب المنية اعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني   اذ قمت تغشاني ظلال فأسدف [1]

وكان من العرب من يساعد الفقراء والصعاليك بتقديم الخيل لهم للاغارة بها واكتساب الرزق عن طريق الغارات وروى عن الريان بن حريص العبدي "انه كان قد جعل فرسه (هراوة) موقوفه على الاغراب من قومه ، فكانوا يغزون عليها ويستفيدون المال ليتزوجوا ، فاذا استفاد واحد منهم مالاً واهلها دفعها الى اخر منهم فكانوا يتداولونها، فضربت مثلاً فقيل اعز من هراوة الاغراب " [2] ومنهم من جعل في ماله يؤديها الى الفقراء على وجهه القرب الى الالهة ، او عن دافع انساني او عن حب للظهور والفخر [3] .

---

[1] الاصفهاني ، الاغاني ، 20 / 378 . اعرف : اصبر . اسدف : اظلمت عيناه من الجوع . الاصفهاني ، الاغاني ، 2/ 378 .

[2] ابن رشيق ، العمدة ، 2/ 235.

[3] جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 87 .



الفصل الثالث
الحياة الاسرية

المبحث الأول

الأســـرة

تعد الأسرة نواة التشكيل الاجتماعي فهي الوحدة الاجتماعية الأولى في المجتمع القبلي ، واساس تكوين القبيلة ذلك ان المثل الأعلى للعربي يتمثل بانجابه اكبر عدد من الأبناء الأشداء ، حتى تصبح أسرته بين أقاربه ذات شأن يجعلهم يعدونه شيخهم الأكبر ، ويدعون أنفسهم أبناءه . والذي يعنينا هنا ان افراد كل قبيلة كانوا يؤمنون بانهم أبناء لأب واحد ، فهم يؤلفون أسرة واحدة قائمة بذاتها لا اختلاط فيها متجانسة لا تباين بين أفرادها ويعمل الجميع لهدف واحد هو المحافظة عليها ، وقد نشأ عن هذا الإيمان بالأسرة ايماناً بوحدة اجتماعية تتغلل في نفوس أبناء القبيلة نشا عنه إحساسهم بالذوبان في هذه الوحدة احساساً قوياً [1]،وتتألف الأسرة من الأب والام والأبناء ويقوم نظامها على أساس النظام الأبوي * الذي يتمتع فيه رب الأسرة بنفوذ واسع فيها [2]

وقد دفعت هذه الأسباب إعطاء الرجل دوراً اكثر أهمية وتأثيراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، في حين قل دور المرأة وضعف ليصبح واجبها الأساسي هو تربية الأبناء والاهتمام بشؤون البيت ، هذا في البادية ، اما في الحواضر فالوضع مختلف تماماً فقد شكلت المرأة أهمية كبيرة بفضل التطور الاقتصادي الذي شهده هذا المجتمع سواء المجتمع التجاري ام الزراعي والذي اثر الى حد كبير في طبيعة النظام الاجتماعي واوجد نوعاً من الاستقرار [3].

ففي إطار مجتمع يثرب او الطائف الزراعي الذي يقوم على الأسرة بوصفها وحدة أساسية في الإنتاج أسهمت المرأة اسهاماً فاعلاً ، وبدأت تقوم بعمل مزدوج يجمع بين الحقل والبيت ، وهذا بدوره اكسب المرأة مكانة في نفوس الرجال ، وان التفاعل الاجتماعي في الحقل صقل شخصية المرأة واكسبها مزيداً من الخبرة والمعرفة [4] ناهيك عن المجتمع المكي ، ذلك المجتمع التجاري الذي لعبت المرأة فيه

دوراً هاماً وفاعلاً من خلال المشاركة في ذلك النشاط الى جانب دورها ربة بيت ، ولانعدم ان تكون المرأة قد لعبت دور الوكيل لزوجها الذي كان ينتقل سعياً وراء الربح ، وهذا طبيعي في مجتمع قبلي ، فالرجل هو قوام الأسرة وربها والمسؤول عن حياتها ورزقها وشؤونها وهو المكلف بالحرب والدفاع والمطالب بالثأر وهو المخاطب في المسؤوليات الاجتماعية المتنوعة ، فهو اذن صاحب الرأي والكلمة والمظهر البارز ، على ان المرأة من حيث العموم ظلت تابعة للرجل ومنسوبة اليه وتحت حمايته ومسؤوليته .

ويرى علماء الاجتماع انه ليس لاصطلاح الأسرة تعريف او معنى واضح متفق عليه ، ومع هذا يحاول كلاً من برجسن ولوك في كتابهما (الأسرة) تعريف الأسرة على انها جماعة من الأفراد تربطهم روابط قوية من صلات الزواج والدم والبنين تعيش في دار واحدة وتربط أعضاءها الأب والام والابن والبنت علاقات اجتماعية متماسكة أساسها المصالح والأهداف المشتركة [5].

والأسرة من خلايا المجتمع الأساسية وهي العماد الهام الذي يقوم عليه البنيان الاجتماعي ، وتختلف وظائفها بالنسبة للماضي والحاضر ، وتختلف باختلاف المجتمعات ، على ان هناك وظائف عامة للأسرة لابد من توافرها لصالحها كنظام اجتماعي ولصالح المجتمع واستمراره ، ومن وظائفها إمداد المجتمع بالأعضاء الجدد من خلال الوظائف البيولوجية ، كإرضاء النزعات الجنسية ووظائف نفسية ، وعاطفية تتصل بتوفر الاستقرار والأمن والحماية لأعضاء الأسرة ، فضلاً عن الوظائف التربوية ، المتمثلة بالتنشئة الاجتماعية ، والأسرة اقدر الهيئات في المجتمع على القيام بذلك [6]

ومن المعروف ان مجالات الاختيار الحضاري عند الإنسان لا يحددها قانون ثابت وانما تنبثق هذه الاختيارات من خلال الحاجة والقدرة والتطور والشعور لتأكيد ان الإنسان جزء من تركيبة اجتماعية واقتصادية تتحرك في إطار واقع اجتماعي شاركت في بنائه تقاليد وأسهمت في تحديد تركيبة ضوابط وقيم ، وان تركيبة هذه الاختيارات دائماً تعيد أشكال الأطر الاجتماعية وتجعلها قادرة على الاستمرار ،

ولكنها قد تختلف وتحدد قرابة الأشخاص من الواجبات والحقوق والعلاقات الاجتماعية المختلفة وعندها تجد القرابة مجالها للتشابك ، ودورها في التقارب ، وقدرتها في تأكيد المدلول الاجتماعي للتماسك والشعور بوحدة الانتماء في ظل هذه الحسابات تتحدد العلاقة داخل الأسرة وخارجها [7].

لقد شكل نظام الأبوة في مكة في حقبة ما قبل الإسلام النظام الأكثر شيوعاً، فضلاً عن هذا ان السيادة الأبوية كانت على ما يبدو عنصراً هاماً من عناصر التنظيم الاجتماعي في مكة في هذه الحقبة بدليل ان الوحدة الاجتماعية كانت القبيلة المبنية على أساس من علاقات النسب كما أسلفنا ، ونجزم أن هذا النظام كان السائد في مكة منذ زمن قصي بن كلاب ، الذي لم يكتنف قصة حياته وحياة أبنائه وأحفاده أي ظل او شك ، ولم يكن الحال نفسه بيثرب ، ولكن الأمر لا يخلو من بعض الشواذ فمثلاً اسم ابي كبشة كان من الأسماء المؤنثة الشائعة في يثرب ، ولم يكن كذلك في مكة وانه في بعض الكنيات اليثربية أسماء مؤنثة كاسم ابي لبابة ، ومن المؤكد ان اسم ابي كبشة الذي كان يطلق على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاعلاقة له اطلاقاً بابي كبشة الذي كان من موالي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والذي حارب في صفوف المسلمين في معركة بدر [8]. وقد يكون السبب في إطلاق هذا الاسم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كني ابو كبشة فكناه أهل يثرب (المدينة) لاظهار نسبه بمدينتهم [9]على ان الأبوة كنظاماً يحدد العلاقات في المجتمع والأسرة في ظل النظام السائد الذي تجمع كل الدلائل على سيادته وثبوت أركانه في المجتمع المكي ومن الشواهد الإرث والثأر والزواج ، فالأب وزوجه يرتبط بعضهما ببعض بأواصر أسرية سابقة تأخذ نمطاً جديداً في التنظيم الأسري بعد المصاهرة يطلق عليه (العمومة والخؤولة)الذي يمثل الاتصال الجذري بانتماء ركني الأسرة ، ومن تجمع عدد من الأسر المنضوية تحت هذا التنظيم نشأت القبيلة ، وتختلف تلك الصلات في جذورها من مجتمع لآخر ، وبالرغم من ان الأسرة نظام اجتماعي عام كثير التباين والتفاوت بتباين المجتمعات البشرية وتفاوتها، الا إننا نجد ان بناءها يعتمد على دعامتين نشاهدهما في كل المجتمعات فالدعامة الأولى هي حاجة الإنسان الى ان يعيش في جماعة لان ضمان حياته وبقائه أمر جمعي اكثر منه أمر فردي ، اما الدعامة الثانية فتعود الى

النوع الإنساني كله من اصل واحد مما جعل خصائصه البيولوجية متقاربة ومشتركة لذلك نجد تشابهاً في سلوكه وعاداته من ناحية الإطار العام والأساليب المتصلة بالأسرة كالزواج والأمومة والعناية بالأطفال [10].

ونجد ان بعض المجتمعات ترجعها الى خط الأب وهو ما يعرف بالنظام الأبوي، وأخرى ترجعها الى خط الام وهو ما يطلق عليه النظام الأمومي الذي يعتمد محور الصلة فيه على الام وحدها وعلى هذا سارت الأقوام الجزرية القديمة جميعها ،ومنها الأمة العربية وتسير عليه الأمم الإسلامية في العصر الحاضر[11] فالاتصال الأسري يبدأ في الغالب بالأب ، وفي أحوال نادرة تتغلب فيه شهرة الام [12] ، ومن المعروف ان انتماء القبيلة الى اب واحد يعني ان اسمها مأخوذ من اسمه مثل مذهل وعامر وشيبان وعبد قيس وثقيف ونحوهم من أسماء القبائل العربية ، ولعل هذا الغالب في مسميات القبائل العربية عامة [13] وهناك طائفة من القبائل سميت باسم الام او لقبها في مثل خندف[14] وبجيلة وبنو قيلة (الاوس والخزرج) وما شابههما [15] وربما نسبت في تسميتها الى الحاضنة من ذلك قبيلة ضبنة وكذلك باهلة احتضنت أبناء معن بن اعصر فنسبوا اليها [16].

والأسرة في اللغة أسرة الرجل ورهطه لانه يتقوى بهم وعشيرته الادنين وقال بعضهم عشيرة الرجل واهل بيته [17] ، والبيت يعني : "أهل الرجل واخص الناس به " [18]، والأهل : "أهل الرجل واهل الدار ، واهل الرجل اقرب أقاربه ، والمختلطون به وهم آله ، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام "واجعل لي وزيراً من أهلي هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري " [19] ، وقال أمية بن ابي الصلت :

قومي ثقيف ان سألت واسرتي وبهم ادافع ركن من عاداني [20]

لقد صور لنا الشعر عند العرب قبل الإسلام الحياة الاجتماعية عامة ، وما تعلق منها بصلات الأسر التي تمثل عنوان الوجود العربي في بيئته القاسية التي تحفز على النصرة والتلاحم وتدعو الى الافتخار واظهار القوة والقدرة الجماعية ، ففيما ذكره عبدالله بن الزبعري مفتخراً بأسرته وقبيلته [21].

لعمرك ما جاءت بكر عشيرتي وان صالحت إخوانها لا ألومها
يود جناة الشر ان سيوفنا بإيماننا مسلومة لا نشيمها [22]

وقال عبيد بن الأبرص مفتخراً بقومه الذين قتلوا حجراً ابا الشاعر امرؤ القيس:

أتوعد اسرتي وتركت حجراً يريغ سواد عينيه الغراب
ابوا دين الملوك فهم لقاح اذا ندبوا الى حرب أجابوا [23]

ولم نلمس من خلال النصوص الشعرية دلالة الأسرة العددية ، ولكننا قد نلمس بعض المفاهيم المحددة من نصوص قليلة كقول لبيد وهو يفتخر باسرته وقد حددهم بقوله :

فعمي ابن الحيا وابو شريح وعمي خالد حزم وجود
وجدي فارس الرعشاء منهم رئيس لا اسرولا سنيد
وشارف في قرى الأرياف خالي واعطي فوق مايعطي الوفود
وجدت ابي ربيعاً لليتامى وللاضياف اذ حب الفئيد
وخالي خديم وابو زهير وزنباع ومولاهم اسيد
وقيس رهط آل ابي اسيم فان قايست فانظر ما تفيد
أولئك اسرتي فاجمع اليهم فما في شعبتيك لهم نديد [24]

وكان لبعض علماء الاجتماع قول آخر فقد وجدوا ان الأسرة كانت تنظم جميع افراد العشيرة اذ لا يوجد فرق عندهم بين مفهومي الأسرة والعشيرة [25] لذلك ربط هؤلاء الاجتماعيون دلالة العشيرة برباط قدسي ديني دعوه بالطوطمية [26].

ويبدو من خلال النصوص التي بين أيدينا ان نظام الصلات الأسرية الذي يقوم على احتواء جميع الأقارب من ناحية الذكور تشترك فيه معظم الأمم التي تنتمي الى

الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، فقد كانت الأسرة عند العرب قبل الإسلام " تنظم جميع الأقارب من ناحية الذكور "[27] فالولد لا يلحق بابيه الا اذا رضي الاب ان يلحق به ، واذا اختصموا في مولود استفتوا أصنامهم عن حقيقته ، فيذكر ابن الكلبي "كان في جوف الكعبة : هبل وخريمة وقدامة سبع اقدح مكتوب في أولها صريح ، وفي الاخر ملصق ، فاذا شكوا في مولود ، اهدوا له هدية ،ثم ضربوا بالقداح فأن خرج صريح الحقوه،وان خرج ملصق دفعوه"[28] ، ولم يكن اقتناع الاب ببنوة الولد ملزماً له الى الابد في الاعتراف ، فقد كان بامكانه ان يطرده وهو مايسمى في مجتمعهم (بالخلع)[29] كما مر .

سن الضعائن اباء لنا سلفوا　　　فلن تبيد وللاباء ابناء[30]

ولهذا الحق لم يكن للولدِ الاعتراض على ما يفرضه ابوهم عليهم من حقوق ولا مخافة أوامره ونواهيه فيوسع والدهم فرض مايراه عليهم من عقوبات فلا يمنعه منها الا قوة الولد وتوسط الناس[31] بقوله تعالى "ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم "[32] وقد ورد في امثال العرب " الولد للفراش وللعاهر الحجر "[33]. وتتجلى العصبية بشدة في مجال الاسرة وبوضوح شديد ، لان الفرد دائم الاتصال باسرته في حين يخضع ارتباطه بقبيلته لمتطلبات المجتمع وظروف الحياة والمصالح المتبادلة بينه وبينها لذلك نجده في حيرة عندما يعتدي احد من ابناء قبيلته على احد افراد اسرته قال الشاعر :

قومي هم قتلوا اميم اخي　　　فاذا رميت يصيبني سهمي

ولئن عفوت لاعفون جللاً　　　ولئن مرعت لاوهنن عظمي[34]

وتعد الصلات الاسرية من اقوى الروابط التي تربط الافراد بعضهم ببعض وتختلف هذه الصلات من حيث الشدة ، فالمجتمعات التي تسودها العصبية تغالي في قيمة الروابط الاسرية ، وتجعل لها المقام الاول في الحساب بالنسبة للاهداف التي تواجه الافراد في المواقف المختلفة[35] .

فالعربي لايتراجع عن الثورة والانتقام لابناء اسرته لاسيما المقتول ان كان رئيساً لاسرته او من اقربائه الادنين ، كأن يكون اخاه اوعمه فلا يتوانى ان يقتل حتى خاله ثأراً لابيه فمما ذكر عن الهجرس بن كليب وائل انه قتل خاله جساس بن مرة وتراً لابيه مع ان خاله قد رباه وزوجه ابنته وقال مفتخراً :

اصاب ابي خالي وما انا بالذي امثل امرئ بين خالي ووالدي
واوردت جساس بن مرة غصةً اذ ما اعترتني حرها غير بارد [36]

واذا ولد المولد سر اهله بميلاده والعرب مثل غيرهم من الشعوب القديمة كانوا يفرحون بميلاد ولد ذكر ، ويغتمون اذا ولدت لهم انثى ، ويقيمون وليمة لميلاده وكثرة البنين من المفاخر التي يفتخر بها العرب قبل الإسلام [37] استناداً الى قوله تعالى" المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك " [38].

نخلص مما تقدم ان الاسرة هي اصغر وحدة اجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات ، وتتكون من الافراد الذين ينتسبون الى الاب ، اذ كان الاب هو رأس الاسرة وبيده تصريف جميع امورها وتعرف بالمجتمعات الابوية . وبما ان الاسرة شكلت العمود الاساس للقبيلة فمن هنا برز دور الابن فكان من اهتمامهم بالذكور انهم كانوا يربون ابناءهم على البطولة والمحامد واردوا ان يوصوا اليهم بالقوة والشدة ظناً منهم ببناء ابناءهم اقوياء اشداء فتخيروا لهم اسماء فيها قوة ورهبة مثل اسد وثور وصخر رهبة لاعدائهم وكانوا يعزون الذكور لان الذكر يغني اذ لاتغنى الانثى " واذ بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسود وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هونٍ ام يدسه في التراب الا ساء مايحكمون " [39]

نعتقد أن العرب في تلك البيئة القاسية والظروف الصعبة والحروب المستمرة كانوا يرون ان للولد اهمية كبيرة سوف نستعرضها، فهو فضلاً عما تقدم، الوريث للاباء والمدافع عن حمى الديار ، فالارث في مكة كان ارثاً ابوياً يرث الابن بموجبه ما كان لابيه دون ان يكون للولد البكر اية حقوق تفوق حقوق بقية اخوته ، فزيادة على

وراثة ابيه فقد كان له ايضاً ارث وظائفه ومظاهر سيادته ، فاولاد قصي بن كلاب واحفاده ورثوا وظائف ابيهم وجدهم وتمتعوا بمظاهر السيادة التي كانت له ، والمميزات اذا كان اهلاً لذلك ، ولم يقتصر الامر على قصي فقد ورث الوليد بن المغيرة مركز ابيه المغيرة سيد بني مخزوم ، وانتقلت هذه السيادة بعد ذلك الى ابن اخيه ابي جهل [40] ، أي انهم ورثوا اباءهم لانهم كانوا اهل لذلك ، ثم تأتي بعد ذلك قاعدة الوراثة ، "وكان عبدالمطلب بن هاشم قد نذر ، حين لقى من قريش مالقي عند حفر بئر زمزم ، لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن احدهم عند الكعبة "[41].

وكذلك الحال بالنسبة للقبائل التي سكنت في مكة قبل عهد قصي ، فلما جاء قصي خاطب كنانة وقضاعة فقال : لنحن اولى بهذا منكم ، وتمكن بالفعل من الغلبة على ما كان بأيديهم ، معتقداً انه استرجع حقوق قومه [42].

ومما زاد من اهمية الولد القتال ، فمن المعروف ان المجتمعات في نظر علماء الاجتماع لديها اعمال تتدرج من البساطة والسهولة الى التعقيد والصعوبة، فالاعمال البسيطة تستطيع اداءها غالبية الافراد اما الاعمال المعقدة فلا يتسنى القيام بها الا لفئة محددة مما يترتب عليه النظر لهذه الاعمال على انها اكثر اهمية فهي تكسب الشجاعة والبطولة والشهرة [43]

بلغ من اهتمامهم بالذكر منذ طفولته ان غرسوا فيه تعاليم ذلك المجتمع وكل الصفات الحميدة عند العرب قال الشاعر :

اذا المرء اعيته المروءة ناشئاً   فمطلبها كهلاً عليه شديد [44]

وقال آخر :

وتروض عرسك بعدما هرمت   ومن العناء رياضة الهرم [45]

"وكان الرجل اذا ولد له ذكر خرج يتعرض لزجر الطير والفأل "[46] ، ان المعاني التي تدل عليها الاسماء هو الخبرة وحرص العربي على تفسير كثير من مظاهر الحياة ، وموافقتها بطبيعة الحياة التي كانت تختار الاسماء بوصفها رموزاً للانسان ، فان الاسماء في كل اشكالها تمثل الخلاصة الحية للتجربة الانسانية التي تحاول ان تجسد

مطامحها وتحقيق وجودها ويذكر الجاحظ "واعلم ان للعرب مـذاهب في تسـمية ابنائهـا فمنها ماسموه تفاؤلاً على اعدائهم نحو غالب وظالم ومعارك وثابت ، ومنها ماتفاءلوا به للابناء نحو بائل ووائل ومدرك وسالم وسعد وما اشبه ذلك منها مـاسمي بالسـباب ترهيباً لاعدائهم نحو اسد وليث وذئب وضرغام ، ومنها ما سمي بمـا اغلـظ وخشـن لمسه وموطنه مثل حجر وصخر وصندل ومنها ان الرجل كان يخرج من منزله وامرأته تمخض فيسمى ابنه بأول ما يلقاه من ذلك نحـو ثعلـب وصـنب وكلـب ... وكـذلك ايضاً تسمى باول من يسنح او يبرح لها من الطير نحو غراب "[47].

وبلغ من حبهم لاولادهم وحزنهم عليهم اذا هم فقدوهم فقال احدهم:"مـوت الولد صدع في الكبد لا ينجبر آخر الابد "[48] وجـــاء بقوله تعـالى فيمـا حكـاه عـن عبده زكريا ودعائه اليه في الولد "وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرني فـرداً وانـت خـير الوارثين "[49]وقوله تعالى في كتابه الحكيم "وانـي خفـت المـوالي مـن وراءي وكانـت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويـــرث مـن آل يعقـوب واجعلـه رب رضياً "[50]. وقال اعرابي وهو يرقص ولده

احبه حب الشحيح ماله　　قد كان ذاق الفقر ثم ناله [51]

وقول زهير بن ابي سلمى :

لوكان يقعد فـوق الشـمس مـن كـرم　　قـــوم لاولهـــم يومـــاً اذا قعـــــــدوا

قـــوم ابـــوهم ســـنان حـــين تنســـبهم　　طابوا وطـاب مـن الاولاد مـا ولـدوا [52]

وقال عمرو بن زيد الكلبي يوصي ابنه :

ابـــــني ازودنـــــي اذا فـــــارقتني　في القـــــبر راحلـــــة برحـــــل فاتـــــر

للبعــث اركبهـــا اذا قيـــل اظعنـــوا　مستوســـقين معـــاً لحشـــر الحاشـــر [53]

واما اولادهم مـن الامـاء فكـانوا يسـتعبدونهم ، الا اذا انجـب الولـد فحينئـذ يعترف به ابوه كما وقع لعنترة بن شداد والا بقي ، وكان من عـادة نسـاء العـرب ان

لايرضعن اولاد غيرهن لان ذلك عار عندهم فتجوع المرأة الشريفة النفس ولا تأجر نفسها للرضاع ولذلك جرى في المثل عندهم "تجوع الحرة ولاتأكل بثديها "[54].

وعلى الرغم من انتشار الاسترضاع ، واحتراف بعض النسوة له والتماس الاجر عليه ، لم تحترفه القرشية فلم تسترضع قط ، ومن هنا نفهم وبصورة عامة ان الاسترضاع كان في البوادي ، ولذلك التمسوا المراضع خارج المدن حرصاً منهن على تنشئة الاطفال في البادية لاكتساب قوة الجسد وفصاحة اللسان ، ومما هو جدير بالذكر ان تقوم النسوة من ذوي القربى بارضاع اولاد بعضهن البعض وهذه هي الاخوة بالرضاعة ، وكان حمزة بن عبدالمطلب عماً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم واخاً له في الرضاع [55].ان لهذه المكانة المتميزة للولد في نفس ابيه دور ايجابي ، لكن بالمقابل فان الولد اذا اساء اتجاه ابيه فانه لن يتردد في خلعه "وكان الرجل اذا غلبه ابنه اتى به الى الموسم ثم نادى ياايها الناس الا اني خلفت ابني هذا فان جرَّ لم اضمن وان جُرّ عليه لا اطلب أي قد تبرأت منه فكان لايؤخذ بعد ذلك على جرائره "[56].لكن تبقى محبة الاب للابن هي الصفة الغالبة ، فقد ذكر ان عبدالمطلب اخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ولادته وحمله الى البيت واخذ يطوف به ، واحاط به بقوة وهو يقول :

الحمد لله الذي اعطاني هذا الغلام الطيب الاردان

قد ساد في المهد على الغلمان اعيذه ذي الاركان

حتى اراه بالغ البنيان اعيذه من سر ذي شنان

من حاسد مضطرب العنان [57]

ولاهمية الولد عند العرب قبل الإسلام فقد ذكر ان ام ضرار اول عربية كست البيت بالحرير والديباج واصناف الكسوة،وذلك ان ابنها العباس رضى الله عنه ضّل وهو صبي فنذرت لو وحدته أن تكسو البيت فوجدته فوفت بنذرها [58]. وكانوا يفاخرون بالولد اذا كانت امه حرة زاكية الاصل ويسمونها ام البنين [59].

ان حب الاباء المفرط لابنائهم قابله طاعة الابناء واحترامهم لهم ، ولدينا في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تصور لنا هذه الناحية ، ولعل ادق تعبير لهذا الاحترام في قصة اسماعيل عليه السلام عندما اجاب اباه ابراهيم عليه السلام انـي ارى في المنام اني اذبحك اجابه" قال ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين "[60].

ولو استثنينا هؤلاء كونهم من الانبياء فاننا سنجد الكثير من الامثلة في الحقب اللاحقة ، ويروى ان عبدالله بن عبدالمطلب قد تعرضت له امرأة من بني اسد وهي رقية اخت ورقة بن نوفل عندما جرت عليه عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه "انىّ تذهب ياعبدالله قال مع ابي ، قالت : لك مثل الابل التي نحرت عنك وقع عليّ فرفض وقال انا مع ابي ولا استطيع خلافه ولا فراقه ثم تركها وذهب مع ابيه ليزوجه امنه بنت وهب "[61].

ولم يقف الحب عند الوالد لابنه فقط ، بل امتد ليشمل حب الولد لابيه وافتخاره به ، هذا امية بن ابي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان وهو في مرضه قائلاً :

انت الجواد ابن الجواد   بكم ينافر من ينافر

اباؤك الشمُّ المراجيح   المساميح الاخاير [62]

نخلص من ذلك كله الى ان المجتمع العربي قبل الإسلام كان مجتمعاً ابوياً على عكس ماذهب اليه بعض المستشرقين [63] ، والذين حاولوا تأكيد شيوع الامومة عند العرب .وقد بنوا هذه الافكار من خلال جمع اشتات من الاخبار المتفرقة من الاحداث والوقائع تمت الى عصر قبل الإسلام محاولين تعليل كل ظاهرة يرونها عند قوم او فئة بانها تمسك بنظام الامومة فاذا ورث الرجل ابن اخته عدوا ذلك من اثار نظام الامومة ، ان الملاحظة الهامة في مجال القرابة عن طريق الزواج ان المكيين كانوا لايسوون بين اقربائهم لابيهم واقاربهم لامهم ، وقد نجد في بعض الحالات وهي التي لايمكن حسبانها قاعدة ، فهي حالات فردية ، على ان لا نترك الظواهر الاجتماعية لسائدة والاعراف المتداولة والتقاليد التي بنى عليها المجتمع نظامه ، فنجد مثلاً

الكثيرين كانوا لايفرقون بين القرابتين ، وكثيراً ما كانوا يقدمون نسبهم لامهم على نسبهم لابيهم ، فبعض القبائل تنسب صراحة الى امرأة كبني هذيلة وبني فعالة ، حتى ان الاوس والخزرج كثيراً ما كانوا يدعون قبل الإسلام ببني قيلة نسبة الى امرأة يعتقدون انهم انحدروا منها [64]. ونسب بني دهن بن وديعة من ثقيف الى امهم وائلة [65] وكان بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن معاوية بن هوازن ينسبون الى امهم سلول [66] .

واذا كانت القبائل تنسب الى نسوة فان بعض الافراد ايضاً كانوا ينتسبون الى نسوة هن في الغالب امهاتهم مثل معاذ وعوف ومعاوذ ابناء عفرة ، وعبدالله بن ابي الذي يعرف بعبدالله بن سلول نسبه الى جدته سلول ، من الامثلة المعروفة ، وكان من تأثير هذه التسميات انها انتقلت الى يهود يثرب ايضاً في هذه الحقبة ، ومثال على ذلك كعب بن الاشرف العربي الاب واليهودي الام ، خير ما يضرب للدلالة على ماقدمناه فكعب ينسب الى بني النضير اليهودية وهي قبيلة امه في حين ان اباه من قبيلة عربية [67]ان نسبة الابناء الى امهاتهم لاتعني بالضرورة وجود مرحلة الامومة على الرغم من العادات التي كانت تمارسها الامة والمنزلة الكبيرة التي حظيت بها المرأة والاهمية التي كانت تتمتع بها.

ويبدو لي ان النسب الى الام كان شائعاً في اماكن شتى في الحضر او البدو، وسواءً كانت الام حرة ام امة ، واستمر النسب الى الام حتى صدر الإسلام ومابعده فقد كنوا الامام الحسين عليه السلام بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكريماً له بأمه [68]. كذلك فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شد على المشركين يوم حنين وهو يقول انا ابن العواتك [69] وهناك الكثير من اهل مكة من رجال قريش قد انتسبوا الى امهاتهم فينسب ابناء قيس بن عدي السهمي الى امهم الغيطلة الكاهنة فيقال لهم الغياطلة [70] وكذلك فان ابناء عبد شمس بن عبد مناف ، امية الاصغر وعبد اميه ونوفل ، يطلق عليهم العبلات نسبة الى امهم عبلة بنت عبيد التميمية [71]فضلاً عن ذلك فهناك عدد من الملوك قد انتسبوا الى امهاتهم مثل المنذر ابن ماء السماء وعمرو بن هند [72].

وقد الف ابن حبيب كتاباً قيماً اسماه "من نسب الى امه من الشعراء "[73] ومهما تكن فان نسبة الابناء الى امهاتهم لاتعني وجود مرحلة الامومة التي لاتزال اولياتها غير خاضعة لاحكام قاطعة ولا مقدماتها واقعة في اطار التجربة العلمية [74]بل على العكس فان وجود الظاهرة بهذا الشكل واستمرار قبولها واستساغتها في التكوين الاجتماعي يعني اهمية المرأة وما وصلت اليه من علو المكانة عند العرب قبل الإسلام .

المرأة

لقد تباينت اراء الرواة والكتاب المسلمين حول حال المرأة العربية ومكانتها قبل الإسلام بصفة عامة ، فقد بالغ البعض منهم في رفع مكانتها وعلى العكس من ذلك انزلها البعض الاخر الى اسفل درجات التخلف والانحطاط ، او مانعتقده ان المرأة اخذت مكانتها واصبح لها امتيازات متعددة الجوانب مع بعض السلبيات التي تعد فعلاً وصمة في تاريخها والمتمثل بؤاد البنات ، وان لم تكن حالة عامة لكننا فيما عدا ذلك نلمس ان المرأة نالت حظاً وفيراً من الحرية والمشاركة في الامور في شتى النواحي الاجتماعية ، فعلى صعيد اسرتها كانت تشارك زوجها في كثير من اعمال الحياة اليومية ، فهي تهتم بامور بيتها وهي المسؤولة عنه ، وقامت علاقتها بزوجها على اساس من التفاهم والتكافؤ [75] وعلى الرغم من اختلاف طبيعة وظائف المرأة عن الرجل حسب التكوين الفسيولوجي والتشريحي لكليهما ، ولكن عليت مكانةً حتى شعرت بمساواتها للرجل ، فكلٌ منهما مكمل للآخر ، وطالبت مجتمعها الاعتراف لها بذلك فقالت احداهن :

يزجر لاهينا ونلحي على الصبا   ومانحن والفتيان الا شقائق [76]

ومن امثال العرب "ان النساء شقائق الاقوام "[77] وبلغ بهن شعورهن بمساواتهن للرجال في كثير من الحقوق ان عجب بعضهن من ان يذكر القرآن الكريم الرجال ويغفل النساء فيما يأمر وينهي ، وروى ان نساء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قلن له : لماذا يذكر المؤمنون ولا يذكر المؤمنات ، وقد حقق القرآن املهن اذ انزل الله تعالى "ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات

والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجراً عظيماً "[78] واقدم حكمهن "المرأة من المرء وكل ادماء من ادم "[79].

وبلغ من اهمية المرأة واثرها في المجتمع ان اظهرت مؤهلات جيدة في الميادين الثقافية والاقتصادية فبرزت بعض التواجر مثل السيدة خديجة الكبرى ، التي كانت تستأجر الرجال في صفقاتها التجارية [80] وكانت المرأة تشبه قومها اذ لم يثأروا ، بالنساء العواهر ، فلم يكفها ان يكونوا نساء ، فزادت هذا الوصف المستقر فقالت هند بن حذيفة في رثاء لاخيها حصن :

فان انتم لم توطئوا القوم غارة   يحدث عنها وارد بعد صادر

وترموا عقيلاً بالتي ليس بعدها   بقاء فكونوا كالنساء العواهر [81]

لقد خاطب الرجل العربي المرأة فخوراً بشجاعته وكرمه واشهدها على حسن بلائه ومحامده قال عبد يغوث :

وقد علمت عرسي مليكة انني   انا الليث معدواً عليّ وعاديا

وقد كنت نحار الجزور ومعمل المطي   وامضي حيث لاحي ماضيا

وانحر للشرب الكرام مطيتي   واصدع بين القينتين ردائيا

وكنت اذا ماالخيل شمصها القنا   لبيقاً بتصريف القناة بنانيا[82]

فاشهد زوجه على شجاعته مُهاجماً ومَهاجماً وقد تغنى الرجل العربي بفخره لانتصاره في الحرب ويهزأ باعدائه الذين ارادوا الانتصار عليهم ليسبوا نساءهم ، قال الحصين بن الحمام :

ولاغـــرو الا حـــين جـــاءت محـــارب   الينـــا بـــألف حـــارد قـــد تكتبـــا

مـــوالي موالينـــا ليســـبوا نســـاءنا   اثعلـــب قـــد جئـــتم بنكـــراء ثعلبـــا [83]

وكانت هناك منزلة سامية لبنات الاشراف والسادة ، فقـد كانـت لهـن الحريـة التامة في اختيار زواجهن ويقمن بتركهم اذا لم يحسنوا معاملتهن وكانت عصمة الزواج بايدي بعضهن [84]، وقد بلغ من منزلـة شـريفات النسـاء القرشـيات حمايـة الرجـال والمستجيرين بهن فقد أجارت سبيعة بنت عبد شمس من دخل دارها او دار جار لهـا من القيسيين في يوم عكاظ [85] واجارت فكيهة بنت قتادة (خالـة طرفـة بـن العبـد) السليك ابن السلكة وقد مدحها بقوله :

لعمـــر ابيـــك والابنـــاء تنتمـــي   لـــنعم اخـــت بنـــى عـــــورا

عنيـــت بهـــا فكيهـــة حـــين قامـــت   لنصـــل الســـيف وانتزعـــوا الخمـــارا

مـــن الخفـــرات لم تفضـــح اخاهـــا   ولم ترفـــع لوالـــدها شنـــــارا [86]

ويقال ان هنداً بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اعتقت في يوم اربعين رجلاً من عبيدها [87].

ومن مظاهر اعزاز المرأة ان كثيراً من الاباء كنوا باسماء بناتهم ، امثـال ربيعـة بن رباح والد زهير كنى (ابو سلمى) ومسافر بن ابي عمرو بـن اميـة (ابـو اميـة) والشاعر النابغة الذبياني سمي (ابو امامه) [88].

وشكلت المرأة جمالاً فاتناً وسمرة عربية جذابة فاصبحت مصـدر الهـام للرجـل العربي ، فكانوا يبالغون في الغيرة على نسائهم حرصـاً مـنهم علـى العـرض ، وكـان لايتقبل ان ينظر غيره الى هذه الفتنة التي تخصه وهي ملك له وحده [89]واثـر المـرأة في

مجتمعها كبير جداً ، فضلاً عن دورها الرئيس في بيتها فقد تولت فض المنازعات والخلافات العائلية والقبلية كغيرها من الرجال [90] وفي اطار المجتمع اليثربي ذلك المجتمع الزراعي الذي يقوم على الاسرة بوصفها وحدة اساسية في الانتاج اسهمت فيها المرأة اسهاماً فاعلاً ، اذ بدأت تقوم بعمل مزدوج تجمع بين الحقل والبيت [91].

وعلى الرغم من قوة شخصية المرأة ولاسيما القرشية لانها عاشت حياة الترف والنعيم ، وكذلك فانها عزيزة الجانب لكنها خاضعة في مراحل حياتها للرجل الاب والاخ والزوج والعم وابنه احياناً ، وقد عامل بعض الرجال نساءهم معاملة فيها غلظة وجفاء [92].

وقد بالغ بعض رجال قريش في حبهم لبناتهم مثل الزبير بن عبدالمطلب :

ياحبــــــذا ام الحكـــــــم   كأنهــــا ريـــــم احــــم

يابعلـــــها مــــاذا يشـــم   ســـاهم فيهــا مســـهم [93]

وفي المقابل فان بعضهم يكره البنات كرهاً شديداً ، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى "واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون او يدسه في التراب" [94] وقوله تعالى "ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين الا ساء ما يحكمون واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم" [95]. فهذا ابو حمزة الضبي هجر امرأته لانها ولدت بنتاً ، وقد مر بخبائها يوماً واذا هي ترقصها وتقول :

مـــالأبي حمــــزة لا يأتينـــا   يظـــل في البيـــت الـــذي يلينـــا

غضـــبان الا نلــــد البنينـــا   تــــالله ماذلـــــك في ايـــــدينا

وانما نأخذ ما اعطينا   ونحن كالارض لزارعينا

نبت ماقد زرعوه فينا [96]

ولعل اكثر الابيات هزاً للعواطف في الشعر هي تلك التي يرغب فيها اب يصارع الفقر ان تموت ابنته فتنجو من جفاء اقاربها والفقر والجوع :

لولا اميمة لم اجزع من العدم   ولم اقاس الدجى في حندس الظلم

وزادني رغبةً في العيش معرفتي   ذل اليتيمة يجفوها ذو الرحم

احاذر الفقر يوماً ان يلم بها   فيهتك الستر عن لحم على وضم

تهوي حياتي واهوى موتها شفقاً   والموت اكرم نزال على الحرم

اخشى فظاظة عم او جفاء اخ   وكنت ابقى عليها من اذى الكلم [97]

لقد مارس بعض العرب اسوأ ظاهرة اجتماعية وهي عادة وأد البنات على الرغم من ان حوادث الوأد كانت قليلة ولم تكن عامة ، وكان من العرب من ينكر هذه الفعلة ويبذل المال ليفتدي المؤودات كما فعل صعصعة ابن ناجية جد الفرزدق :

منا الذي منع الوئدات   واحيا الوئيد فلم يوئد [98]

واذا ماحاولنا باحثين عن الدافع الى ذلك ، فلن نجد وان عدّوا الفقر او الخوف من السبي والاسر ، فهذه كبيرة بنت ابي سفيان فمن المؤكد انها لم تشتك فقراً ولم يكن دافعها الفقر ، نحن نعتقد ان ابناءها كانوا ذوي عاهات خصوصاً اذا ما عرفنا ان العرب "كانوا يتشاءمون من البنت الشيماء والبرشاء والزرقاء والكسحاء " [99].

وهناك الكثير من الآيات القرآنية تناولت هذه الظاهرة ولكن هذه الآيات حملت طابعاً اقتصادياً ، كقوله تعالى "لاتقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم " [100]، ومنها ذات طابع ديني بحت اعتقاداً منهم ان البنت رجس من خلق الشيطان فينبغي التخلص منه كما في قوله تعالى "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل

اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله مافعلوه فذرهم وما يفترون "(101) وفي امثال العرب "تقديم الحرم من النعم "(102).

ومهما قيل من اراء بشأن الوأد نعتقد ان الاسباب الانفة الذكر مجتمعة قد كانت سبباً في الوأد مستندين في ذلك الى ادق المعلومات وهو القرآن الكريم حسب ماورد فيه من آيات وهذا دليل قاطع على ان العار والسبي والفقر والجانب الديني هو السبب المباشر الى الوأد "قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفهاً بغير علم "(103) الوأد كان يقع في سنوات القحط والجدب في الحجاز ، وكان زيد بن عمرو بن نفيل العدوي يحيي الموؤده فيقول للرجل اذا اراد ذلك "لاتقتلها انا اكفيك مؤونتها يأخذها منه "(104).

وعلى الرغم من وجود هذه الحالة في بعض القبائل وبشكل ضيق فاننا لانستطيع ان نعدها حالة عامة عندالعرب ، على ان الوأد لايمكن ان يكون دليلاً على احتقار العرب للمرأة فان بعض الالهة كن بنات ، فضلاً عن ذلك ان المرأة كانت لها حقوق غير قليلة فكان لها الحق في امتلاك املاك خاصة ، وخير مثال على هذا السيدة خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحليلة بنت المهلهل التي كان لها غنم يرعاها اخوها زيد الخيل، ولاتفقد الزوجة هذه الحقوق بعد زواجها (105).

لقد تغنى الشعراء قبل الإسلام بالنساء ، ومن يتتبع اشعار العرب قبل الإسلام يجزم ان المرأة العربية كانت تتمتع في ذلك العصر بقسط وافر من الحرية ، فكانت تشارك الرجل في كثير من الاعمال ، وكانت علاقتها بزوجها على درجة من الرقي اكثر مما يتخيل الينا ، ويدل ذلك على افتخار الرجل بنسبه لامه كما يفخر بنسبه لابيه، ناهيك بما كان للمرأة العربية من الاثر الصالح في الإسلام (106). يقول ربيعة بن عبد ياليل في امه قلابه الملقبة بالذيبة

اني لمن انكرني ابن الذيبة كريمة عفيفة مسوية (107)

وهناك من الشعراء ممن لم يعرف العشق غير اننا وجدنا في شعره ذكراً لاسماء نساء كسلمى وليلى وغيرها من الاسماء [108] ولكن لاننسى الدور الطبيعي للمرأة والمتمثل بامومتها التي ادته بصورة كاملة تجاه اسرتها وبيئتها فاشبعت حاجاتهم الطبيعية في حياتهم اليومية وامدتهم بنفح من نتاج عقلها وحكمتها ، وهذا هو الدور الطبيعي للام "فالعربية لاتنوم ولدها وهو يبكي خوف ان يسري الهم في جسده ويدب في عروقه ، ولكنها تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور ، فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ، وشف عقله والطفل يرتاح الى الغناء وتستبدل بكائه ضحكاً " [109] وقامت المرأة بدور الاب في احيان كثيرة في غيابه وبلغ من وفاء الكثير منهن ان احداهن رفضت الزواج بعد فراقه حرصاً على ابنائها ، كما فعلت ام هاني بنت ابي طالب عندما رفضت الزواج من ابن عمها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خشية التفريط في حق ايتامها ووفاء لزوجها [110] ، ونائلة بنت الفرافصة الكلبية امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه وخطبها معاوية بن ابي سفيان [111] وكان من العادة ان تلتزم الزوجة التي يتوفى عنها زوجها الحداد حولاً كاملاً ، فلا تخرج من بيتها ، ولا تعرض نفسها للزواج ، ولا تتطيب ، ولا تلبس ثياب الفرح ، ولا تتزين طول السنة ويسمى ذلك عدة الحداد ، وهذا يستلهم من الآية القرآنية "والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً وصية لازواجهم متاعاً الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم في مافعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم " [112] ثم يؤتى بدابة حمار او شاة او طير فتنقض به أي تتمسح به فقلما تفتض بشيء الامات ثم تخرج بعد ذلك فتعطى بعرة فترمي بها ، ثم تراجع ما شاءت من طيب او غيره ، فنسخ ذلك الإسلام [113] بقوله تعالى "والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشراً " [114] واذا تزوجت المراة لاي سبب كان يكون لفشل في زواجها الاول او موت زوجها فاذا انجبت من الزواج الثاني تقوم بدور عظيم ورائع في تنشئة بنيها من الزوجين على المحبة والالفة لذا نلاحظ ان الاخوة لام واحدة اكثر

محبة وائتلافاً من الاخوة لاب واحد [115] يقول ابن نويره متمم في رثـاء اخيـه مالـك فانشده :

فلمـــا تفرقنـــا كـــأني ومالكـــاً لطــول اجتمــاع لم نبــت ليلــة معــاً

وعشــنا بخــير في الحيــاة وقبلنــا اصــاب المنايــا رهــط كســرى وتبعــا

وكنــا كنــدماني جذيمــة حقبــة من الــدهر حتــى قيــل لــن يتصــدعا

فــان تكــن الايــام فــرقن بيننــا فقد بان محموداً اخي حين ودعا [116]

ويقول حسان بن ثابت

هلا عطفت على ابن امك اذ ثوى قعص الاسنة ضائع الاسلاب [117]

ولم يجد دريد بن الصمة في تصاريف الدهر اقسى من تفريقه بين الشخص وابن امه فيقول في رثاء اخيه عبدالله :

اعاذلتني كل امرئ وابن امة متاع كزاد الركب المتزود [118]

وبلغ من اعتزاز العرب بالمرأة ولاسـيما المتزوجـة بمنزلـة اجتماعيـة عاليـة " حيث كانوا لايعزون في المرأة الا ان تكـون امـاً " [119] وتتمتـع المـرأة في يثـرب بمكانـة مستقلة فقد كن يبايعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بانفسهن وبشروط منبعثـة من طبيعة المرأة ، ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بعد هجرته الى المدينة (يثرب) "كنا معشر قريش نغلب النساء،فلما قـدمنا علـى الانصـار اذ قـوم تغلـبهم نساءهم " [120]، وكان للمرأة احياناً ان تسمي ابناءها وتنسبهم اليها ، وكان لعشـيرتها هذا الحق ، وقد استمر هذا الى قبيل الإسلام ، وكان الولد احيانـاً اذا مـاكبر عـاد الى قبيلة امه وانتسب اليها ، كما فعل زهير ابن ابي سلمى ، فقد كان بشـامة بـن الغـدير خال ابيه ، فانقطع زهير اليه واختار اخواله ولما حضرت الوفاة بشامة جعل يقسم ماله

في اهل بيته وبين بنى اخوته ، فاتاه زهير فقال : ياخالاه لو قسمت لي من مالك فقال والله يابن اختي لقد قسمت لي من مالك فقال والله يابن اختي لقد قسمت لك افضل ذلك واجزاله قال زهير وماهو ؟ قال شعري ورثتنيه ثم اخذاه نصيباً مـن مالـه "[121] واذا كان الاولاد قد مجدوا امهـاتهم وبـاهو بعراقـة حسبهن ، واذا كـان العـرب قـد عظموا المنجبات ، وضربوهن مثلاً عالياً يحتذى به في مجتمع يقـدر الام ويجـل المـرأة ، فانهم خلفوا اثاراً ادبية تكشف عن حب الام لبنيها وحسن تربيتها لهم وخالفت المرأة ايضاً مايدل على ادراكها لواجبها نحو بنيها وتعهدها لثمرات حياتها .

ونتيجة للتطور الاقتصادي الـذي شـهده المجتمـع الحجـازي بنمطيـه التجـاري والزراعي ، فقد اثـر الى حـد كـبير في طبيعـة النظـام الاجتمـاعي واوجـد نوعـاً مـن الاستقرار والتفاعل الاجتماعي افادت منه المرأة بشكل كـبير ، فقـد ارتفعـت مكانـة المرأة في نفوس الرجال ، زد على ذلك كـان مـن نتـاج هـذا التفاعـل الاجتمـاعي ان صقلت شخصية المرأة واكتسبت المزيد من الخبرة والمعرفة في مجتمع يثرب والطـائف ، اما في مكة فقد لعبت المرأة دوراً هاماً وفاعلاً ، وهذا التميز نتج عـن مشـاركة بعـض النساء في النشاط التجاري بجانب دورها كربة بيـت ، فاصـبحت تمتلـك مـؤهلات في الميادين الثقافية والاقتصادية [122] ويذكر الازرقي "[123] ان ام انمار القاريـة تعـيش في ضواحي مكة ويجتمع بها رجال قريش في فناء دارها تخالطهم وتشاركهم وقد وصفت بانها (برزة من النساء) ويقابل شهرة المرأة القرشية وفاعليـة دورهـا في المجتمـع ، ان وصــمت ســعدية الاســدية بـالحمق وسميـت(خرقـاء مكـة)وقـد ذكرهـا القـرآن الكريم"ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ انكاثاً "[124].

ولعل اجمل وصف جاء في وصف المرأة وعفتها ما قاله الشنفرى [125]

لقد اعجبتني لاسقوطاً قناعها اذا مامشت ولا بذات تلفتِ

تبيت بعيد القوم تهدي عبوقها لجارتها اذا الهدية قلتِ

تحل بمنجاةٍ من اللوم بيتها اذا مابيوت بالمذمة حلتِ

كان لها في الارض نسياً تقصه على امها وان تكلمك تبلتِ

اميمة لايخزى نثاها حليلها اذا ذكر النسوان عفت وجلت

اذا هو امسى اب مرة عينه مآب السعيد لم يسل اين ظلت

فدقت وجلت واسبكرت واكملت فلو جن انسان من الحسن جنت

وقال شاعر اخر

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بني الدنيا لقاء بناتها [126]

وشاعر اخر يصف معزتهن وحب ابائهن لهن قائلاً :

لولا بنيات كزغب القطا رددن من بعض الى بعضِ

لكان لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض

وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض

لوهبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض [127]

وفي يثرب حيث وجود اليهود الذين تأقلموا مع هذه الاوضاع ، واحتذوا بالعرب في فخارهم بامهاتهم ، فالسموؤال بن عاديا يفخر بانهم من امهات احسن

حملهم اجنة ، ومن اباء كرمت عروقهم فكـانوا في اعلـى المراتـب مـن ظهـور الابـاء الكرام وانحدروا منه الى بطون خير الامهات :

صفونا فلم نكـدر واخلـص سـرنا انــاث اطابـت حملنـا وفحـول

علونـا الى خـير الظهـور وحطنـا لوقـتٍ الى خـير البطـون نـزول [128]

وفي شعر قبل الإسلام كثير ما يصور هذا الميل المزدوج من التعلق لاهـل الاب واهل الام معاً من هذا قول عنترة :

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت الفيت خيراً من معمم مخول [129]

وكانوا يخاطبون الزوجة بخير الالقاب وكنى التعظيم قال حاتم الطـائي لزوجتـه معدداً حسبها :

ايـا ابنـة عبـدالله وابنـة مـالك ويـا ابنـة ذي الـبردين والفـرس الـورد

اذا ماصـنعت الـزاد فالتمسـي لـه اكـيلاً فـأني لسـت اكلـه وحـدي [130]

من ذلك نلمس ان المـرأة القرشـية خاصـة والحجازيـة عامـة تمتعـت بحريـة في تعاملها مع المجتمع وشاركت في حياة مجتمعها باحـداثها المختلفـة وفي شـتى المجـالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية فقد اثبتت المرأة وجودها وتعايشـت مـع الرجل بلا ضغوط حتى كانت مغالة في المجتمع ، فالامة التي تكون هذه حـال نسـائها وينبغ فيها نساء عرفن بالشجاعة والادب والرأي امـة في قمـة الرقـي [131]. وهـذه المكانة المتميزة للمرأة اعطت للخؤولـة مكانـة كـبيرة في النسـب وكـانوا يعتقـدون ان اغلب صفات الولد تورث من خاله . فالعرب تقول" كل ذات صدار خاله " [132].

وقال الشاعر جرير يصف اخواله :

لاتطلبن خؤولة في تغلب فالزنج اكرم منهم اخولاً [133]

وقد ذكر ابن الاخت في قصائدهم :

فلم ار جاراً وابن اخت وصاحباً تكيد منا قبله ماتليدا

وكان الخال يرى في ابن اخته ولده ، والولد يرى في خاله اباه ويعرف له حقوقه، وفي ذلك يقول الشاعر المرقش الاكبر* في رثائه لابن عمه ثعلبة بن عوف واستعطافه ملكاً من آل جفنه :

فنحن اخوالك عمرك والخال له معاظم وحرم [134]

اما نصرة الخال لابن اخته ونصرة ابن الاخت لخاله فانها غالباً ما كانت تحدث بين القبائل المتباعدة الاصول ، ومن ذلك تأييد الخزرج وبني النجار لعبدالمطلب لان امه من بني النجار من الخزرج وخولتهم مكررة [135].

وقال امرؤ القيس مفاخراً بخاله

خالي ابن كبشة قد علمت مكانه وابو يزيد ورهطه اعمامي [136]

ومن الطبيعي ان يشيد الولد بخاله ويباهي به لما لمسه من حنان ، قال الزبير بن عبدالمطلب لاخيه العباس وقد اقعده في حجره صغيراً واخذ يغني له مفتخراً باعمامهما واخوالهما :

ان اخي عباس عف ذو كرم فيه عن العوراء ان قبلت حمم

اكرم باعراقك من خالٍ وَعْم [137]

ومما تقدم نخلص الى القول ان العرب حفظوا لامهاتهم صنيعهن مثلما حفظوا لابائهم ذلك ، وادركوا حقوقهن عليهم فأدوها وكانوا اكثر براً لامهاتهم وحدباً

عليهن ، وذلك يعود الى النشأة في احضان الام فهن اكثر لصوقاً بالطفل من الاب ، ويظهر ان هذا شعور عام في جميع الناس ، فقد جاء في شريعة مانو الهندي "الام اجدر بالاحترام من الف اب "[138] ويذكر غوستاف لوبون وضع المرأة العربية قائلاً" ان العرب احترموا المرأة اكثر من اية امة ظهرت ، والمرأة في نظرهم من المخلوقات الصغيرة الجميلة الفاتنة "[139].

وكانت تستشار في مهام الامور بل تشارك الرجل في كثير من اعماله وكانت علاقتها بزوجها على درجة من الرقي اكثر مما يخيل الينا يدلل على ذلك افتخار الرجل بنسبه لامه كما يفخر بنسبة لابيه ، وبلغ من حبهم للمرأة سواء كانت أماً او اختاً ام بنتاً او حبيبة ان بدأوا قصائدهم التي يفخرون فيها ، ناهيك بما كان للمرأة العربية من الاثر الصالح في الإسلام [140] فكانت اول نفس بشرية آمنت بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هي نفس ام المؤمنين خديجة ، وان كانت هي الاولى في الايمان فانها لم تكن الوحيدة فقد آمنت الكثيرات ، ومن اجل الإسلام تغربن عن اوطانهن مهاجرات الى الحبشة او الى يثرب .

المبحث الثاني

الزواج

يقال عن الزواج في الفقه الإسلامي (النكاح) ، والنكاح هو العقد في الاصل ثم استعير للجماع ، وقد عبر في القرآن الكريم عن الزواج في المعنى الشائع عندنا من (الزوج) والزوجية ، اما في حالة التزوج وعقد العقد لغرض الدخول على المرأة فقد عبر عن ذلك بـ (النكاح) ومن هنا اطلق الفقهاء على الزواج النكاح [141] لقد عرف العرب قبل الإسلام نظام الزواج ، ولم يكن جميع العرب يسيرون في الحقيقة على اعراف واحدة في قضية الزواج بل كانت السنن مختلفة وبحسب المناطق واختلاف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ولكن هذا الاضطراب سيزول لو عرفنا ان اساليب الزواج كانت مختلفة وصوره متعددة ، وانه تطور بتقدم الظروف الاجتماعية وتبعاً لهذه الظروف والبيئات والاحوال الاخرى ، ولكن ما هو متفق عليه ان الزواج هو من اهم الافراح في حياة الانسان ، لما يمثله من مناسبة سعيدة ولهذا يحتفل به الناس عادة ، يرافقها اقامة المآدب ودعوة ذوي القرابة والاصدقاء لمشاركة الزوجين افراحهما ، ويذكر الدكتور جواد علي عن سمث زواج العرب ثلاثة اصناف ، زواج يكون في حدود القبيلة فلا يتعداه ، ولايسمح لرجال القبيلة الا بالزواج من بنات القبيلة ويعرف (بالزواج الداخلي) ، وزواج يفرض فيه على الرجل ان يتزوج امرأته من قبيلة اخرى وهو مايعرف (بالزواج الخارجي) ، وزواج يجمع الطريقتين المذكورتين ، أي الزواج من داخل القبيلة وخارجها [142] . ومما لاشك في ان المصاهرة كانت تولد صلات قوية بين الافراد والعشائر ، فقد كانت تقوي مابين الاقرباء وتقرب مابين البعداء وتطفيء نار العداوة والشحناء ، لانها صلة جديدة مختارة من شأنها ان تمزج المتصاهرين ، يقول خالد بن يزيد بن معاوية ، كان ابغض خلق الله عز وجل اليّ آل الزبير حتى تزوجت منهم رملة فصاروا احب خلق الله اليّ وفيها يقول:

احب بني العوام طراً لحبها ومن حبها احببت اخوالها كلبا [143]

واذا نظرنا الى انواع الزواج عند العرب وجدنا ان العربي لم ينظر الى الزواج الخارجي من حيث هو الشريعة المطردة ، ومن خلال انواع الزواج قبل الإسلام يتبين انه لايقيد الرجل او المرأة بأن لايتزوجا من داخل قبيلتهما [144].

ويطلق اسم الزواج على رابطة تقوم بين رجل وامرأة وينظمها العرف ويحل بموجبها للرجل (الزوج) ان يطأ المرأة ليستولدها وينشأ عن هذه الرابطة اسرة ، تترتب فيها حقوق وواجبات تتعلق بالزوجين والاولاد ، والغاية من الزواج هو استمرار الحياة في الاخلاق ويعبر عنه بالنكاح وهو الوطء الحلال لانه وسيلة الزواج وبه تتحقق غايته،وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم "وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم " [145] وقوله تعالى"ومن لم يستطع منكم طولاً ان ينكح المحصنات المؤمنات" [146] وكان الزواج قبل الإسلام يسمى زواج البعولة [147] وينشأ بالخطبة والمهر والعقد وقد اقره الإسلام ودعاه بالزواج الشرعي،ويعد الزواج المؤسسة التمهيدية المولدة للمؤسسة الرئيسة الاولى في بناء المجتمع العربي قبل الإسلام وهي الاسرة،ومن الاسرة الواسعة التي تضم تحت سلطة الاب مجموع الاولاد الذكور واسرهم والاحفاد الذكور واسرهم تكونت تدريجياً القبيلة [148] .

ويشير الباحثون الاجتماعيون انه لم يكن لدى الرجل العربي لاسيما الاعرابي مايصرفه عن الغريزة الجنسية او مايُصعدَها ، لذا يبدأ منذ بلوغه بالتشبيب بالنساء وملاحقتهن ، وكان هذا التشبيب من امارات الرجولة لدى العرب قبل الإسلام [149]. ومارس العرب تعدد الزوجات وقد عللها علماء الاجتماع بعوامل اجتماعية واقتصادية ، فاما ان تكون المرأة عاقراً او لا تلد سوى البنات ، فالمرأة في بعض الجماعات ولاسيما الزراعية تقوم باعمال كثيرة داخل المنزل ، وكان هذا الاعتقاد عند العرب قبل الإسلام " ويسمون ارضاع المرأة ولدها وهي حبلى الغيلة " [150].

وقد كان من عادة اهل مكة اذا تزوج الرجل امرأة وهي ترضع طفلاً لاب غيره امتنع عن معاشرتها معاشرة زوجية طيلة مدة ارضاعها ، اعتقاداً منه بان هذه المعاشرة تضر بالرضيع في حين ان اليثربي كان لايرى في ذلك مايضر ، ويقال ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، كان ينوي النهي عن الغيلة ولكنه عدل عن ذلك حين علم ان الفرس والروم يمارسونها من غير ان تضر باطفالهم رغم ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لم ينجز زواجه على ام سلمة ، كما يزعم ابن سعد ، حتى انتهت من ارضاع ابنتها زينب من زوجها ابي سلمة ، وكان الكثيرون يأنفون من معاشرة زوجاتهم الحوامل من ازواج غيرهم لانهم كانوا يعتقدون انهم ان فعلوا ذلك فانهم انما يسقون زرع رجل غيرهم [151].

وتتظاهر البعض من النساء بعدم المبالاة اذا علمت ان زوجها تزوج امرأة غيرها ، ويصف صاحب الامالي الزوجة حين علمت بزواج زوجها فقال :

خبروها بأنني قد تزوجت فظلت تكاتم الغيظ سراً
ثم قالت لاختها ولاخرى جزعاً ليته تزوج عشرا
واشارت الى نساء لديها لاترى دونهن للسر سترا
مالقلبي كانه ليس مني وعظامي اخال فيهن فتراً [152]

واذا ما استثنينا مكة والطائف فلم يكن من المعتاد في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ولاسيما يثرب ان يكون للرجل اكثر من امرأة تعيش معه في بيته [153] اما في مكة والطائف فكان تعدد الزوجات شائعاً لاسباب عدة وليس له علاقة بامتهان كرامة المرأة او انتقاص حقوقها ، ويذكر ابن حبيب اسماء عدد من الثقفيين تزوج كل منهم عشراً [154] وعلى الرغم من فوائد تعدد الزوجات كما مر فانه لم يكن عاماً لانه كان يلقي على الرجل عبئاً اقتصادياً ، فضلاً عما يخلقه من مشاكل عائلية واجتماعية

وما يحدثه من خصومات بين الضرائر ، ويذكر ان اهل الحرم أي مكة اول من اتخذ الضرائر [155].

وقيل للرجل العزب الذي لازوج له الخالي قال امرؤ القيس :

كذبت لقد اصبي على المرء عرسه　وامنع عرسي ان يزن بها الخالي [156]

وقد عرف العنّين لمن لايأتي النساء او لايريدهن ، والعنينة التي لاتريد الرجال، وتعرف المرأة المنقطعة عن الرجال البتول [157] ويقال لمن لايأت النساء ولم يتزوج (الصارور)، وتعرف الصارورة لمن لم تتزوج ولم تتصل برجل يقول ربيعة بن مقروم الضبي :

لو انها عرضت لاشمط راهب　عبدالاله صرورة متبتل

لدنا لبهجتها وحسن حديثها　ولهم من تاموره يتنزل [158]

لذا كان العرف السائد لدى العرب قبل الإسلام ان يتزوج الشاب الشابة في سن مبكرة قد تكون السادسة عشر للفتى والتاسعة او العاشرة للفتاة سيراً مع الحاجة الغريزية لكل واحد منهما ، ولاسيما ان لاشيء يشغل الطرفين عن اتمام هذا الامر ، ويذكر ابن سعد عن زواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من عائشة رضى الله عنها "تزوجني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا بنت ست سنين ، وادخلت عليه وانا بنت تسع سنين " [159] . وفي هذا السن يكون الفتى قد حدد طريقة كسبه ، والفتاة قد نضجت عندما بلغت سن الرشد ، فضلاً عن ذلك فان والد الشاب يتكفل بأعالة الاسرة الجديدة مادام الشاب يعمل مع ابيه ولصالح ابيه [160]. ولقد اشير سابقاً الى انواع الزواج ، فالزواج الداخلي يكون للاسرة فيه الاثر الكبير في اختيار الزوجة ، وهي في الغالب بنات العم ، فحق الزواج من اية فتاة هو لابن العم ، فاذا اراد رجل ما الزواج من فتاة يسأل اولاً ابن عمها فان اظهر رغبته في الاقتران قدمه

اهل الفتاة على غيره ، وقد يأبى ابن العم تزويج ابنة عمه من غيره ويحجزها لنفسه ، وقد يكون العكس صحيحاً عندها تنشأ خصومات بين الاسرتين قد تصل الى اراقة الدماء وقد كان العرب يختارون لمثل هذه الحالة انكاح البعداء والاجانب ويرون ان ذلك انجب للولد وابنى للخلقة "[161]، وفي امثال العرب الكثير من الامثال بهذا الصدد منها "الغرائب لا القرائب"[162] والعرب تقول ايضاً بنات العم اصبر والغرائب انجب ، وكان النهي ليس من قبيل التحريم بل على سبيل النصيحة لان العرب تعتقد ان ولد الرجل من قرابته يجيء نحيفاً . يقال شاور رجلاً حكيماً في الزواج فقال افعل ولكن اياك والجمال فانه مرعى انيق ماينتهي الا عن طلب فقال اما سمعت قول القائل :

ولن تصادق مرعى ممرعاً ابداً الا وجدت به اثار منتجع [163]

ويروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله "تنكح المرأة لاربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك "[164]

ومن الصفات التي كان يلاحقها الرجل في المرأة عند اختياره زوجة له هي الجمال أي جمال الخلق ، فالرجل لم يكن يتوخى الجمال الخلقي البارع لما ينتج عنه عادة من "شدة دلال المرأة ، والخوف من محنة الرغبة ، وبلوى المنازعة وسوء عواقب الفتنة "[165] ، سمع احد الاعراب امرأة تقول :

ان النساء رياحين خلقن لكم وكلكم يشتهي شم الرياحين

فقال الاعرابي :

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين [166]

وكان عبدة ابن الطيب اعلم الناس بالنساء حيث يقول :

فان تسألوني بالنساء فانني عليم بادواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء او قل ماله فليس له في ودهن نصيب

يــردن ثــراء المــال حيــث علمنــه   وشرخ الشباب عندهن عجيـب [167]

وقد ورد في كتب الادب العربي الإسلامي اوصـاف كـثيرة ، وجـاء في امثـال العرب "النساء حبائل الشـيطان" [168] وكانـت العـرب زيـادة علـى توخيهـا الجمـال والشباب وكذلك البكـورة ، فقـد جـاء في الامثـال "ان المنـاكح خيرهـا الابكـار" و "المناكح الكريمة مدارج الشرف" [169] . وقال الرسول صلى الله عليـه وآلـه وسـلم "عليكم بالابكار فانهن اطيب افواهاً وانتق ارحاماً" [170] وعنـه عليـه السـلام "سـوداء ولود خير من حسناء عاقر" [171].

وقال الشاعر :

لاتــنكحن عجــوزاً ان دعيــت لهــا   وان حبيـــت علـــى تزويجهـــا الـــذهبا

فــان اتــوك وقــالوا انهــا نصــف   فــان اطيــب نصــفيها الــذي ذهبــا [172]

وعـن يزيـد بـن عمـر قولـه "لاتـنكحن برشـاء ولا عمشـاء ولا وقصـاء ولا ثغاء فيجيئك ولد الثغ فوالله ولـد اعمـى احـب الـي مـن ولـد الثـغ" [173]. عمومـاً فــان باسـتطاعة الرجــل ان يتــزوج بــاكثر مــن واحــدة وذلــك تبعــاً لامكانيتــه الاقتصادية وقد يصـل العـدد الى العشـرة ، كمـا ذكرنـا سـابقاً عنـد الـثقفين ، وكـن النســاء قبــل الإســلام :"يقصــدن الســواحر لتأخيــذ ازواجهــن ، فــاذا حملــت المــرأة الخــرزة المرقيــة ، تحــول زوجهــا اليهــا وانصــرف عــن ضــرتها ، وكانــت ســاحرات العــرب يمارســن الســحر عــن طريــق التأخيــذ" [174]. كــان الهــدف الاســاس مــن تعـدد الزوجـات هـو زيـادة النسـل اذ ان كثـرة الابنـاء احـد عوامـل القـوة والمنعـة الا انـه اقتصـر علـى الرجـال الموسـرين الـذين اتاحـت لهـم مـواردهم الاقتصـادية تحمـل الاعبـاء الناتجـة مـن جـراء ذلـك ، وكـان القرشـي يفضـل القرشـية خـلاف المأثور من ذم الزواج من الاقارب [175].

كانت المرأة الحرة تستشار في امر زواجها ، وقد يكون للسيد من سادات العرب عدة بنات ويرغب نظيراً له في مصاهرته والزواج من احدى بناته ، فيجمع الاب بناته ويستشيرهن فيه ويشرح لهن صفاته لتختاره احداهن [176] ومثلما كان الزواج يقرب بين القبائل نجد ان رفض ابن العم صاحب الاولوية على غيره في مسألة الزواج، وكان ميل الفتيات في الغالب ان يزوجن في الديار البعيدة والقبائل النائية ، قالت امرأة من عامر كانت قد زوجت في طيء :

لاتحمدن الدهر اخت خالها   ولاترثين الدهر بنت الوالد
هم جعلوها حيث ليست بحرة   وهم طرحوها في الاقاصي الاباعد [177]

وكان من نتائج رفض ابن العم ان يؤدي الى العداوة والبغضاء بين القبيلتين تصل الى حد اراقة الدماء ، ويروي ابو عبيدة " رأيت بطريق مكة اعرابية تبيع الخوص، ولم ار اجمل منها قط ، فوقفت انظر اليها متعجباً من جمالها اذ اقبل شيخ فقير فأخذ باذنها فسارها فقلت : من هذا ؟ قالت زوجي ، قلت كيف رضى مثلك بمثله ؟ قالت ان له قصة ثم انشدت :

ايا عجباً للخود تجري وشاحها   تزف الى شيخ من القوم تنبال
دعاني اليه انه ذو قرابة   فويل الغواني من بني العم والخال [178]

ولم يكن للعرب قبل الإسلام موسم معين للزواج ، لكنهم كانوا يتشاءمون من الزواج بشهر شوال [179] . ويبدو ان تمسك القبيلة بهذا العرف كان شديداً لان الرجل حين يزوج ابنته لقريب او من قومه ، فانها اذا حملت اليه قال لها ابوها او اخوها "أيسرت واذكرت ولا انثت جعل الله منك عدداً وعزاً وجلداً ، احسني واكرمي زوجك وليكن طيبك الماء " [180] في حين اذا تم الزواج من خارج القبيلة قال

ابوها او اخوها "الا ايسرت ولا اذكرت ، فانك تـدنين البعـداء وتلديـــن الاعـداء ، احسني خلقك وتحببي الى احمائك فـــان لهم عليك عيناً ناظرة واذنـــاً سامعة ولـيكن طيبك الماء "[181]ولايقتصر هذا الامر على المرأة ، بل نرى ان الرجل لايملـك القـرار في اختيار زوجته فهناك اعراف وتقاليد تفرض عليه الـزواج مـن نسـاء قبيلتـه ، هـذه القيود الاجتماعيـة قـد ترجـع الى الحسـب والنسـب ، والتحـدر الـديني والعنصـري والقومي والخلفية الاجتماعية [182].وعلى الرغم من الميل نحو زواج الاقارب ، لكـن هنالك من كان يحبذ الزواج من القبائل ويرون فيه ميزة تختلف عن ميزة بنـت العـم ، وهذا شائع في مثلهم الذي يقول "بنت العم اصبر لكن الغريبة انجب "[183] .

وجرت عندهم العادة ان يكون لاهل البنت الحق في ان يشترطوا علـى الـزوج ان ماتلده بنتهم يكون لهم وان للزوج ان يرفض ذلك ، وهذا هو الاساس الذي بنيت عليه القاعدة الفقهية "الولد للفراش وللعاهر الحجر "[184]. وروي ان هاشم بـن عبـد مناف عندما انصرف الى الشام في تجارتـــه ومرّ بيثرب ونزل عند صديق لابيه فـرآى ابنته سلمـى بنت عمرو ، فخطبـــها فانكحه اياهـا بشـرط عليـه ان لاتلـــد الا في اهلها [185].ويذكر الدكتور العلي لقد كانت العرب تعتقد ان الزواج بالاباعـد ادعـى الى انجاب النجباء من الاولاد [186] يقول الشاعر :

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة مخافة ان يضـــوي على سليلي

وقال آخر

فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوي وقد يضوي رذيل الاقارب [187]

وحمـل الـزواج مـن خـارج القبيلـة سـعياً وراء العـزة والمنعـة ، وان تكـون المصاهرة احياناً احـدى دواعـي المحالفـة ، كمـا هـو الحـال لـدى سمـرة بـن جنـدب [188]لكـن مهمـا تعـددت الاسـاليب والهـدف مـن الـزواج الخـارجي يبقـى الـزوج

يبحث عن الهدف الاكثر اهمية وهو المنبت الحسن فقد ورد في الحديث الشريف "اياكم وخضراء الدمن ، قيل يارسول الله وماخضراء الدمن ، قال : المرأة الحسناء في منبت السوء "[189] ، فقد ظل النسب العربي اساساً في زواج الفتاة العربية حتى العهود الإسلامية ، ويبدو ان كفاءة النسب العربي ترتبط بالتكافؤ الاجتماعي في المنزلة فكانوا لا يزوجون بنات الاشراف والسادات من رجال هم دونهن في المنزلة ، فالشريفة لا تتزوج الا من شريف للمحافظة على نقاوة الدم وضمان انجاب الاولاد النجباء [190]، وكانت قريش تتزوج في اي القبائل شاؤوا ولا تشترط عليهم في ذلك بالمقابل فانهم لايزوجون احداً حتى يشترطوا عليه بان يكون متحمساً [191]. وكان للنساء الحق في اختيار الزوج ، فيذكر ابن قتيبة "خطب رجل امرأة من بني كلاب فقالت له امها حتى اسأل عنك فسألت عن لسانه أي فصاحته وعلمه وشجاعته وسماحته "[192] . وقد تعجب المرأة برجل كفء لها فترسل اليه ان يطلبها من وليها وهذا مافعلته خديجة بنت خويلد وهي من سيدات قريش، ارسلت الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يخطبها من عمها عمرو بن اسد فخطبها له عمه ابو طالب وتزوجها [193] قائلاً : " ... ، ثم ان محمد بن عبدالله ابن اخي من لايوازن به فتى من قريش الارجح عليه براً وفضلاً،وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً ... "[194] وجاءت ليلى بنت الخطيم تعرض نفسها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزواج منها [195] .
كذلك فان قوة الرجل كلت تثير انوثة المرأة ، وفي الاخبار العربية من كان منهم يضرب امرأته على ظهرها ثم يجامعها ، ويروى "ان مصعب بن الزبير كان يفعل ذلك ثم يأتي عائشة بنت طلحة "[196] كأنهم كانوا لايشعرون بشهوة الجنس الا بعد ضربها، وكذلك مافعلته الخنساء بنت عمرو بن

الحارث لما خطبها دريد بن الصمة ، فقد اجابت بالرفض [197]، وقد عبرت امرأة من باهلة فقالت :

احب الفتى ينفي الفواحش سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا

سليم دواعي الصدر لاباسطاً اذى ولامانعاً خيراً ولا قائلاً هجراً [198]

وكان العرب قبل الإسلام لايقربون المرأة اثناء محيضها ولاتساكنه في بيت ولا تؤاكله في اناء بل وتتجنب خضاب راسه ، ويبدو ان اهل يثرب كانوا اكثر العرب تزمتاً في هذا المجال [199]. كما في قوله تعالى "ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يتطهرن " [200] وكانت العرب تصف الازواج بثلاثة انواع : زوج مهر ، وزوج بهر ، وزوج دهر ، فاما زوج مهر فرجل لاشرف له يسني المهر ليرغب فيه ، اما زوج بهر فهو لرجل شريف ولكنه قليل المال تتزوجه المرأة لتفتخر به ، اما زوج الدهر فهو الرجل الكفء للمرأة تتزوجه لتعيش معه الدهر [201].

ويذكر ان التزواج كان قائماً كذلك بين اليهود والعرب ، وذلك كون بعض اليهود من اصل عربي ساعد على تحطيم القيود التي تحول دون زواج اليهود بالعربيات وبالعكس [202] ونعتقد ان هذا لم يكن شائعاً في الجزيرة بل هو قائم في بعض المناطق كيثرب ، فلم تذكر الروايات ان هناك زيجات بين اليهود والعرب في مكة والطائف ، ومن هنا لانستطيع الجزم باعطاء صورة واحدة عن المرأة العربية في الحجاز خصوصاً اذا ماعرفنا التفاوت الطبقي والمستوى الاقتصادي واختلاف الاسرة التي تعيش فيها ، فنساء الاسر الراقية قلما يقمن بالاعمال المنزلية ، اما في الطبقات الوسطى والفقيرة فالنساء يقمن باعمالهن بايديهن ، ولكن مايمكن عده عام فهو ادارة البيت منوطة بالمرأة والسيادة فيه للرجل ، ولم يكن من المستحسن خضوع الزوج لزوجته هذا في الظروف الطبيعية أي في حالة السلم ، اما في حالة الحرب فان المرأة

وان لم تشترك فعلياً فيها ولكن كن يقدمن الماء والزاد والسلاح للمحاربين وكذلك فان من اهم اعمالهن تضميد الجراحى قال قيس بن الخطيم :

طعنت ابن عبدالقيس طعنة ثائر لها نفذ لولا الشعاع اضاءها

يهون عليَّ ان ترد جراحه عيون الاواسي اذ حمدت بلاءها [203]

فلم يكن خروج القرشيات في موقعة احد اول مرة تخرج فيها العربية مع المقاتلين ، وقد اظهرت في هذه الواقعة حماساً ضد المسلمين كان سبباً في انتصار قريش ولعل من اسباب حماسهن غيرتهن على تجارتهن الخاصة التي كانت لهن في قوافلهن التجارية ، وكان سكان المدن يبذلون لنسائهم وقت الخطر من اساليب الحماية مالم يكن يتيسر للبدو ، فالاوس الذين كانت لهم قلاع وحصون كانوا يمنعون نساءهم واطفالهم فيها ان وقعت الحرب [204]. وكان من مفاخرهم التي تغنوا بها انهم كانوا يطلقون سراح الاسيرة بدافع المعاملة الحسنة او المصاهرة او الجوار ، وكانت بعض القبائل العربية لاتسبى نساؤها فأهل مكة كانوا دون الناس امنين يغزون ولا يغزون ويسبون الناس ولايسبون فلم تسب قرشيه قط فتوطأ قهرا ولاتجال عليها السهام وقد ذكر غرهم وفضلهم الشعراء :

ابو دين الملوك فهم لقاح اذا هيجوا الى حرب اجابوا [205]

ومن صلة النساء بالحروب انهن كن يستقبلن البدريين عازفات بالمزاهر مغنيات [206] ، وعلى الرغم من وجود اشارات محدودة الى مشاركة المرأة في الحرب بشكل فعلي ومباشر [207] الا انه لايعدم ان تكون قد شاركت على نطاق واسع في تقديم الخدمات الادارية المختلفة معبرة عن تضامنها مع الرجال من ابناء قبيلتها . ويذكر انه "كان من عادة نساء مكة ان يخرجن مع الجيش يغنين له الاغاني الحماسية يشجعنه على القتال ، ففي يوم احد قامت هند في النسوة اللائي معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند :

ويهاً بني عبدالدار ويهاً حماة الادبار
ضرباً بكل بتار [208]

عموماً نستطيع القول بان وضع المرأة العربية كان افضل من حال المرأة عند الامم الاخرى ، وهذا ما اعطى ، المرأة العربية موقع الصدارة قياساً الى نساء الامم الاخرى ، ولو قارناً بين المرأة العربية وقريناتها عند الامم الاخرى ، نجد قدماء الفرس يبيحون للرجل ان يتزوج من ابنته وبأخته الشقيقة او غير الشقيقة ويبيحون الامهات والجمع بين الاختين فتزوج الاب ابنته والابن والاخ اخته لان الزرادشتية تبيح ذلك [209] . اما المرأة اليونانية الرومانية فهي لاقيمة لها وكان بيد ابيها او زوجها حق حياتها وحق موتها [210] ، اما المرأة اليهودية فهي تخضع تماماً الى الرجل وهي تسبى وتباع وتورث وللاباء ان يؤجروا ابناءهم لموعد وان يبيعوا بناتهم القاصرات بيع الرقيق وان يقتلوهن [211] وقد اباح العهد القديم للوالد ان يبيع بنته بيع الارقاء لمن يرضى ان يتزوجها لنفسه او لاحد ابنائه [212] اما المرأة الاغريقية فلم تكن اسعد حالاً ولا ارفع مكانة وليست المرأة عندهم الا بطناً يدفع النسل ، واذا وضعت المرأة ولداً دميماً قضوا عليها وهنا يتشابه اليهود والاغريق في تقدير الامومة اكثر من الابوة لان الاغريق ايضاً كانوا يبيحون للرجل ان يتزوج اخته لابيه ولايبيحون له ان يتزوج اخته [213] . ان العرب احترموا المرأة اكثر من اية امة ظهرت ، والمرأة في نظرهم من المخلوقات الصغيرة الجميلة الفاتنة [214].

انواع الزواج او النكاح

1. نكاح البعولة : وهو اشهر انواع الزواج في مكة وهو الزواج المألوف والمتعارف عليه عند اكثر القبائل العربية ، اذ يعتمد على الخطبة والمهر والصداق والشهود وهي مقومات الزواج الاساسية [215] ، فاذا لم يكن هناك مهر عد بغياً وسفاحاً ، فالمهر علامة شرف ، ويروي ابن حبيب "اما النكاح فانما يكون بمهر ، واما السفاح فانما يكون بلا مهر " [216]، وبما ان الاتفاق يتم برضى الطرفين ، فينتسب الابناء عادة الى الاب ، وقد حفظ هذا النوع من الزواج المكانة الاجتماعية للمرأة ، وكانت اغلبية حالات الزواج التي حصلت في مكة من هذا النوع .

2. نكاح الشغار : شاغر رفع المهر ، وشاغر الرجل زوج اخته اوابنته الى رجل أخر على ان يزوجه ابنته او اخته او امه بلا مهر أي تستخدم المرأة مهراً عينياً لمرأة اخرى ، وهو زواج يتم بطريقة المبادلة يزوج الرجل بنته او اخته على ان يزوجه ابنته او اخته من غير ان يدفع بعضهما البعض مهراً او صداقاً [217]. ويرى البعض ان هذا النوع من الزواج غالباً ما يحصل بين الاقارب من ابناء الطبقات التي لاتسمح بدفع المهر فيلجأون الى المقايضة محل المهر [218]والذي يبدو ان هذا الزواج لم يحقق للمرأة حريتها لذا كان قليل الانتشار ولاسيما في مكة لانها في وضع اقتصادي افضل من المدن الاخرى وقال تعالى"واتوا النساء صدقاتهن نحلة" [219]وهذا النوع من الزواج كان معروفاً عند الامم الجزرية قديماً ، ولاتزال له بقايا في كثير من الامم المتمدنة [220].

3. نكاح الضيزن (المقت) : الشريك في المرأة الذي يزاحم اباه في امرأته او يتزوجها اذا مات عنها او طلقها [221]" . وكان هدف هذا النوع من الزواج هو الحصول على ثروة المرأة التي ورثتها من زوجها الاول على حساب ان المرأة الارملة تعد ميراثاً لزوجها فيرثها ابناؤه [222] قال تعالى : "ياايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً " [223]. واذا تزوج ابن الميت زوجة ابيه وكان اولاده منها اخوته وفي ذلك يقول عمرو بن معد وكان قد تزوج قبل الإسلام امرأة ابيه فكرهته :

فلولا اخوتي وبنّي منها ملأت لها بذي شطب يميني [224]

وكان هذا النوع من النكاح شائعاً في بلاد فارس ، فانتقل الى العرب وقد عيّر اوس بن حجر الكندي ثلاثة اخوة من بني قيس تناوبوا على امرأة ابيهم فقال فيهم :

والفارسية فيهم غير منكرة فكلهم لابيه ضيزن سلف [225]

وفي اغلب الاحيان تكون المرأة من نصيب الابن الاكبر ويتم ذلك بان يلقي اكبر الابناء ثوبه على امرأة ابيه بعد وفاته فتصبح المرأة زوجة له وقد مارس هذا النوع من الزواج في مكة عدد من رجالها [226]. اما اهل يثرب فكانت لهم طريقة خاصة في هذا النوع من الزواج في اعلان دخول زوجات المتوفي في ملك الابن او الاخ او بقية الاقرباء من ذي الرحم ، اذ لم يكن للمتوفي ابناء او اخوة هو بالقاء الوارث ثوبه على المرأة فتكون عندئذ في ملكه ان شاء تزوجها وان شاء عضلها أي منعها من الزواج من غيره حتى تموت فيرث ميراثها الا ان تفتدي نفسها منه بفدية ترضية ، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى "ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلا " [227].

فضلاً عن ذلك كان هناك انواعاً اخرى من الزواج لكنها لم تكن شائعة ، فهي فردية وتكاد تكون ضيقة ، واردنا هنا الاستعراض فقط ، منها : زواج الاستبضاع [228]، وزواج المخادنة [229] وزواج الرهط [230]، وزواج البغايا(صاحبات الرايات) [231]، وزواج المضامدة [232]، وزواج المساهاة [233] ، وزواج الاماء [234] ، وزواج السبايا [235]، وزواج البدل [236] .

ولابد لنا من وقفة ونحن نختم حديثنا عن انواع الزواج ، الى انه قد ورد حديث عن عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عما ورد في كتاب الله من ايات في يتامى النساء قالت رضى الله عنها : اليتيمة التي تكون عند الرجل لعلها ان تكون شريكته في ماله وهو اولى بها فيرغب في ان ينكحها فيعضلها لمالها ولا ينكحها غيره كراهية ان يشركه احد في ماله [237]. وقد اشار القرآن الكريم الى اليتامى في آيات كثيرة لها صلة بالنكاح "وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح " [238] "وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء " [239].

نلمس مما تقدم محاولة بعض الاصوات النشاز ان ينسبوا هذه الظواهر الاجتماعية الشاذة الى العرب ويعدونها من انواع الزواج عندهم ، ان هذه الانواع لايمكن عدها زواجاً وانما هي انواعاً من البغاء وهي حالات شاذة ومساوئ اجتماعية لم يقرها المجتمع العربي عامة والحجازي خاصة ولايمكن نسبتها اليه وانما وهي موجودة في كل زمان ومكان وقد اقتصرت هذه الحالات على الجواري ولم تكن تشمل الحرائر من النساء (240)، فضلاً عن ذلك فاننا لو حاولنا المقارنة بين الزواج عند العرب والامم الاخرى سنجد ان هذه الامم كانت تمارس انواعاً من البغاء وانها دخيلة على العرب نتيجة احتكاك العرب بهذه الامم خصوصاً اذا ماعرفنا ان امة العرب تدافع عن الشرف ومتمسكة بعرى الاخلاق والفضيلة فهذا دريد بن الصمة يوصي قبيلته "اياكم وفضيحة النساء" (241) ، وعن اسماء بنت ابي بكر رضى الله عنه سمعت زيد بن عمر بن نفيل يقول "يامعشر قريش اياكم والزنا فانه يورث الفقر" (242) وهذه هند بنت عتبة يوم جاءت لتبايع الرسول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما اخبرته عليه السلام "وهل تزني الحرة" (243).

لقد حرم العرب قبل الإسلام الزواج من الاصول والفروع كالام والاخت والبنت وبنت الاخ وبنت البنت واصول الجدين والجد لاب والجد لام كالعمة والخالة وحرموا كذلك ام الزوجة وزوجة الابن كما وراعوا في التحريم التبني ، غير انهم اباحوا الزواج بامرأة الاب كما اباحوا الجمع بين الاختين (244). وكان اول من جمع بين الاختين من قريش ابو احيجة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم (245) فضلاً عن ذلك فان العرب تزوجوا من النصرانيات واليهوديات والاحباش ، ومما هو ملفت للانتباه ان اكثر الذين تزوجوا من اجنبيات ان جاز التعبير هم من قريش ونعتقد بان قريش كانت قبلة العرب حيث يوفد اليها من كل الفئات والانتماءات والطبقات (246) عموماً فان وضع المرأة العربية قبل الإسلام كان وعلى الرغم مما تقدم شديد التباين في الحرية والمكانة التي تتمع بها ،

ففي بعض الاحيان يصل هذا التباين الى حد الغرابة ، فتارة نجد في جانب الوأد والحط من مكانة المرأة وتارة نرى حريتها في اختيار من تشاء لتكون زوجاً ، ان هـذا التبـاين هو طبيعي في ظل المجتمع القبلي وما فرضته القيم والاعراف والتقاليد السائدة .

المبحث الثالث

الخطبة

الخطبة هي اعلان رغبة الرجل في الزواج من امرأة معينة ويتم الزواج بعد الاستجابة لهذه الرغبة على وفق مراسم تختلف باختلاف العادات والتقاليد ، وتعد الخطبة عقداً تمهيدياً لعقد الزواج ، يحدد فيه المهر ويتفق فيها على الشروط التي يتضمنها العقد ، وكانت المرأة تخطب الى وليها ، ابيها او عمها او اخيها فيقبل الولي الخاطب او يرده [247]. فاذا ارتضي الخاطب جرى الاتفاق على المهر ، وقد اهتم العرب وخصوصاً اهل مكة بعملية اختيار الزوجة ومواصفاتها على ان يراعي الخطيب مستوى خطيبته من الحسب والنسب فيخطب الكفوء الصريح الى الصريح والهجين الى الهجين [248]، خطب بلال على اخيه امرأة من بني حسل من قريش فقال : نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله ، وانا اخطب على اخي خالدٍ فلانه ، فان تنكحوه فالحمد لله ، وان تردوه فالله اكبر فزوجوا اخاه [249].

وكان للفتاة الحرية الكاملة في اختيار الزوج والموافقة على الزواج ، فقد تقدم لخطبة هند بنت عتبة كلاً من ابو سفيان وسهيل بن عمرو فخيرها ابوها بين الاثنين فاختارت ابا سفيان فزوجها منه بعد ان انشد قائلاً :

اتاك سهيل وابن حرب وفيهما ... رضا لك ياهند الهنود ومقنع

وما منهما الا كريم مرزأ ... وما منهما الا اغر سميدع

فدونك فاختاري فانت بصيرة ... ولاتخدعي ان المخادع يخدع [250]

وقد كان لام الفتاة الرأى الواضح في تزويج ابنتها ، يستشيرها الاب وتشير عليه وتأخذ البنت برأي امها [251] وكانت تتبع العرب في زواج بناتها نظام التعاقد فبعد عرض الاباء امر الزواج على بناتهم لايبرمون العقد بالنيابة عنهن قبولاً صريحاً ومن الامثلة على ذلك خبر خطبة دريد بن الصمة للخنساء ورفضها له [252].

وورد في الحديث "ان يخطب الرجل المرأة فتركن اليه ويتفقا على صداق معلوم ويتراضا ولم يبق الا العقد "[253] . وقد يقوم اهل الفتى بالاستقسام بالازلام لدى صنمهم المعبود لمعرفة مدى صلاحية الفتاة لابنهم او صلاحية الزواج بمجموعه[254] قبل الاقدام على الخطبة . ويذكر ابن قتيبة عن الاصمعي "كان رجالات قريش من العرب تستحب من الخاطب الاطالة ومن المخطوب اليه الايجاز "[255] و "كان الرجل يأتي الى الحي خاطباً فيقوم في ناديهم فيقول خطب أي جئت خاطباً فيقال له : انكح أي قد انكحناك اياها "[256] وكان يضرب المثل بامرأة من العرب يقال لها ام خارجة فيقال : اسرع من نكاح ام خارجة ، كان الخاطب يقوم على باب خبائها فيقول خطب فتقول نكح[257]. وكانت بعض البيوتات الشريفة عند العرب تشترط عند الخطبة ان تلد المرأة عند اهلها كما مر ذكره سابقاً ، وكانوا يقولون تهنيك النافجة ، فاذا كانوا يدفعون الصداق عيناً فلا يقال ساق اليها الصداق ، ومن ذلك انهم كانوا يضربون على العروس البناء فيقال بنى عليها[258] ، وكان يقال لولي المخطوبة ولمن حضر من اهلها : نحن اكفاؤكم ونظراؤكم وقد جئنا نخطب ابنتكم فلانه ونحن لمصاهرتكم حامدون وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين[259].

ولم يكن يسمح للنساء بالجلوس الى الرجال الا بحضور اوليائهن ، واذا كان الخاطب يريد ان يعرف اوصاف ما لايحل النظر اليه من اعضاء المرأة التي يريد خطبتها ويتأكد من سلامتها فيرسل امرأة عرفت بالفطنة والفهم لتنظر اليها ، واشتهرت في يثرب بعض القيان من اهل الفن والغناء ، وكن اثيرات عند نساء الطبقة العليا[260]. وقد يكون الوسيط رجلاً اتخذ مهنة الوساطة في الزواج ولكن لنساء العامة الراغبات في الزواج ، والوسيط في ذلك الحين انما يصف للخاطب دون الوجه واليدين مما يمتنع عليه رؤيته ، وتذكر الروايات "كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة . فقال : النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارى هذا يعرف ماهاهنا لايدخلن عليكم هذا فحجبو به "[261]. والعرب في امثالهم تقول "اخنث من مصفر استه واخنث من هيت "[262] وفي ذلك يذكر الجاحظ "ولم يزل الرجال يتحدثون مع النساء في الجاهلية والإسلام حتى ضرب الحجاب على

ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ، ولم يكن النظر من بعضهم الى بعض عاراً في الجاهلية وفي الإسلام "[263]، وكان من النساء من يشترطن في زواجهن ان يكون الطلاق من حقهن ، وهذا الامر قد يكون في يثرب وليس في مكة والطائف ، وخير مثال على هذا النوع من النساء سلمى بنت عمرو التي تزوجها هاشم جد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم التي اشترطت عند زواجها ان يكون امرها بيدها وان يكون لها وحدها الحق بحل الرابطة الزوجية ، والمعروف ان نساء يثرب كن مشهورات بالغيرة والانفة لحد جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمتنع عن الزواج منهن لان واحدتهن لن تحتمل ان يكون لها ضرائر حتى اتفقت الروايات ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج كنانية قط [264].

ويبدو ان هذه الصفة في النساء اليثربيات كانت معروفة عند المكيين الذين قدموا يثرب (المدينة) مهاجرين مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مما جعل جلهم يحجبون عن الزواج بنساء يثرب ، ويتضح ان المكيين كانوا سادة نسائهم ، ولكنهم حين قدموا الى يثرب وجدوا ان الحال على عكس ما تصوروا وان نساء يثرب (المدينة) سادات رجالهن وانه نتيجة الاختلاط بين المكيات والمدنيات اخذن يتعلمن عادات اليثربيات السيئة فكان اهل يثرب (المدينة) يكرهون اتخاذ امهات الاولاد [265] وتختلف مراسيم الخطوبة باختلاف الطبقات والقبائل من حيث اطالة المراسيم وقصرها ، فمن المتعارف عندهم ان تبدأ بتبادل التحايا بين الاثنين ، ثم يتحدثون عن مناقب بيت الفتاة وعن رغبة الخاطب الاكيدة في التصاهر ببيت الفتاة ثم يبدأ رأس الوفد الخاطب بالتحدث عن كفاءة الفتى الذاتية وعن مزايا بيته وملائمة هذه المزايا وموافقتها لمزايا الفتاة وبيتها ، ويذكرون وجود الكفاءة بين البيتين ، ثم يرد ولي امر الفتاة على المتكلم من اهل الفتى بالطريقة نفسها فيتحدث عن بيت الفتاة ويثني عليه وعلى بيته ويبين اوجه الكفاءة ويعلن عن موافقته على زواج الفتاة على المهر المتفق عليه سابقاً [266]. وقد تكون الخطبة باسلوب موجز جداً فيقول الخاطب الى الخطيبة (خطب) فتجيبه بالقبول فتقول (نكح) وبهذا تتم المراسيم [267].

واذا تأخر زواج البنت وخيف بقاؤها ، كان يطلب الى شاعر مشهور انه يشبب لها للترغيب في خطبتها وكان هذا مألوفاً في الطبقات العامة واستمر هذا التشبيب لهذا الغرض في العصر الإسلامي الاول ، وقد ذكر بعض الاخباريين اخبار الشعراء الذين شببوا بنساء يطلب من امهاتهن ، فمال الخطاب اليهن ، فيذكر صاحب الاغاني ان اماً لفتاة طلبت من شاعر (ابي النجم العجلي) ان يشبب بابنة تدعى (نفيسه) ، فلما وصل الى وصف مالايستحب قالت الام حسبك حسبك وتزوجت الفتاة [268]، وجاءت امرأة الى الاعشى فقالت : ان لي بنات قد كسدت عليّ اشبب بواحدة منهن لعلها ان تنفق ، فشبب بواحدة منهن ، فما ان شعر الاعشى الا بجزور قد بعث اليه فقال ماهذا ؟ فقالو زوجت فلانة فشبب بالاخرى فاتاه مثل ذلك ، فسأل عنها فقيل : زوجت فما زال يشبب بواحدة فواحدة منهن حتى زوجن جميعاً [269]. وطلب التشبيب انما كان في نساء العامة اما نساء الخاصة فيمتنع التشبيب بهن ، وقد يتعرض الشاعر للقتل اذا شبب باحداهن [270]وكان العرب يطمحون من وضع هذه الشروط الى بناء اسرة ومجتمع يكون ذو فاعلية ، كذلك فانهم ارادوا الى الحياة الزوجية الاستمرار وانجاب الاولاد في اطار هذا المجتمع والذي تمثل القبيلة والدفاع عنها اولويات العربي ، فكانوا يوصون بناتهم قبل الزواج في كيفية احترام الزوج ، وتذكر الروايات ان"احد الاعراب زوج بنته فلما كانت ليلة اراد البناء بها قال لها يابنية ان الامهات يؤدبن البنات وان امك هلكت وانت صغيرة ، فعليك باطيب الطيب الماء وحسن الحسن الكحل ، واياك وكثرة المعاتبة فانها قطيعة للود واياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق وكوني لزوجك امة يكون لك عبداً ، واعلمي اني قائل لامك : خذي العفو مني تستديمي مودتي" [271] واوصت امرأة بنتها بوصايا بابيات شعرية :

بــنتي ان نــام نــامي قبلــه   واكرمــي تابعــه واهلــه

ولاتكـــوني في الخصـــام مثلـــه فتخصـــميه فتكـــوني بعلـــه [272]

المهر اوالصداق :

وهو علامة الشرف للمرأة وبدونه يعد الزواج سفاحاً او بغياً [273]والصداق في اللغة : مهر المرأة ، وقد اصدق المـرأة حـين تزوجهـا وفي قولـه تعـالى " واتـوا النسـاء صدقاتهن نحلة " [274]وفي حديث عمر رضى الله عنه لاتغـالوا في الصـداقات [275]، وقال بعضهم مهرتها فهـــي ممهورة اعطيتها مهـــراً ، وامهرتهـا زوجتهـا غـــيري على مهر [276]. والمهر في اصله التاريخي هو ثمن المرأة ، فقد كان الرجل في الجماعات البدائية يعد زوجته ملكاً له لانه اشتراها بماله ، ويعـد اولاده ملكـاً لـه لانهـم نتاجـه فكان يتصرف بزوجته واولاده تصرفه في ماله [277].

كان المهر للمرأة يقبضه ابوها او وليها ويسمى (النافجة) وهو كل ما ينفج في مال الرجل أي يزيد فيه ويعظمه [278] . وكان الاب يمتلك المهـر ويشـتري لابنتـه مـا تحتاج اليه ، وكان لايعدو الثوب او الثوبين ، امـا في البيوتـات الشـريفة فكـان الاب يجهز ابنته لكل ما تحتاج اليه ، ويحليها بالحلي وتحمل مع جهازها في موكـب الى بيـت زوجها ، ويبدو ان علماء الاجتماع يتفقون مع علماء اللغة في تعريف المهر اذ يذكرون المهر : هو كمية النقود او المواد العينية التي يعطيها اهل العريس الى اهل العروس قبل حفلة الزواج وهو بمثابة تعويض لاهل العروس للمبـالغ الـتي صـرفت عليهـا وقـت تنشئتها وتربيتها قبل زواجها ونظام المهـر غالبـاً مـا يكـون متأصـلاً في نظـام النسـب الابوي [279]وقد حاول بعض الباحثين التفريق بين المهر والصداق ، على ان الصداق هو ما يقدمه الرجل الى زوجته ، اما المهر فهو مايقدمه لوالديها ،فالاصل في الصـداق انه ملك خالص للمرأة تنفق منه على ماتجهز به نفسها وبيـت الزوجيـة ، ولكـن قـد ياخذه الاب او ولي الامر لنفسه ولا يعطي البنـت منـه شـيئاً [280]. وينقـل الـدكتور جواد علي عن سمث ، ان ترادف معنى الصداق والمهر انما حدث في الإسـلام ، امـا

قبل الإسلام فقد كان هناك فرق بين مدلول الكلمتين فان المراد بكلمة الصداق عند عرب قبل الإسلام هو مايقدم الى العروس ، اما المهر فهو مايقدم الى الوالدين [281]، ولكن اللغويين يجعلون المهر والصداق حالة واحدة [282] والمهر والصداق من حقوق الزوج يسترجعه عند الفرقة او الطلاق اوالموت لهذا كانت الزوجة تدخل في ملكية الرجل يرثها عنه بنوه والاقربون ، ولهم كما ورد في البحث ان يتزوجوا منها بدون مهر ، ولهم ان يزوجوها ويأخذوا مهرها ، ولهم عضلها أي ابقاؤها من غير زواج مدى الحياة [283] . ولم يكن للصداق حق معلوم لحد اعلى ولا لحد ادنى بل يتوقف ذلك على الاتفاق ، وكذلك بحسب مكانة الزوج وثرائه ومراعاة الحالة المالية للرجل ، وكذلك مكانة اسرة الفتاة الممهورة ، ولكن اعز ما يقدم صداقاً للنساء من ذوات الشرف ، النوق والذهب ، وكان صداق ذوي الشرف من العرب مائة ناقة او مائة وخمسون ، فقد ورد ان "عبدالمطلب قد اعطى صداقاً لفاطمة بنت عمرو مائة ناقة ومائة رطل من الذهب" [284]. اما عامة الناس فكانوا يقدمون الصداق نوقاً او ماعزاً او متاعاً مهما كان نوعه ، كالآدم مثلاً ، وقد يكون أي شيء عند الطبقة الفقيرة ، ويذكر الجاحظ ان اعرابياً مهر كفيئته ضبين وقال احدهم :

امهرتها بعد المطال ضبين　　　من الضباب سحبلين سبطين

نعم لعمر الله مهر العرسين [285]

وكانت بنات الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وغلاء المهر،وكانت بنو مخزوم تسمى ريحانة قريش لحظوة نسائها عند الرجال،ويرى اهلها انهم اغنياء لرغبة الخطاب فيها وفيهم يقول ابن هرمة :

ومن لم يرد مدحي فان قصائدي　　　توافق عند الاكرمين سوام

توافق عند المشتري الحمد بالندى　　　نفاق بنات الحارث بن هشام [286]

وصار مهر البنت يقدر على قدر امثالها ، فلا يجوز ان يقل عن مهر اخواتها او بنات عمها او بنات خالها او بنات من كان اباؤهن في مرتبة ابيها جاهاً وثراءً ، فاذا

قل عن امثالها لحق اهلها العار وشاعت الظنون في تفسير ذلك [287] فقد مهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خديجة رضى الله عنها عشرين بكره [288] وقيل خمسمائة درهم [289] ، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه المغالاة فيما ورد في الحديث الشريف "ان خير النساء ايسرهن صداقاً" [290] وبصفة عامة لم يكن سادات العرب يساومون في الصداق ، لاسيما اذا ما اعجبهم الرجل الخاطب بحسن صفاته ، فقد ورد ان احد امراء العرب الكبار قد زوج ابنته من (لقيط بن زرارة التميمي) وساق المهر عنه عندما رأى سناء نسبه وشجاعته وذكاء فؤاده مع ان لقيطاً جاءه شريداً ولا يملك شيئاً [291] على انه لايمكن ان تكون عامة ، ولكن هناك بعض الاباء ممن كانوا يبالغون في مهور بناتهم حتى ان احدى فتيات العرب قالت لابيها عندما جاءها خطاب يطلبونها "زوجني على قدري ولا تشطط في مهري" [292]. وقد روى ان المهلهل بن ربيعة بعد ان انتصرت عليه بكر يوم (تحلاق اللمم) رحل بآل بيته واستجار بقبيلة مذحج وانه قد اضطر مجيريه من بني مذحج الى تزويج ابنته برجل من بني جنب وان مهرها كان يضع رقاع من الجلد وفي ذلك يقول المهلهل :

انكحها فقدها الاراقم من جنب وكان الحباء من أدم

ليسوا باكفائنا الكرام ولا يغنون عن عيلة ولا عدم

لو يأبانين جاء يخطبها خرج ما انف خاطب بدم [293]

العرس

يجري العرس في احتفال يختلف باختلاف الشعوب كما يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية ويخضع للعادات والاعراف السائدة في كل زمن وتقام فيه اللعب والموسيقى [294]، وتحمل العروس عند العرب قبل الإسلام الى بيت زوجها بموكب من النساء والرجال وعند وصول العروس الى بيت زوجها تذبح الذبائح طرداً للارواح الشريرة وارضاء لها [295] ولانجد اشارة في المصادر الى موقف الزوجين من اله

القبيلة في اثناء هذا الاحتفال ، وكانت العادة ان تحمل العروس قبل زفافها الى الزوج، وزوّج رجلاً ابنته الى شاب من قريش فقامت ام الشاب تصلحهاوتصنع بها مايصنع بنساء قريش [296] .

وكان هناك مايشبه محلات التجميل التي كانت تقوم بتمشيط النساء وتجهز العروس ، فكان التجميل بتكحيل العيون علاوة على ان التكحيل عادة جارية يومية يمارسها جميع افراد الاسرة حتى الشباب والشيوخ اعتقاداً منهم بفائدته للعين ، كما يكون التنمص وتزجيج الحاجبين وتفليج الاسنان وتلمية الشفاه واللثة أي خضابها بالاثمد [297] والوشم [298] كان معروفاً وقد يكون عاماً في فن التجميل عند النساء خاصة ، وقد يستعمله الرجال ايضاً فكانوا ينقشون غالباً ابدانهم بصور الحيوانات وورد في الحديث "لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات " [299] وخضاب الكف والقدم بالحناء مع الاشارة الى وجود اختصاصيات لكل نوع من انواع التجميل ، وكن يعملن مأجورات وينتقلن عادة بين البيوت لحمل خدماتهن الى النساء ولا سيما في مناسبات الافراح [300] وكانت المرأة العربية تعتز كثيراً بشعرها وتعده من مظاهر الجمال ، وكانت لا تحلقه الا اذا نزلت بها ملمة كموت زوجها او والدها وفي يوم العرس ، ويفهم من ذلك ان المرأة كانت اذا اصيب لها كريم حلقت رأسها واخذت نعلين وضربت بهما رأسها وعفرته بالتراب [301] لذلك عدت الحالقة من علامات الشؤم عندهم ، على العموم تقوم الماشطة بتسريح شعر العروس وقد يكون المشط المستخدم من عاج او ذهب او خشب او فضة ، بعد ان تغسل المرأة راسها بطين واشنان وخطمى ونحوه لتنظيفه وقد تغتسل بالطيب وذلك بالنسبة للغنيات [302] واستمرت هذه الحالة حتى بعد الإسلام . وقد روى ابن سعد " قالت ام سنان : وكنت فيمن حضر عرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصفية مشطناها وعطرناها ، وماشعرنا حتى قَبِلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل على اهله " [303] ، وممن احترفن تجميل النساء وتمشيطهن من المكيات

القرشيات امنة بنت عفان [304]وقد عرفت المرأة قبل الإسلام الشعر المعار ، فوصلت به شعرها ، وكانت تقوم بذلك اختصاصية تدعى الواصلة [305] . ويقص الشعر والظفر بالمقص وهي قص الشعر في مقدمة جبينها [306] واستعملت المرأة الغنية المسك والطيب في تطييب جسمها وثيابها قال قيس بن الخطيم :

وعمرة من سروات النساء تنفح بالمسك اردانها [307]

ومن جملة زينة العروس في يوم زفافها تجملها بالحلي من اساور في معصميها ومعاضد في عضديها وخلاخيل في ساقيها واقراط في اذنيها وقلادات في عنقيها تتدلى فيها سموط بالجوهر وتاج على رأسها وهذه الحلي قديكون بعضها مما تملك او ما تملك اسرتها اما معظمها فمستعار من الحي او من خارجه ، وقد ورد في الاخبار ان عتبة بن ربيعة عندما زفت ابنته هند الى ابي سفيان ، رهن ابنه الوليد على ما استعاره من حلي لبني الحقيق شهراً كاملاً [308]وكانت الحلي عادة من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان [309] وكانت العروس بعد ذلك تزف الى زوجها ، وكانت النساء هن اللواتي يقمن بذلك [310] واذا كان زواجها في بيت ابيها عندما لم يكن العريس من سكان نجعها قلّ ان سمحت له باقترانه منها احتراماً لابيها وعشيرتها فلا يتم له ذلك الا بعد ان يرجع الى وطنه [311]. ثم لابد لنساء العرب من متبنة وهي كيس تضع فيه المرأة مرآتها وادواتها ويضربون المثل بنقاوة مرآة الغريبة لان المرأة التي تزوجت بغير قومها لاترى من تعتمد عليه فتحتاج ان تنقي مرآتها من كل مايكدرها حتى تريها نفسها ما يخفي عليها فتزيلها ولذلك يقولون لمن اراد المبالغة في وصف نقاوته "انقى من مرآة الغريبة "[312] ، وكان يصاحب الزواج احتفالاً يدل في بعض معانيه على اعلان النكاح، قد روي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة دخل مكة ليسموا بها فلما جاء داراً من دورها سمع عزفاً بالدفوف والمزامير فسأل عن ذلك فقيل له فلاناً بن فلان تزوج بفلانه بنت فلان [313] ، فضلاً عن مشاركة الرجال في العرس وكان النساء والصبيان يشاركون في العرس ، وتذكر

الروايات ان الرجل اذا تزوج من اهل مكة وقطع المهر واراد الدخول على المرأة يخضب الرجال ايديهم وارجلهم تزين ، ويحضر كل اصدقائه من الاهل والاقرباء [314] ويقيم صاحب العرس وليمة يحضرها المدعوون ، وكان الناس يقومون بتقديم التهاني للعروسين ، وكان من الكلمات المستعملة في هذه المناسبات (بالرفاء والبنين) ، وهنأ بعضهم متزوجاً فقال بالرفاء والثبات والبنين لا البنات [315]، وحاول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان يبدل الناس خيراً منها فجعل لهم ان يقولوا " اللهم بارك لهم وبارك عليهم " [316]. ويروى "ان احد من المدينة (يثرب) اولم بالمدينة سبعة ايام " [317] . زد على ذلك ان يوم العرس في أي حي من احياء العرب كان مناسبة للتباري بين الفتيان في اللعب بالرماح والسيوف وفي ركوب الخيل والاستباق ، والعرب تسمى الليلة التي تفترع فيها المرأة بليلة شيباء ، وتسمى الليلة التي لايقدر الزوج منها على افتضاضها ليلة حرة ، فيقال باتت فلانة بليلة حرة ، اذ لم يغلبها الزوج وباتت بليلة شيباء اذا غلبها فافتضها [318] ، وكان العرب يؤثرون المرأة المولود ويسمونها الضانية ، وتسمى مقلاتا اذا كانت تجهض ولا يستقر حملها [319].

على العموم فقد قامت العلاقة بين الزوج والزوجة على اللطف والمودة والبعد عن اسباب الشجار ومايكدر صفوة العيش ، وكن يجتهدن في الطيب ابتغاء مرضاة الزوج وبالمقابل فان الزوج كان يعبر عن عواطفه نحو امرأته ، فكان يداعبها ويقبلها [320].

الطلاق

الطلاق جزء من الحياة الاجتماعية عند الامم التي ارتضته شريعة لها فهو معروف قبل الإسلام ، ويعنى تنازل الرجل عن حقوقه التي كانت له على زوجه ومفارقته لها وكان ينظر اليه كعقوبة يوقعها الزوج بزوجه الناشز ، وقد يكون هذا الطلاق لسبب هام وقد يكون لسبب بسيط ، فضلاً عن ذلك فان الطلاق نظام عام

عند العرب واليهود والرومان وقد اباحه الإسلام وان ضيق من دائرته [321].
وعلى الرغم من مفاسد الطلاق وشروره فانه يقع بين جميع الطبقات ، وكثيراً ما يمتد اذاه الى ما بعد الانفصال بين الزوجين وانتهاء الحياة الزوجية ، فلا تقف سيئاته عند تأثيره الاجتماعي والذي يشمل حرمان الاب من اطفاله ، ولا عند فقد المرأة من يرعاها، بل ان شرور الطلاق والاسباب التي ادت اليه ، كثيراً ما تكون مدعاة لتأريث نار الشر ومن الاسباب التي تؤدي الى الطلاق منها عدم الانسجام في الطبائع أي رفض المرأة التكيف مع طباع زوجها والرضوخ لنزواته ، طلق دريد بن الصمة زوجته ام معيد لانها عاتبته على جزعه على اخيه عبدالله وصغرت من شأنه وسبته فطلقها وقال فيها:

اعبد الله ان سبتك عرسي   تقدم بعض لحمي قبل بعض
اذا عرس امرئ شتمت اخاه   فليس فؤاد شانئه بحمض
معاذ الله ان يشتمن رهطي   وان يملكن ابرامي ونقضي [322]

وقد يكون السبب تنافراً عاطفياً او عقم الزوجة ، وقد يكون بسبب كبر في السن وقد يكون السبب لانجابها الاناث دون الذكور او الفقر وفي هذا يقول عبيد بن الابرص :

تلك عرسي تروم قدماً زيالي   البين تريد ام لدلال
زعمت انني كبرت واني   قل مالي وضن عني الموالي
وصحا باطلي واصبحت كهلاً   لايؤاتي امثالها امثالي [323]

او قد يكون لعدم قبول المرأة بالضرة ، والى ذلك يشير احد الشعراء والذي كان له ولد من امرأة ثانية وكانت زوجته تؤذيه فهددها بالطلاق قائلاً :

فـان كنـت مـني او تريـدين صـحبتي فكـوني لـه كالسـمن ربـت لـه الادم
والا فسـيرى مثـل مـا سـار راكـب تجشـم خمسـاً لـيس في سـيره امـم [324]

وكان لهذا السبب أي الغيرة عند المرأة ان ترى من يزاحمها في زوجها ، حيـث كانت الضرائر من اكبر دواعي الغيرة ، وقد عاشت المرأة قبل الإسلام هـذه التجربـة كما مر ذكره ، حيث كان الزوج لايحده في عدد الزوجات حد ، فروي ان غـيلان بـن سلمة الثقفي اسلم وعنده عشر نسوة واسلم نوفـل بـن معاويـة وعنـده خمـس نسـوة [325]. واذا طلق الزوج زوجة طلقة واحدة فهو احق بها من غيره فيمكنه العودة اليها، واذا طلقها ثانية فيمكنه العودة ايضاً ، فان طلقها ثلاثاً فانها تحـرم عليـه ولا يسـتطيع العودة اليها [326]، وكان للطلاق انواع متعددة اهمها الطلاق ثلاثـاً وهـذا النـوع مـن الطلاق كان موروثاً عن اسماعيل بن ابراهيم عليه السـلام [327]. وقـد اقـر الإسـلام ذلك ومنه قول الاعشى ميمون بن قيس حيث تزوج امرأة فرغـب قومهـا عنـه فاتـاه فهددوه بالضرب او يطلقها فقال :

ايا جارتا بيني فانك طالقه كذاك امور الناس غادٍ طارقةٍ

قالو ثنه :

فبيني فان البين خير من العصا والا ترى لي فوق رأسك بارقه

قالوا ثلث فقال :

بيني حصان الفرج غير ذميمة وموموقة فينا كذاك ووامقه [328]

وكان الرجل اذا اراد تطليق زوجته قال لها : حبلك على غاربـك ، أي خليـت سبيلك فاذهبي حيث شئت او يقول لها (الحقي باهلك) او انت خليـه [329] فـاذهبي حيث شئت او انت مخلى كهذا البعير او اذهبي فلا انده سربك [330]، والاصل فيها ان يقول اذهبي الى اهلك فاني لا احفظ عليـك مالـك ولا ارد ابلـك عـن مـذهبها وقـد

اهملتها لتذهب حيث شاءت [331] وكان الطلاق يتم على ثلاث مرات متفرقات ، فاذا طلق الرجل امرأته للمرة الاولى والثانية جاز ان يعود اليها ، اما اذا طلقها للمرة الثالثة فلا تحل له الا بعد ان تتزوج من رجل آخر ، ومن مظاهر تخلي الرجل عن علاقته بزوجه طلاق الظهار حيث يقول لها انت علي كظهر امي او كبطنها او كفخذها او ظهر اختي او عمتي او ماشابه ذلك بقوله تعالى "والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا" [332]

وقوله تعالى "ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وماجعل ازواجكم اللاتي تظاهرون منهن امهاتكم" [333] وكان الظهار عند العرب قبل الإسلام اشد الطلاق .

وهناك نوع آخر من الطلاق يحصل الزوج من خلاله على ترضية ماليه ، وهو مايطلق عليه (بالعظل) وكان موجوداً في مكة ، فيتزوج الرجل المرأة الشريفة ثم لايوفق او ينسجم معها ، عند ذلك يفارقها على ان لاتتزوج الا بارضائه والا عضلها [334] أما النوع الاخر فهو طلاق الايلاء فهو قسم الرجل على ترك زوجه مدة معينة قد تصل الى اكثر من سنتين تكون فيها المرأة في بيت زوجها على ان الزوج لايقترب منهل ولايمكن ان نعد هذا النوع طلاقاً وانما هو عقوبة يوجهها الزوج لزوجه وقد اقرها الإسلام [335] استناداً الى ماجاء بقوله تعالى "للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم" [336]

واذا كان الطلاق قبل الإسلام من حق الرجل فان المرأة اعطيت حق خلع نفسها منه بالاتفاق ، واذا ما طلقها الرجل سمي بالخلع *، وهناك من النساء من جعلن امرهن بايديهن من ازواجهن ، ان شئن عشن مع ازواجهن ، وان شئن تركن معاشرتهم واوقعن الطلاق ،ومن هوءلاء النسوة (سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد الخزاعية) ام عبدالمطلب بن هاشم ، (وعاتكة بنت مرة بن خلال) وهي ام هاشم بن عبد مناف ، ولم يكن للمرأة قبل الإسلام عدة فكانت تتزوج بعد طلاقها ، حتى ولو كانت حاملاً ، فاذا ولدت عدت حاملاً من زوجها الثاني ويكون الزوج والداً

شرعياً لذلك المولود لانه ولد على فراشه فمن اولئك سعد بن زيد بن صعصعة تزوج الناقمية وهي حامل من معاوية بن بكر بـن هـوازن فولـدت علـى فـراش سـعد بـن صعصعة ، وهذا في قريش والعرب كثير ولو اردنا استقصاءه لكثر [337].

ولم يكن الطلاق عند العرب قبل الإسلام محبباً الى الزوجين ، ولايمر دون غصة وندم وكان بعض الرجال يقدم على طلاقه من زوجه فيجـزع جزعـاً شـديداً ، ومـن الامثلة على ماذكرناه كان عبدالله بن ابي بكر رضي الله عنه قـد تـزوج عاتكـة بنـت عمرو بن نفيل وكانت من اجمل نساء قريش ، فلما دخل بها احبها حباً شديداً وامـره ابوه ان يطلقها ففعل هذا ولكنه جزع جزعاً شديداً حتى ترك الطعام والشراب وانشد قائلاً :

لم ار مثلـي طلـق اليـوم مثلـها ... ولا مثلـها في غـير جـرم تطلـق

لهـا خلـق سمـح ورأى ومنصـب ... وخلـق سـوى في الحيـاء ومصـدق

اعاتـك لا انسـاك ماهبـت الصـبا ... ومـا نـاح قمـري الحمـام المطـوق

اعاتـك لا انسـاك مـا حـج راكـب ... ومـالاح نجـم في السمـاء محلـق

ولـولا اتقـاء الله في حـق والـدٍ ... وطاعتـه مـا كـان منـا التفـرق [338]

وربما يكون الطلاق لاسباب خارج نطاق الحياة الزوجية ، فقـد امـر ابـو لهـب اولاده عتبة وعتيبة بتطليق زوجاتهم رقية وام كلثوم بنات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك للعداء الذي يكنه ابو لهب للنبي صلى الله عليه وآله وسـلم [339] . قـال احدهم وهو نادم على طلاق زوجته :

كتمت الهوى حتى اضر بك الكتم ... ولامك اقوام ولومهم ظلم [340]

واذا كان وفاء الزوجة يتبدى في عدد من حالات الطلاق فانه يتضح اقوى واعمق عند وفاة الزوج ، فتأسي الزوجة كبير وفي ذلك تقول فاطمة بنت الاحجم الخزاعية :

لقد كنت لي جبلاً الوذ بظله فتركتني اضحى بأجرد ضاح

قد كنت ذات حمية ما عشت لي امشي البراز وكنت انت جناحي

فاليوم اخضع للذليل واتقي منه وادفع عاذلي بالراح [341]

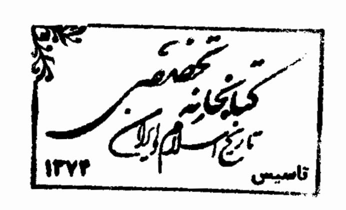
ويذكر جواد علي ان المرأة كانت تدفن في العادة على مقربة من زوجها ، اما الزوج فانه لابد انه يشعر بالحزن ، فقد يرثيها شعراً او نثراً [342]

ومن الجدير بالذكر ان ارث الزوجة من الزوج ظل متناقضاً ، فالاخبار متضاربة بشأنه ، الا ان اكثرها يشير الى انها لاترث ، ولكن حرمان النساء من الارث قبل الإسلام ليس سنة عامة عند جميع القبائل [343] .

ولابد هنا من ذكر ان الطلاق كان معروفاً لدى جميع الامم ، فلقد مارسه العبرانيون ، فقد خولت القوانين العبرية القديمة الرجل ان يطلق زوجته ولم يخول للزوجة من طلب الطلاق [344]. اما موقف المسيحية فقد كانت تحرم الطلاق لكنهم يفسخون العقد لاسباب كالزنا ، ويعدون هذا انفصالاً لا طلاقاً ولايجوز لاحد الزوجين ان يتزوج بعده [345].اما الرومان فنجد ان الطلاق قد شاع في زمن الجمهورية الاخيرة ، طمعاً من الرجال الى المال وغراماً بالنساء وظل الطلاق منتشراً حتى خففت المسيحية من شدته [346] .

ان الصورة الحقيقة لعلاقة المرأة بالرجل زوجاً وبعلاً من الصعب تحديد مضمونها والتعميم فيها لانها مرتبطة في الواقع بالعاطفة التي قد تنشأ بينهما ، الا ان الحياة الاجتماعية المحددة نسبياً فضلاً عن الظروف الصعبة التي يعيشها الزوج

والزوجة ، كانت تملي على الطرفين ان يعيشا متآزرين لضيقين ، وعلى الرغم من احتلال العلاقة الجنسية حيزاً كبيراً في تلك الصلة بين الطرفين وايمان المرأة والرجل بسيادة الرجل في الاسرة والمجتمع ، ومع امتلاك الرجل للمرأة ، الا ان الرجل يعرف في قرارة نفسه ان ملك ثمين اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً له ذاتياً وللمجتمع ، والى ذلك اشار العفيفي "أنه من ضعف الاسلوب ان يقال ان العربي كان رفيقاً بالمرأة عطوفاً عليها فان الرفق والعطف يشعران بالضعف بين يدي القوة على حين كان نصيبها من الحياة على قدر نصيبه وقسطه من الاجلال والاحترام في قلبها على قدر قسطها من قلبه "(347).



الهوامش

(1) خليف ، يوسف ، الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، (مصر ، 1966) ، ص91 .

* المجتمع الابوي : يعني ارجاع علاقة القرابة الى جماعة الذكور في الاسرة وذلك لاغراض اجتماعية . معجم علم الاجتماع ، ص224 .

(2) الهاشمي ، احمد ، جواهر الادب في ادبيات وانشاء العرب ، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1960) ، 2/ 7ـ 8 ؛ صالح احمد العلي ، محاضرات ، ص136 .

(3) كحالة ، عمر رضا ، العرب من هم وماقيل عنهم ، (بيروت ، 1979) ، ص125 ؛ احمد امين ، فجر الاسلام ، ص11 .

(4) الهاشمي ، علي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، 1960 ، ص185 .

(5) دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، ص139ـ 140 .

(6) نور ، محمد عبدالمنعم ، المجتمع الانساني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، (القاهرة ، 1970) ، ص64ـ65 .

(7) القيسي ، نوري حمودي ، النسب الى الام عند العرب بين نظام الامومة والطوطمية ، مجلة دراسات الاجيال ، السنة الاولى ، العدد 2 ، ايار 1980 ، ص76ـ77 .

(8) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/ 678.

(9) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 209 . ينظر : ياقوت الحموي ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، الدار العربية للمطبوعات ، (بيروت ، 1978) ،1/ 27.

(10) محمد عبدالمنعم ، المجتمع الانساني ، ص62 .

(11) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 353 .

(12) ينظر : مقالة الدكتور القيسي ، النسب الى الام ، ص80ـ81 .

(13) ابن حزم ، جمهرة انساب ، 2/ 316 ومابعدها ؛ القلقشندي ، نهاية الارب ، ص404

(14) خندف لقب لام مدركة : ليلى بنت حلوان بن عمران بن قضاعة ، والخندفه : المشي في سرعة وقد ذكر ان زوجها قال لها : وكانت مسرعة في طلب ابل اظلت لها علاما تتخدفين وقد وردت الابل فسميت خندفة . ابن دريد ، الاشتقاق ، 1/ 42 .

(15) القلقشندي ، نهاية الارب ، ص404 . ينظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، 2/ 515 .

(16) ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 252 (ضبن) ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، 2/ 270 .

(17) الزبيدي ، تاج العروس ، 3/ 12 مادة (أسر) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 4/ 20 مادة (أسر) .

(18) ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 29 مادة (اهل)

(19) سورة طه 20، الآيات 29، 30 ، 31، 32 . ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 28 مادة (اهل) .

(20) شرح ديوان امية بن ابي الصلت ، تعليق : سيف الدين الكاتب ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص86 .

(21) ان علماء الانساب العربية ، لم يستقروا على رأي محدد لمفهوم الصلات الاسرية كما انهم لم يتفقوا على ترتيب منسق للتنظيمات وبداية تطورها مما ادى الى صعوبة الاستقرار لتوكيد المحتوى والمفهوم .

(22) ابن رشيق ، العمدة ، 1/ 65 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 84 ـ 85 .

(23) شرح ديوان عبيد بن الابرص ، تقديم : كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص44 .

(24) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص45 ؛ شعراء النصرانية ، جمعه ونسقه الاب لويس شيخو اليسوعي ، دار المشرق ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص64 . ينظر : ديوان حماسة التبريزي ، 1/ 431 ، 432 .

(25) معجم العلوم الاجتماعية ، نخبة من الاساتذة المصرين والعرب المتخصصين ، مراجعة : ابراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر ، 1975) ، ص 225 .

(26) الطوطمية : هي اصل حيواني او نباتي تتخذه عشيرة ما رمزاً لها ولقباً لجميع ابنائها وتعتقد انها تؤلف معه ، وحدة اجتماعية وتنزلة وتنزل الامور التي ترمز اليه منزلة التقديس ، فاذا كان الذئب مثلاً طوطماً لعشيرة ما فمعنى ذلك انها تتخذه رمزاً يميزها عن غيرها من العشائر ويصبح لقباً يحمله ابناؤها جميعهم ، ومعظم الطواطم في الحيوان والنبات ، والحيواني اكثر من النباتي ، وربما كانت مرحلة عامة مرت بها المجتمعات الانسانية جميعاً . ينظر : ويلكن ، أ . ج ، الامومة عند العرب ، تعريب : بندلي الجوزي ،(قازان ، 1902)،ص4 ؛ علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص7 ؛ معجم علماء الاجتماع ، ص359 .

(27) علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص8 .

(28) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص28 . ينظر : ابن حزم ، جمهرة النسب ، ص492 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 67.

(29) الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 27 ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 410 .

(30) ابن قتيبة، عيون الاخبار ، 3/ 107 ؛ الابشيهي ، شهاب الدين محمد بن احمد (ت850هـ) ،المستظرف في كل فن مستظرف مراجعة : عبدالعزيز سيد الاهل، المشهد الحسيني ،(القاهرة ، بلا . ت) ، 1/ 212 .

(31) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 528.

(32) سورة الاحزاب 33 ، الآية 5 .

(33) الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 429 . أي للفراش الذي يولد فوقه .

(34) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 88 . ينظر : ديوان حماسة التبريزي ، 1/ 199 .

(35) محمد عبد المنعم ، المجتمع الانساني ، ص67 .

(36) المزرباني ، ابو عبيدالله محمد بن عمران (ت 384هـ) ، معجم الشعراء ، تح ، عبدالستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية ، (بيروت ، 1960) ، ص471 ؛ الابشيهي ، المستظرف ، 1/ 212 .

(37) جواد علي ، المفصل ، 4/ 650 .

(38) سورة الكهف 18 ، الآية 46 .

(39) سورة النمل 16 ، الآية 58 ـ 59 ، ومن امثال العرب لوصف الاخ واهميته :

اخاك اخاك ان من لااخاً له   كساع الى الهيجا بغير سلاح

ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 35 .

(40) البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 133 ؛ ابن دريد ،الاشتقاق ، 1/ 98 ومابعدها .
(41) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 151 .
(42) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 123 .
(43) محمد عبدالمنعم ، المجتمع الانساني ، ص54 .
(44) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 2/ 116.
(45) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 2/ 116 .
(46) الجاحظ ، الحيوان ،1/ 324 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 319.
(47) ينظر : الحيوان ، 1/ 240 ، 2/ 184 ، 2/ 219 ، 3/ 439 ، 4/ 291 ، 6/ 464 . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،7/ 228 مادة (مخض) ؛ الفيروز ابادي ، تحفة الابيه فيمن نسب الى غير ابيه ، نوادر المخطوطات ، ص97.
(48) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 2/ 118 .
(49) سورة الانبياء 21، الآية 89.
(50) سورة مريم 19 ، الاية 5 ، 6 . .
(51) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 2/ 119.
(52) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص26 .
(53) ابن حبيب ، المحبر ، ص324 .
(54) الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 129 ؛ التوحيدي ، ابي حيان ، البصائر والذخائر ، تح : احمد امين واحمد الصقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (مصر ، 1953) ، ص250 .
(55) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 108 .
(56) الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 28 ؛ الطرابلسي ، نوفل ، صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار الرائد العربي ، (بيروت ، 1982) ، ص70.
(57) البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 81 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 103 .
(58) ضرار بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي هو اخو العباس لام واحدة هي نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن النمر بن ماسط . الزبيري ، نسب قريش ، ص18 ؛ ياقوت الحموي ، المقتضب ، ص27 ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ص109 .
(59) البستاني ، بطرس ، ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، دار المكشوف ودار الثقافة ، (بيروت ، 1968) ، ص23 .
(60) سورة الصافات 37 ، الآية 102 . ينظر : سورة يوسف 12 ، الاية 21 ، 100 ؛ سورة ابراهيم 14 ، الآية 41 .
(61) ابن اسحاق ، السيرة والمغازي ، ص42 ـ 44 .
(62) ديوان امية بن ابي الصلت ، ص39 .

(63) لعل اكثر من تعرض لهذا الموضوع المستشرق ويلكن ، الامومة عند العرب ، ، ص24 ومابعدها. ينظر: نيكلسن، تاريخ العرب الادبي ؛ بلاشير ، تاريخ الادب العربي .
(64) ابن قتيبة،المعارف، ص49؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص174؛ القلقشندي، نهاية الارب، ص404 .
(65) ابن قتيبة ، المعارف ، ص31 .
(66) المرزباني ، ابي عبيدالله محمد بن عمران (ت384هـ) ، اشعار النساء ، تح : سامي العاني وهلال ناجي ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره ، دار الرسالة للطباعة ، (بغداد ، 1966) ، ص120 .
(67) اليعقوبي ، تاريخ ، 2/ 49 ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/ 514 من قبيلة طيء .
(68) الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 196 .
(69) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 61 . العواتك في كلام العرب امهات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الطاهرة وهن ثلاث عشر عاتكة . لمعرفة اسمائهن . ينظر : ابن سعد ، 1/ 61 ـ 63 .
(70) نقائض جرير والفرزدق ، 1/ 403 .
(71) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص101 .
(72) ابن قتيبة ، المعارف ، ص283 ـ 284 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2/ 104 .
(73) ضمن نوادر المخطوطات ، تح : عبد السلام هارون .
(74) نوري القيسي ، النسب الى الام ، ص82 .
(75) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص10 ؛ الحوفي ، احمد محمد ، المرأة في الشعر الجاهلي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، (القاهرة ، 1980) ، ص96 .
(76) ابو علي القالي، الامالي ، 2/ 105 .
(77) الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 48 .
(78) سورة الاحزاب 13، الآية 35 .
(79) الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 344 .
(80) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 183 ـ 188 . ينظر : المرزباني ، اشعار النساء ، ص100 . خبر ضباعة بنت عامر .
(81) ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر ، بلاغات النساء ، مطبعة والدة عباس الاول ، (مصر ، بلا . ت) ، ص174 .
(82) المفضل الضبي ، ابو العباس المفضل بن محمد (ت168هـ) ، ديوان المفضليات ، تح : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، 1942) ، ص158 .
(83) الضبي ، المفضليات ، ص317 ؛ الحوفي ، الحياة العربية ، ص216.
(84) القالي ، ذيل الآمالي والنوادر ، ص153 .
(85) جاد المولى وآخرون ، ايام العرب ، ص 335 .
(86) ابن حبيب ، المحبر ، ص433 .

(87) الجاحظ ، عثمان بن عمرو بن بحر (ت255هـ) ، المحاسن والاضداد ، تصحيح : محمد امين الخانجي ، مطبعة السعادة ، 1324 ، ص77 ؛ شوقي ضيف ، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص152 .

(88) الاصفهاني ، الاغاني ، 8/ 49 ، 11/ 3 ، 328 .

(89) احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص35 ؛ ديوارنت ، ول ، قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب ، (القاهرة ، 1965) ، ص313 .

(90) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص33 .

(91) احمد امين ، فجر الاسلام ، ص11 ؛ علي الهاشمي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص185 .

(92) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، 2/ 57 ـ 58 .

(93) القالي ، الامالي ، 2/ 116 .

(94) سورة النحل 16 ، الآية 58 ـ 59 .

(95) سورة الزخرف 43، الآية 16 ـ 17 .

(96) الجاحظ ،البيان والتبين ، 1/ 186

(97) شرح ديوان حماسة التبريزي ، 1/ 100 ـ 101 .

(98) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 240 ؛ نقائض جرير والفرزدق ، 1/ 175 ـ 176 .

(99) الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 43 .

(100) سورة الانعام 6، الآية 151 . ينظر : تفسير الطبري ، 15/ 78 ـ 79 .

(101) سورة الانعام 6، الآية 137 .

(102) الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 235 . يعنون البنات وقولهم (دفن البنات من المكرمات) .

(103) سورة الانعام ، الآية 140 .

(104) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 240 . ينظر : نكلسن ، رينولد ، تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام ، ترجمة وتح : د. صفاء خلوصي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، 1969) ، ص152 .

(105) زيد الخيل : هو زيد بن مهلهل بن يزيد بن ثور بن كنانة بن مالك كان فارساً شجاعاً بعيد الصيت قبل الاسلام ، وسمي زيد الخيل لكثرة خيله . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 17/ 245 ، 552.

(106) حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة ، 1967) ، 1/ 64 .

(107) ابن حبيب ، من نسب الى امه من الشعراء ، نوادر المخطوطات ، ص90 .

(108) ينظر : ديوان امية بن الصبت ، ص81ـ 82 .

(109) المسعودي ، مروج الذهب ، 4/ 134 .

(110) ابن حبيب ، المحبر ، ص396 . 'كان زوجها هبيرة بن ابي وهب المخزومي' ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/ 47 .

(111) ابن حبيب ، المحبر ، ص396 .

(112) سورة البقرة ، الآية 240 .

(113) القلقشندي ، صبح الاعشى ، 1/ 43 . ينظر : التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ص43 .
(114) سورة البقرة ، الآية 234 .
(115) الاصفهاني ، الاغاني ، 9/ 7 ؛ الحوفي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص129 .
(116) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص214 ؛ الضبي ، المفضليات ، ص267 .
(117) قعص الاسنة : أي قتيل الاسنة . ديوان حسان بن ثابت ، ص25 .
(118) الاصفهاني ، الاغاني ، 10 / 8 ؛ الحوفي ، المرأة في الشعر ، ص129 .
(119) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 2/ 264 .
(120) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/ 138 ؛ صالح احمد العلي ، المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ص23 .
(121) الاصفهاني ، الاغاني ، 10/ 312 ؛ ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص215 .
(122) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 183 ـ 188 .
(123) اخبار مكة ، 2/ 255 ـ 256 . وامرأة برزة : جليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون عنها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 5/ 310 (برز) .
(124) سورة النحل 16 ، الآية 92 ؛ السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص364 .
(125) الشنفرى : من شعراء عصر ماقبل الاسلام من بني الحرث بن ربيعة بن الازد ، وسمي بالشنفرى لانه عظيم الشفة وهو ابن اخت الشاعر تأبط شراً من الشعراء الصعاليك. وفي هذه الابيات يصف المرأة واخلاقها وعفتها حتى انها اذا مشت لاتكثر التلفت من شدة الحياء ، حيث من شدة حيائها فانها اذا مشت كانها تطلب شيئاً منها قد اضاع وهي من الكرم مبلغ كبير حتى انها تهدي لجارتها العبوق وهو ما يشرب بالعشي في سنوات الجدب والقحط . الضبي ، المفضليات ، ص159 ؛ شرح حماسة التبريزي ، 1/ 188 . ينظر : نيكلسن ، تاريخ العرب الادبي ، ص151
(126) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص214 .
(127) شرح ديوان التبريزي ، 1/ 102 ؛ الاولاد المقصود بها الذكور والاناث .
(128) شرح ديوان السموأل ، ص91 ؛ شرح حماسة التبريزي ، 1/ 29 ـ 30 .
(129) ديوان عنترة بن شداد ، ص57 ؛ بيهم ، محمد جميل ، المرأة في التاريخ والشرائع ، (بيروت ، 1921) ، ص136 .
(130) شرح ديوان حاتم الطائي ، ص43 .
(131) جرجي ، زيدان ، تاريخ اداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ، (بلا مكان للطبع ، 1936) ، 1/ 32 .
(132) الميداني ، مجمع الامثال ، 5/ 3 .
(133) ينظر : نقائض جرير والفرزدق ، 1/ 247 ، 59 ، 278 ، 324 ؛ نقائض جرير والاخطل ، ص 88 .
* المرقش الاكبر : هو عمرو بن سعد بن مالك بن قيس بن جديلة وهو عم المرقش الاصغر والاصغر عم طرفة بن العبد لقب بالمرقش لقوله كما رقش في ظهر الاديم ، وهو من متنجبي العرب وفرسانهم . القالي ، الامالي ، 2/ 115 . ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص124.

(134) الضبي ، المفضليات ، ص240 .

(135) ابن قتيبة ، المعارف ، ص57 . ينظر : المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص197 ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص264 ـ 265 .

(136) ديوان امرؤ القيس ، ص179 ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص277 . ينظر : شعراء النصرانية ، ص64 .

(137) القالي ، الآمالي ، 2/ 115 .

(138) لوبون ، غوستاف ، حضارة الهند ، ترجمة : عادل زعيتر ، مطبعة احياء الكتب العربية ، (مصر ، 1948) ، ص328 .

(139) حضارة العرب ، ص494 .

(140) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، 1/ 64 .

(141) النسائي ، ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب (ت 303هـ) ، سنن النسائي ، شرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الحديث (القاهرة ، 1987) ، 2 / 53 .

(142) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 629 .

(143) الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 7 .

(144) خان ، محمد عبدالمعيد ، الاساطير العربية قبل الاسلام ، (القاهرة ، 1937) ، ص63 ـ 64 .

(145) سورة النور24 ، الآية 32 .

(146) سورة النساء 4 ، الآية 25 .

(147) سمي زوج المرأة بعلاً لانه سيدها ومالكها ، وقوله تعالى "وهذا بعلي شيخاً" . ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 58 مادة (بعل) .

(148) الصباغ ، ليلى ، المرأة في التاريخ العربي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي،(دمشق ، 1975) ، ص134 .

(149) ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص134 .

(150) ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 510 مادة (غيل) ؛ عبدالسلام الترمانيني ، الزواج في الجاهلية ، ص253 .

(151) ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/ 90 .

(152) القالي ، الامالي ، 2/ 183 .

(153) ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/ 150 ـ 151 ؛ مونتغمري ، محمد في المدينة ، ص421 .

(154) المحبر ، ص357 ؛ غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص497 .

(155) ابن منظور ، لسان العرب ، 12 / 121 مادة (حرم) ؛ صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص144 .

(156) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص139 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 14/ 239 مادة (خلا) .

(157) الزبيدي ، تاج العروس ، 7/ 230 مادة (بتل) ، 9/ 281 مادة (عن) ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 633 .

(158) الجاحظ ، الحيوان ، 1/ 347 . وقد عيب عن العازف عن اللهو والنساء ولايقرب النساء ، يقال له العزهاة . ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 514 مادة (عزة) .
(159) الطبقات الكبرى ، 8/ 59 .
(160) ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص137 .
(161) الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 390 .
(162) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 6/ 90 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 9 ؛ الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص63 .
(163) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 4/ 9.
(164) صحيح مسلم ، 4/ 175 ؛ النسائي ، سنن ، 2/ 68 .
(165) الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 13 .
(166) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص214 ـ 215 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 2 / 13 .
(167) ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 6 / 70، 77 ، 79 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 2 / 28 .
(168) الميداني ، مجمع الامثال ، 3 / 384 .
(169) الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 104 ، 3/ 291 .
(170) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، 2/ 258 .
(171) الصنعاني ، ابو بكر عبدالرزاق (ت211هـ) ، مصنف عبدالرزاق ، تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، المكتب الاسلامي ، (بيروت ، 1402هـ) ، 6/ 159 . الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص146.
(172) الجاحظ ، المحاسن والاضداد ، ص147 . ينظر : ديوان حماسة التبريزي ، 2/ 417 ؛ التوحيدي ، البصائر ، ص55 .
(173) ابن عبد ربة الاندلسي ، العقد ، 6 / 86 .
(174) التأخيذ : حبس السواحر ازواجهن عن غيرهن من النساء ، وان تحتال المرأة بحيل في منع زوجها من جماع غيرها .ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، 3/ 472 مادة (أخذ) .
(175) محمد عبد المعيد ، الاساطير العربية ، ص64 ؛ المراة التي تترك فلا تتزوج تسمى (التريكة) ويقال للذكر مثل ذلك، وقال ابن الاعرابي : ترك الرجل إذا تزوج بالتريكة وهي العانس في بيت ابويها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 10/ 405 مادة (ترك) .
(176) ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 10/ 295 ومابعدها . خير زواج الحارث بن عوف بيهيسة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 12/ 45 مادة (برم) .
(177) المبرد ، الكامل ، 1/ 280 ـ 281 .
(178) ابن حيان التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ص235 . الخود : المرأة الشابة والجمع خودات .والتنبال : الرجل القصير ، ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 80 ، 13 / 165
(179) المسعودي ، مروج الذهب ، 2/ 189.
(180) ابن حبيب ، المحبر ، ص310 .

(181) ابن حبيب ، المحبر ، ص311 ؛ الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت 548هـ) ، الملل والنحل ، دار المعرفة ، (بيروت ، بلا . ت) ، 2/ 246.

(182) الحسن ، احسان ، العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة ، (بيروت ، 1985) ، ص16 ..

(183) ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن بكر (ت 691هـ) ، اخبار النساء ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، بلا . ت ، ص12 .

(184) الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6 / 279 (دار الحديث) ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 429.

(185) البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 64 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل ، 2/ 248.

(186) تاريخ العرب ، ص142.

(187) الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 9 ـ 10.

(188) سمرة بن جندب الفزاري كان حليف الانصار ، قدمت به امه المدينة (يثرب) بعد موت ابيه فتزوجها رجل من الانصار ، وكان في حجره الى ان صار غلاماً غزا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اكثر من غزوة ، توفى سنة 59 هـ / 678م . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين احمد بني علي ، تهذيب التهذيب ، دائرة المعارف العثمانية ، (الهند ، 1325هـ) ، 4/ 236 ؛ ابن حجر ، الاصابة ، 2/ 78 .

(189) ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 158 مادة (دمن) ، ابن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، 6/ 85 .

(190) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 543 .

(191) التحمس : التشدد في الدين . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 6/ 57 مادة (حمس) .

(192) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 4/ 11 ـ 12 .

(193) ابن حبيب ، المحبر ، ص78 .

(194) القلقشندي ، صبح الاعشى ، 1/ 213 .

(195) ابن حبيب ، المحبر ، ص96 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/ 150 .

(196) ابي الحسن المديني ، المردفات من قريش ، نوادر المخطوطات ، ص80 ؛ الزبيدي ، تاج ، 6 / 416 مادة (صلق) . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 112 .

(197) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 4/ 46. ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 15 / 80 .

(198) الجاحظ ، الحيوان ، 7 / 163 .

(199) الالوسي ، بلوغ الارب ، 1/ 172 . كانت الحائض لدى اليهود تطهر بالماء البارد لايقربها زوجها الا بشهادة استحمام من النساء القائمات على هذا العمل.ينظر:محمد جميل بيهم،المرأة في التاريخ،ص48 ـ 49 .

(200) سورة البقرة 2، الآية 222 . ينظر : الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الاوطار بشرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، بلا . ت) ، 1/ 323 .

(201) ابن منظور ، لسان العرب ، 4/ 82 مادة (بهر) ،4، 292 مادة (دهر) ، 5 / 185 مادة (مهر) ، 10 / 197 مادة (صدق) ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، 2 / 89 ـ 90 .

(202) جواد علي ، المفصل ، 6 / 21 .

(203) شرح ديوان قيس بن الخطيم ، ص46 ـ 48 ؛ ديوان حماسة التبريزي ، 1 / 54 . الاواسي : أي يخف على رد جراح هذه الطعنة عيون النساء المداويات . الديوان ، ص48 .
(204) البستاني ، كرم ، النساء العربيات ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، ص 43 .
(205) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 183 .
(206) بلاشير ، تاريخ الادب العربي ، ص 46 ؛ اكرم البستاني ، النساء العربيات ، ص 44 .
(207) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1/ 67 ـ 68 .
(208) ناصر الدين الاسد ، القيان والغناء ، ص52 .
(209) القلقشندي ، صبح الاعشى ، 13 / 295 ؛ الحوفي ، المرأة ، ص 56 ـ 57 .
(210) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص 494 .
(211) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص 492 ؛ محمد جميل ، المرأة في التاريخ ، ص51 .
(212) محمود جمعة ، النظم الاجتماعية والاقتصادية ، ص81 .
(213) علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص47 ؛ محمد جميل ، المرأة في التاريخ ، ص72 .
(214) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص 494 .
(215) البخاري ، صحيح ، 7/ 20 ؛ النويري ، نهاية الارب ، 3/ 120 ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 3 .
(216) ابن حبيب، محمد ، اسماء المغتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام ، نوادر المخطوطات ، ص118 .
(217) ابو داود ، سنن ابي داود ، 2/ 227 ؛ ابن حنبل ، احمد بن حنبل ، المسند ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) ، 2/ 19 ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6 / 140 (دار الحديث) ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 14 / 417 مادة (شغر) ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 2 / 5 .
(218) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 538 .
(219) سورة النساء 4 ، الآية 4 .
(220) محمود جمعة ، النظم الاجتماعية والاقتصادية ، ص40 ؛ علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص114 .
(221) ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 254 مادة (ضيزن) .
(222) الاصفهاني ، الاغاني ، 1/ 17 ؛ لطفي ، جمعة محمد ، ثورة الاسلام وبطل الانبياء ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، 1958) ، ص65 .
(223) سورة النساء 4، الاية 19 .
(224) ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 254 مادة (ضيزن) .
(225) شرح ديوان اوس بن حجر ، تح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، (بيروت ، 1960) ، ص75 ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص325 ؛ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 254 ـ 255 مادة (ضيزن) .
(226) للتفصيل ينظر : الكلبي ، جمهرة النسب ، ص21 ؛ الزبيري ، نسب قريش ، ص206 ، 207 ، 211 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص112 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، 1 / 789 .
(227) سورة النساء 4، الآية 22 ؛ تفسير الطبري ، 4 / 317 ـ 319 .
(228) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 8/ 14 مادة (بضع) .

(229) ينظر:ابن منظور،لسان العرب،13/ 139 مادة (خدن)؛الشوكاني، نيل الاوطار،6 / 158 (دار الحديث).

(230) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 7/ 305 مادة (رهط) .
(231) ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6/ 158 . (دار الحديث) .
(232) ينظر:ابن منظور،لسان العرب،3/ 266 مادة(ضمد)؛الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص257 . هـامش (1)

(233) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 14/ 408 مادة (سها) .
(234) ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص503 ـ 504 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 8 / 235 .
(235) ينظر : القرطبي، ابو عبدالله محمد بـن احمـد ، (الجـامع لاحكـام القـرآن ، دار احيـاء الـتراث العربـي ، (بيروت ، 1965) ، 5/ 94 .
(236) ينظر : ابن شبه ، تاريخ المدينة المنورة ، 2 / 536 ـ 537 .
(237) البخاري ، صحيح ، 3/ 20 . المرأة تدعى يتيمة مالم تتزوج فاذا تزوجت زال عنها اسم اليتم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 12 / 645 مادة (يتم) .
(238) سورة النساء 4، الآية 6 .
(239) سورة النساء 4، الآية 3 .
(240) عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، ص156 .
(241) ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص171 .
(242) ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص171 .
(243) الواقدي ، ابو عبد عبدالله محمد بن عمر (ت 207هـ)، مغازي رسول الله ، مطبعة السعادة ، (مصـر ، 1948) ، ص334 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/ 237 .
(244) ابن حبيب ، المحبر ، ص325 ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، 2 / 245 .
(245) ابن حبيب ، المنمق ، ص250 ؛ المحبر ، ص327 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5 / 530.
(246) ابن حبيب ، المنمق ، ص 503 ومابعدها . وقد افرد المدائني كتاباً اسماه (فيمن تزوج مجوسية) . ينظـر : ابن النديم، الفهرست ، ص102 .
(247) ابن حبيب ، المحبر ، ص310 ؛ عبدالسلام الترمانيني ، الزواج في الجاهلية ، ص72 .
(248) ابن حبيب ، المحبر ، ص113 .
(249) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 4 / 73 .
(250) ابن حبيب ، المحبر ، ص473 . ينظر : ابو علي القالي ، الامالي ، 2/ 104 ـ 105 .
(251) ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 9/ 142 ؛ بطرس البستاني ، ادباء العرب في الجاهلية وصـدر الاسـلام ، دار كشوف ودار الثقافة ، (بيروت ، 1968) ، ص22 .
(252) الاصفهاني ، الاغاني ، 15/ 76 ؛ علي ابراهيم حسن ، نساء لهن في التاريخ الاسـلامي نصـيب ، مكتبـة النهضة المصرية ، 1963 ، ص 15 ـ 16 .

(253) الاصبحي ، مالك بن انس (ت 179هـ) ، الموطأ ، تح : محمود فؤاد عبدالباقي ، دار احياء التراث العربي ، 2 / 523 . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 361 مادة (خطب) .

(254) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص28 .

(255) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 4/ 73 .

(256) ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 110 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 626 مادة (نكح) .

(257) يضربون المثل بام خارجة لانها تزوجت عدة مرات ، وولدت في العرب نيف وعشرين حياً من اباء شتى وانها تزوجت اكثر من ثمانية رجال.ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص 436 ؛ القالي ، الامالي ، 2 / 256 .

(258) الجاحظ ، الحيوان ، 1/ 334 .

(259) الشهرستاني ، الملل والنحل ، 2 / 246 .

(260) الاصفهاني ، الاغاني ، 11/ 177 ـ 179 . ينظر : ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء ، ص186 .

(261) المختثون على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة مانع وهدم وهيت ، الاربة : الحاجة والشهوة . وكانوا يوصفون النساء ومحاسنهم وعوراتهن بحضرة الرجال . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6/ 115 ـ 116 (دار الحديث) . ينظر : التوحيدي ، البصائر والذخائر ، ص249 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (زير) .

(262) الميداني ، مجمع الامثال ، 1 / 441، 444 .

(263) ابي عثمان بن عمرو ، رسائل الجاحظ ، تح : عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (مصر ، بلا . ت) ، 2 / 149 (كتاب القيان) .

(264) ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 78 ، 79 ؛ 8/ 148 ، 149 ، 150 ، 151 .

(265) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 4 / 8 .

(266) النويري ، نهاية الارب ، 1/ 337 ؛ الهاشمي ، المرأة في الشعر ، ص237 .

(267) ابن حبيب ، المحبر ، ص 398 ؛ ولكن ، الامومة عند العرب ، ص20 .

(268) الاصفهاني ، الاغاني ، 10/ 150ـ 156 ؛ التشبيب : تشبيب الشعر ترقين اوله بذكر النساء ، وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنَّسيب . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 481 مادة (شبب) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، 1 / 308 مادة (شبب) .

(269) الاصفهاني ، الاغاني ، 9/ 118 .

(270) الاصفهاني ، الاغاني ، 14/ 119 ؛ البغدادي ، خزانة الادب ، 1 / 273ـ 274 .

(271) الاصفهاني ، الاغاني ، 20 / 393 .

(272) الجاحظ ، الحيوان ، 5 / 138 .

(273) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 530 .

(274) سورة النساء 4، الآية 4 .

(275) ابن منظور ، لسان العرب ، 10/ 197 مادة (صدق) .

(276) ابن منظور ، لسان العرب ، 5 / 184 مادة (مهر) .

(277) ول ، ديوارنت ، قصة الحضارة ، 2 / 103 .
(278) ابن منظور ، لسان العرب ، 2 / 382 مادة (نفج) .
(279) معجم العلوم الاجتماعية ، ص 46 ـ 47 .
(280) ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص164 .
(281) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4 / 646 .
(282) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 5/ 184 مادة (مهر)
(283) الهاشمي ، المرأة في الشعر ، ص241 .
(284) الحلبي ، علي بن ابراهيم بن احمد (ت 1044هـ) ، انساب العيون في سير الامين والمأمون المسماة السيرة الحلبية وبهامشها السيرة النبوية والاثار المحمدية بمكة المشرفة ، السيد احمد زيني دحلان ، مطبعة الاستقامة ، (القاهرة ، 1962) ، 1/ 50 .
(285) الحيوان ، 6/ 26 .
(286) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص238 ومابعدها .
(287) عبدالسلام الترمانيني ، الزواج في الجاهلية ، ص205 .
(288) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1 / 206 .
(289) الحلبي ، السيرة الحلبية ، 1/ 154 .
(290) ابو داود ، سنن ، 1 / 210 .
(291) العفيفي ، عبدالله بك ، المرأة في جاهليتها واسلامها ، مطبعة المعارف ، (مصر ، 1933) ، 1/ 141؛ ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص165 .
(292) الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 33
(293) الزبيدي ، تاج العروس ، 6 / 320 مادة (حلق) ؛ جاد المولى وآخرون ، ايام العرب في الجاهلية ، ص165 .
(294) الزبيدي ، تاج العروس ، 2 / 334 مادة (عرس) .
(295) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 325 .
(296) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 8/ 138 .
(297) الاثمد : حجر يتخذ منه الكحل وقيل ضرب من الكحل وقيل شبيه به . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب، 3/ 105 مادة (ثمد) ؛ ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص168 .
(298) الوشم : هو غرز ابرة في المكان الذي يراد تجميله حتى يسيل الدم ثم يحشى بنؤور او الكحل او نحوه فيزرق اثره او يخضر . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، 9 / 94 مادة (وشم) .
(299) مسلم ، صحيح مسلم ، 3/ 1678 . المتنمصة : التي تزيل شعر الوجه وبالاخص الحاجبين . المتفلجة : التي تعمل على تباعد الثنايا والرباعيات من اسنانها. ينظر: الزبيدي ، تاج العروس ، 4/ 443 مادة (نمص) ، 7/ 146 مادة (سوك) .
(300) ليلى الصباغ ، المرأة في التاريخ ، ص168 .

(301) الزبيدي ، تاج العروس ، 6/ 320 مادة (حلق) .
(302) الزبيدي ، تاج العروس ، 5 / 44 مادة (مشط) ؛ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 4/ 622 .
(303) الطبقات الكبرى ، 8/ 121 .
(304) ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت852هـ) ، الاصابة في تميز الصحابة ، مكتبة السعادة ، (مصر ، 1328هـ) ، 12/ 105 .
(305) ينظر: ابن منظور، لسان العرب ، 11/ 727 مادة(حلق)؛ ليلى الصباغ ، المرأه في التاريخ ، ص169.
(306) الزبيدي ، تاج العروس ، 4/ 423 مادة (قصص) .
(307) ابن منظور ، لسان العرب ،13/ 177 مادة (ردن) .
(308) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1/ 236 .
(309) سيأتي ذكر هذا الموضوع بتفصيل بالفصل الرابع .
(310) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 2/ 56 ؛ البخاري ، صحيح ، 7 / 28 .
(311) نوفل الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص65 .
(312) الميداني ، مجمع الامثال ، 3 / 407 ؛ نوفل الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص65 .
(313) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 2 / 279 .
(314) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص8 ؛ الخضاب : هو صبغ شعر الانسان او بعض اعضائه ولا سيما الاطراف باصباغ ثابتة الالوان نسبياً ، والخضاب ما يخضب به من حناء وكتم وغيره ، واول من خضب بالسواد المغيرة بن شعبة خرج على الناس وكان عهدهم به ابيض الشعر فعجب الناس منه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 345 مادة (خضب) ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 16 / 84 . للتفصيل عن الخضاب ينظر : مقالة د. صالح احمد العلي ، الخضاب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن والعشرون ، لسنة 1977 ، ص 35 ـ 45 .
(315) أي التئام او جمع الشمل . ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 175 ـ 176 ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6/ 132 ؛ ابن قتيبة ، ابو محمد بن عبدالله بن مسلم (ت 276هـ) ، ادب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، (مصر ، 1355) ، ص51 .
(316) ابن ماجة ، السنن ، 1/ 614 ـ 615 .
(317) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 7/ 121 . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، 2 / 426 .
(318) "باتت بليلة حرة" . ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 177 . ويورد ابن سيدة قائلاً الرجل اذا عجز عن المرأة عند العرس (حوقل) . المخصص ، 1/ 114 .
(319) ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 111 مادة (ضنا) ، 2 / 72 مادة (قلت) ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 316 . ويسمى الرجل الذي لانسل له بالاباتر ، وقيل الزملق ، ويسمى بالغارز من كان قليل النكاح ، ورجل مثر كثير النكاح . ابن سيدة ، المخصص ، 1 / 112 ، 115 .
(320) مالك ، الموطأ ، 1/ 291 ـ 292 ؛ ابن حجر ، الاصابة ، 2/ 455، 542 .
(321) الحوفي ، الحياة العربية ، ص222 .

(322) الاصفهاني ، الاغاني ، 10 / 11 .
(323) شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص113 ـ 114 ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 1 / 236 .
(324) حماسة التبريزي ، 1 / 99 ـ 100 .
(325) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 5/ 506 ، 6/ 60 .
(326) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 549 .
(327) ابن حبيب،المحبر، ص309 ؛ الشهرستاني،الملل والنحل ، 2 / 246 ؛ الالوسي، بلوغ الارب، 2 / 49 .
(328) ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 9 / 121 ؛ ديوان حماسة التبريزي ، 1/ 99 ـ 100 .
(329) الزبيدي ، تاج العروس ، 10/ 119 مادة (خلو) .
(330) ابن منظور ، لسان العرب ، 1 / 644 مادة (غرب) ؛ 1 / 464 مادة (سرب) ، 13 / 548 مادة (رنده).
(331) ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 548 مادة (ندة) .
(332) سورة المجادلة 58، الآية 3 . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6/ 258 (دار الحديث) .
(333) سورة الاحزاب 33، الآية 4 . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6/ 261 (دار الحديث).
(334) ابو داود ، سنن ابي داود ، 2/ 230 .
(335) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 551 .
(336) سورة البقرة 2، الآية 226 . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6/ 256 (دار الحديث) .
* الخلع : هو فراق الزوج على مال وكان الرجال يخلعون نساؤهم ايضاً وهو فراق الزوجة على مال مأخوذ من خلع الثوب . ينظر : الالوسي ، بلوغ الارب ، 2/ 49 .
(337) ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص 338 ـ 340 .
(338) الاصفهاني ، الاغاني ، 10/ 311 ؛ المدائني ، المردفات من قريش ، نوادر المخطوطات ، ص62 .
(339) ابن قتيبة ، المعارف ، ص55 .
(340) الاصفهاني ، الاغاني ، 9/ 149 .
(341) ابوعلي القالي ، الامالي ، 2/ 1 . ينظر : ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص205 .
(342) المفصل في تاريخ العرب ، 5/ 174 .
(343) ويلكن ، الامومة عند العرب ، ص65 ومابعدها .
(344) علي ، محمد كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، دار الكتب ، (بلامكان طبع ، 1934) ، 1/ 80 .
(345) دائرة معارف البستاني ، 11/ 336 . ينظر : علي عبدالواحد ، الاسرة والمجتمع ، ص127 .
(346) دائرة معارف البستاني ، 11/ 336 ؛ محمد كرد علي ، الاسلام والحضارة العربية ، 1/ 80
(347) المرأة في جاهليتها واسلامها ،1/ 28 .



الفصل الرابع
مظاهر الحياة الاجتماعية

لقد حملت طبيعة الظروف الجغرافية والمناخية في شبه الجزيرة العربية، العرب الى التكيف معها، فقامت حياتهم على الاستقرار في المدن ، ووصفتهم المصادر بانهم اهل مدر ، لانهم اتخذوا المساكن المبنية كناية عن حياة الاستقرار ، وقد ساعدهم هذا الاستقرار في حياتهم على تطوير حياتهم وتحقيق التقدم في مختلف مجالات الحياة ، فاصبحوا اصحاب حضارة ، كما هو شأن العرب الذين استقروا في باقي البلاد العربية كالعراق والشام واليمن وغيرها . ولان الانسان اجتماعي بطبعه ، فقد عاش العرب حياة اجتماعية قوامها التعاون والتآزر من اجل الدفاع عن انفسهم واشباع احتياجاتهم المعاشية [1] .

ولقد ادى الطعام دوراً مهماً في التاريخ العربي قبل الإسلام ، فقد كان الاشراف وسادة القوم يتقربون الى العامة بنصب الموائد واطعام الجائعين وعدّوها من امارات النبل والكرامة .

اولاً : الاطعمة والاشربة

الاطعمة والاشربة وغيرها من مقتضيات الانسان وضرورات معاشه ووجدت منذ وجوده ، ولكنها تأثرت في الكم والنوع بارتقاء البشرية في سلم المدينة على مر الزمان وتعاقب الاجيال ، وتأثرت بطبيعة الظروف والانظمة ، والافكار ، وطبيعة العلاقات المتبادلة بينهما . وسنحاول في هذا المبحث ان نتعرف ماكان معروفاً من الاطعمة والاشربة في المجتمع العربي قبل الإسلام .

فالطعام اسم جامع لكل مايؤكل،واشهر الطعام عند العرب الغداء والعشاء [2]، وقد اعتادوا تعجيل وجبة الغداء وتاخير العشاء وكانوا يرون في ذلك اقرب الى راحة البدن وصحته ، وسئل احد الاعراب عن ذلك فقال:ان فيه ثلاث خصال الاولى : انه ينشف المرة ، والثانية : يطيب النكهة ، والثالثة : انه يعين على المروءة قيل وكيف يعين على المروءة قال : اذا خرجت من بيتي وقد تغديت لم اتطلع على طعام احد من الناس [3] .

وكانوا يطلقون اسم الصبوح على وجبة الغداء والغبوق على العشاء [4] ، قال حاتم الطائي :

وغداة صبحن الجفار عوابساً　　　يهدي اوائلهن شعث سزب [5]

ويعد اللحم افضل انواع الطعام ونجد في كتب التاريخ ان كثيراً من رجال مكة حوت موائدهم اللحم والشحم يقدمونها للضيوف ومنقطع الحاج [6]. وقد برز عدد من رجال مكة تميزوا باقامة ولائم عامة في سنوات القحط والمجاعة ، وكان من بين هؤلاء هاشم بن عبد مناف والذي اشتق اسمه من هشمه الثريد واطعامه اهل مكة قال الشاعر :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه　　　ورجال مكة مسنتون عجاف [7]

ومن الاكلات التي يشكل فيها اللحم حضوراً (الحريرة) وهي قطع صغيرة من اللحم في ماء كثير يذر عليها الدقيق ، واذا كانت بلا لحم فتسمى عصيدة ، واول من عمل الحريرة في مكة سويد بن هرمي المخزومي ، قال شاعر لبني مخزوم :

وعلمتم اكل الحرير وانتم　　　اعلى عداة الدهر حد صلاب [8]

وقد اجدبت يثرب فلم يبق في سوقها حبة حنطة ولا شعير ، فجاء الجراد فاستغنى كل قوم بما في دارهم من جراد ، فحشوا الاجواف وطبخ الناس وملحوا وقلاً من قدر على الزيت وملأ الناس الحباب والجرار [9]. وكانوا يسمون الطعام الذي يطبخ ويجعل فيه جراد (العشيمة) وهو عندهم طعام لذيذ ، ويذكر بعضهم ان الانسان قد يصاب بالشري من اكله وقد يشكو من بطنه قد تصيبه [10]، اذا توفر اللحم عندهم اكلوه شياً او طبخاً ، او جعلوه مع اطعمة اخرى ثريداً وغيره ، واذا زاد عن الحاجة ، وقلما كان ذلك ، جعلوه قديداً ليأكلوه من بعد عند الحاجة ، وكانوا يحتفظون بالشحم لاغراض الطبخ والاكل ، وروي ان رجلاً من المسلمين في غزوة خيبر جرب شحماً من الغنائم ليأكله واصحابه [11].

وقد يطلق على حيس التمر اسم (الثريد) [12]، وقد لجأ العرب قبل الإسلام الى طريقة كبس التمر للمحافظة عليه زمناً طويلاً ولسهولة نقله والاتجار به من مكان الى آخر ، ومن طرقهم في ذلك انهم كانوا ينزعون نواة التمر يكنزونه في

قرب وظروف ، وعرفت يثرب وماحولها بكثرة نخلها ، وقد اشير الى كثرة نخل يثرب يقول امرئ القيس :

علون بانطاكية فوق عقمةٍ كجرمة نخل او كجنة يثرب [13]

وقد يجمعون التمر مع الدقيق والسمن فيعملونه ويأكلونه ايضاً ، وعد الحيس من اطعمة العرب الشهيرة [14]، فضلاً عن استعمال التمر لاغراض الاكل واتخذوه لاغراض الشراب ، ولما لم يجد الناس غير التمر في اكثر الاوقات لسد حاجاتهم من الطعام ، وردت الاخبار بفضله ، "قيل ان رجلاً اسر رجلين فخيرهما بم يعشيهما،فاختار احدهما اللحم،واختار الاخر التمر، فعشاهما وتركهما في الفناء وذلك في شتاء شديد، فاصبح صاحب اللحم خامداً واصبح صاحب التمر تزر توقد عيناه،ورأى بعض الاعراب فيه مسداً لايسده الدقيق ففيه ادمة وزيادة حلاوة" [15] ، وعدوه من اكثر الثمار اهمية للبدن ، وفي الحديث النبوي "من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" [16]، واذا توفر الزبد خلطوه بالتمر واكلوه ، وكانوا يحبون ذلك كثيراً ولكنه قليل ، وروي ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب الزبد والتمر [17].

وتوصف النخلة عموماً ، ونخلة البلح خصوصاً ملكة عالم النبات في الجزيرة العربية ، فهي تنتج اطيب ثمر واعمه ، وقوام الطعام عند البدوي لونان التمر والحليب ، واذا استثنينا لحم الابل ، فالتمر هو الطعام الصلب الوحيد الذي يتناوله العربي ، وتأتي اهمية النخلة من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه ادم" [18]، وسئل انو شروان كسرى احد خطباء العرب ماأكثر غذائكم قال:اللحم واللبن والنبيذ والتمر [19].

وفضلاً عن التمر فقد استعملوا الزبيب وكانوا اتخذوه من العنب ، مثل التمر كثرة ، وكانت قريش تعالج فيه ماء زمزم ، فكانت تنبذ فيه الزبيب ولكنه لم يكن في موسم الحج وتسقيه الحجيج [20]، وكان الناس يتخذون من الزبيب نبيذاً يشربونه .

اما الخبز فكان في طعام اهل الحجاز قليلاً وكانوا يتخذونه في الغالب من الشعير يدقونه ويطحنونه ثم يذرونه نفخاً حتى يطير ريشه ثم يعجنونه ويخبزونه ، ولم

تكن لهم مناخل ، وقيل ان عثمان بن عفان رضى الله عنه كان اول من نخل له الدقيق من الخلفاء (21). واشتهرت مكة بعدد من الاكلات من ابرزها السخينة ، وتتخذ من الدقيق وهي دون العصيدة وفوق الحساء وكانوا يأكلونه في شدة الدهر وغلاء الاسعار ولاسيما الفقراء منهم ، وكانت قريش تعير بها حتى لقبت بها ، قال خداس بن زهير:

ياشدة ماشدونا غير كاذبة   على سخينة لولا الليل والحرم (22)

ولقد ادخلت الى مكة بعض انواع الاطعمة غير المألوفة لديهم نتيجة احتكاكهم بالامم الاخرى كالروم والفرس ، ومن اشهر هذه الاطعمة الفالوذج وهو حلواء يسوى من لب الحنطة ، ويروى "ان عبدالله بن جدعان كان سيداً شريفاً في قريش وقد نزل على كسرى مرة واكل عنده الفالوذج ، فتعجب منه وسأله عن حقيقته فقيل : هي لباب البر يلبك مع العسل ، فابتاع من عنده غلاماً يصنعه ، وقدم به مكة فصنع الفالوذج فوضع موائده بالابطح الى باب المسجد ثم نادى : من اراد ان يأكل الفالوذج فليحضر" (23).

وقد اشار الى ذلك امية بن ابي الصلت قائلاً :

له داعٍ بمكة مشمعل   واخر فوق دارته ينادي

الى ردح من الشيزي ملاءٍ   لباب البر يلبك بالشهاد (24)

ويروى ان اهل يثرب "لما نزل فيها ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا ببعض مأكولاتهم ، فسموا البطيخ (الخربز) ويسمون السميط (الرزدق) ويسمون المصوص (المزور) ومأكولات اخرى(25)" ادخلها الفرس وامثالهم بحكم نزولهم على العرب قبل الإسلام ، وكان من تنصر من العرب يأكلون لحم الخنزير ، يأكلونه اشد الاكل ، ويرغبون في لحمه اشد الرغبة ، حتى انهم كانوا يأكلون كل شيء يقع بين ايديهم لشدة الفاقة والحاجة ولاسيما الاعراب (26).

ولم تكن مسألة الترفع في الطعام او الشراب يستحوذ على اهتمام العرب عامة واهل يثرب خاصة ، ولذلك نجد احياناً ان عامة زادهم التمر واحياناً خبز الشعير (27) وربما اولموا وليمة وليس فيها خبز ولا لحم ، ومع ان هذا القول ربما كان يصور

الحالة المعيشية التي كانت تمر بها يثرب في كثير من الاحيان ، لان المعروف عن اهل يثرب في تلك الحقبة قلة اقبالهم على الطعام [28].

وكان افخر طعامهم الثريد من الخبز وعراق اللحم ، وكذلك الخبز المثرود باللبن ، والثريد من التمر [29]، ومن الاطعمة التي يفضلها اهل يثرب الرطب وسائر الحلو والعسل والبطيخ والسفرجل ونحو ذلك من الفاكهة [30] ، كذلك احبو مرق الدباء (القرع) مع خبز الشعير بالشحم المذاب ويعرف بالاهالة وهي الودك وكانوا يتأدمون بالخل ايضاً [31].

ومما هو جدير بالذكر ان الناس كانوا يتناولون وجبتين من الطعام يومياً ، هما وجبة الغداء ، ووجبة العشاء ، وهذا مايوحي ان الوجبة الاولى وهي الغداء كانوا يتناولونها في الصبح قبل الزوال ، اما الوجبة الثانية فكانوا يتناولونها بعد الغروب ليلاً ، ونلمس ذلك جلياً من خلال قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "اذ لم تصطحبوا ولم تغتبقوا "فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ذكر وقتين هما الاصطباح وهو شرب اللبن في الصباح ، والاغتباق او الغبوق وهو شرب اللبن ليلاً [32]، وكان من عادات العرب ان يقلّوا من الاكل وكانوا يعيبون الرجل الاكول الجشع ويرون ان "البطنة تأفن الفطنة ، يريد ان الشبعة والامتلاء يضعف الفطنة أي الشبعان لايكون فطناً عاقلاً" [33].

وقيل لجالينوس "انك تقل من الطعام قال : غرضي من الطعام ان آكل لأحيا ، وغرض غيري من الطعام يحيا ليأكل" [34]، وفضلاً عما تقدم لابد من الاشارة الى ان العرب كانوا يتخذون المناسبات كالاعياد والاعراس والولادة والوفاة وغيرها ، مناسبات لاقامة المآدب العامة ، ولكن هذه المآدب كانت تتأثر في الكم والنوع ، وغالباً ماتكون بحسب المستوى المادي للناس ويسر احوالهم ، فكانت تذبح الذبائح في الولائم [35] والمناسبات اكراماً للضيوف وتكون تبعاً للمنزلة ، فللضيوف من الملوك يبالغ سيد القبيلة في عدد الذبائح اكراماً لمنزلته ومكانته [36].

ويعطي الالوسي مايشبه هذه القائمة من الافراح الاسرية والتي كانت تمد فيها الولائم وتقدم فيها الوان الاطعمة ، وقد حرص العرب ان يفردوا طعام كل مناسبة

منها باسم خاص فسموا (الخُرسُ) وهو طعام يصنع للنفساء لسلامة المرأة من الطلق (طعام الولادة) ، والعقيقة : مايصنع للطفل بعد ولادته وتختص باليوم السابع ، والاعذار : مايصنع للختان ، والملاك : مايصنع للخطبة وطعامه يسمى(الُشُنَدخ) ووليمة العرس : وهي مايصنع للدخول بالزوجة ، والوضيمة وهي مايصنع للميت، والوكيرة [38] : وهي مايصنع للبناء يعني للسكن المتجدد ، واللحفة مايصنع للزائر ، والنقيعة مايصنع للقدوم من السفر ، والقرى مايصنع للضيف [39].

فضلاً عن وجود دعوات خاصة وعامة [40]، وقد ادت هذه الولائم دوراً هاماً فقد كان كثير من الوجوه والسادة يتقربون الى العامة بنصب الموائد الضخام واطعام الجائعين ، ويعدون ذلك من امارات النبل والكرامة ومالى ذلك من سبب سوء الحالة الاقتصادية في الجزيرة ، فكان عبدالمطلب بن هاشم وابوه هاشم وعبدالله بن جدعان قبل الإسلام مسرفين في اقامة الولائم العامة [41].

وكان من المعيب عند العرب بيع شيء من الطعام لمن هو في حاجة اليه ، وهم يشعرون بالخجل والاهانة اذا طلب معسر طعاماً او شراباً كاللبن او الماء ثم لايجاب طلبه او يطلب عن ذلك ثمناً يقبضه مقابل ماقدم من طعام او شراب ، لان القرى واجب على كل عربي ، ولايكون القرى بثمن ، فكيف يقف انسان موقف بخل وامساك امام مرمل محتاج [42] ، ويعبر عن الطعام بالزاد ، وان الزاد طعام السفر والحضر ، وهذا يوافق ماذهب اليه المسعودي "انما سميت ايام التشريق لانهم كانوا يذبحون الذبائح بمنى ويشرقون اللحم في الشمس" [43].

وكان للعرب تسميات للأواني المستخدمة في تهيئة الطعام منها الجفنة والدسيعة ، والقصعة ، والمكتلة ، والفيخة وتسمى السكرجة ، وهي اناء صغير لايشبع الرجل ، والمكتلة تشبع الرجلين والثلاثة ، والقصيعة تشبع الاربعة ، والجفنة تشبع السبعة الى العشرة ، والدسيعة اكبرها وقيل اكبرها الجفنة ، قال حسان بن ثابت الشاعر :

لنا الجفنات الغرُّ يلمعن بالضحى   واسيافنا يقطرن من نجدة دما [44]

وقيل ان لعبدالله بن جدعان جفنة يأكل منها القائم والراكب ، وذكر انـه وقـع فيها صبي وغرق [45].

وللاغنياء اداب في مأكلهم تبدأ بغسل الايدي في الغالب لازالة ماقد يكون قد علق بها من اتربة واوساخ ، فاذا انتهوا من غسل الايدي اكلوا بها ، واذا انتهـوا مـن طعامهم غسلوا ايديهم كذلك لتنظيفها من الدسم ومن المواد الاخرى التي تكـون قـد علقت بها من بقايا الطعام ، والاكل باليد عادة شائعة بين العرب [46].

وتتم عملية غسل اليدين بالاشنان "يجعله على كفه اليسـرى ويغسـل الاصـابع الثلاث من اليد اليمنى ، ويضرب اصابعه على الاشنان اليابس فيمسح به شفتيه ، ثم ينعم غسل الفم باصبعيه ظهراً وبطناً ويسـتغني بـذلك عـن اعـادة الاشـنان الى الفـم واعادة غسله" [47]

وتختلف طريقة اكل الحضري عن طريقة اكل الاعرابي ، فاذا تنـاول الحضـري لقمة صغرها واكلها باطراف الاسنان يحاول جهده ان لايملأ فمه بلقمـة كـبيرة فيبـدو الفم منتفخاً منها ، وهذا غير مألوف لدى الاعرابي "قدم اعرابي على ابن عم له بمكة فقال له ان هذه البلاد مقضم وليسـت بـبلاد مخضـم" [48] ، ومـن ادابهـم بالطعـام كرهوا الرجل ان يتابع بنظره من يؤاكله ، ولم يروا في المروءة ان يأتي طعاماً لم يدع اليه (صفليا) وقيل سمي (الضيفن) ، وانكر الرسول صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ان لايجيب المرء الدعوة استخفافاً بمن دعاه وعد ذلك من المعاصي [49].

ويبدو انهم حسبوا الاكل من الامور الخاصة التي تـتم داخـل البيـت ، فعـدوا الاكل في الاسواق دناءة ولم يجيزوا الحديث عنه في الملأ والنـاس [50]. ويـروى عـن الاحنف بن قيس انه قال "جنبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام فـاني ابغـض الرجـل ان يكون وصافاً لبطنه وفرجه" [51].

واعتمد الاغنياء منهم على الخدم من كـلا الجنسـين في طـبخ الطعـام وتقديمـه لاسيادهم ، وقد اعتمد اهل مكة في طعامهم على انواع عديدة من الفاكهة التي تجلب من الطائف وفي مقدمتها العنب [52]، وقد يقدم طعام يتعلل به قبل الطعـام يعـرف

عندهم بـ (السلفة) واذا اريد ان يكرم الرجل بطعامه غير ذلك بلفظة (القفي) واما مايرفع من المرق للانسان فيقال له (القفاوة) وذلك دلالة على التكريم والتقدير[53]. وسمي بعض من العرب بازواد الركب ، وسموا بذلك لانه لم يكن يتزود معهم احداً في سفر وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد وكان ذلك خلقاً من اخلاق اشراف قريش ، ولكن لم يسمّ بهذا الاسم الا ثلاثة[54].

ثانياً : الشراب

لقد مر سابقاً ان بلاد العرب عرفت بشحتها للمياه فاعتمد اهلها على مياه الابار والعيون والامطار في حياتهم اليومية ، لذلك عدوا شرب الماء الصالح للشرب من المفاخر لديهم ، وقد افتخر بذلك عمرو بن كلثوم قائلاً :

ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا[55]

لقد وجدت هذه الشحة في مكة مثلاً الى حفر آبار جديدة حتى ان بعضاً منها كان يحفر ابار خاصة به ولقومه دون غيرهم وكانت بعض الابار خاصة بافراد معينين، وقد بلغ عدد الابار في مكة ثمانية وخمسون[56] بئراً ، ويستنتج من خلال ماتقدم ذكره بالفصل الاول ان ملكية الماء مرت بثلاث مراحل فمنها ابار عامة مشاعة للجميع يقوم بحفر هذه الابار الزعماء وسادة القوم ، الا ان مياه الابار هذه كانت غليظة فليجأون الى تحليتها من خلال نبذ التمر والزبيب في الماء اللذين كانا متوافرين في مكة اذ كان الاغنياء من قريش يمتلكون بساتين ومزارع الكروم في الطائف[57]، وهناك ملكية خاصة بالبطون والبيوتات وتكون لكل بطن منهم ابار لايحق لغير افراد هذا البطن استعمالها ، اما الاخيرة فهي ابار خاصة بالافراد من كبار المجتمع من التجار والاثرياء وذوي السيادة وتكون البئر احياناً في داخل الدار ، وكان اهل يثرب يوفرون الماء لبيوتهم بواسطة الابار الخاصة بالبيوت ، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الاهتمام بها ودعا الى عمل حوض خاص بجانب البئر يملأ كل يوم ويغطي البئر[58].

وكانت العيون موجودة في يثرب والطائف باعداد كبيرة ، فضلاً عن الابار التي احتفرها السكان ، مما دفع سكانها الى العمل بالزراعة ، ومن هنا كثرت البساتين ،

وتخبرنا المصادر عن تعلم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السباحة عندما كان عمره ست سنين في بئر انس حينما زار اخواله بني النجار مع امه [59].

ويعد اللبن اكثر يسراً وتفضيلاً عند معظم العرب ، فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "من سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس من شيء يجزي من الطعام والشراب غير اللبن" [60].

والوضع يختلف في الطائف فان ارتفاع موقعها ساعد على وفرة مياهها واعطتها هذه الصفة القيمة الاقتصادية كما مر وهذه الوفرة في المياه ساعدت على نشوء نظام ري للاغراض الزراعية والاستفادة من المياه في فصل انعدام الامطار [61]، وقد كان لهم في بيوتهم اسقية يسقون فيها الماء من الابار ، وقد كانت لليهود ابار حصلوا منها على اموال بسبب بيع مائها لمن يحتاج [62] ، ولم يعتمدوا على الابار فقط، بل كان هناك السقاؤون الذين ينقلون الماء الى البيوت اما بالقرب او الصفائح [63] .اما في مواسم الحج حيث الاعداد الكبيرة الوافدة على مكة التي تبقى مدة طويلة فيها ، فمن اين كانت تسقى خلال مدة بقائهم في مكة ؟ والجواب على ذلك ان قريشاً كانت تقيم البيوت في المواسم على الطرق وفي المعابد وتتخذ سقاية يستسقي منها الناس بلا ثمن ، وقد ذكر ابن منظور "انه كان يستعذب الماء من بيوت السقيا" [64]، وشربوا العسل بالماء وشربوا نقيع التمر ، وهذا يعني ان المياه كانت غير سائغة مما جعل الحجازيون يضعون معه التمر او الزبيب او العسل وقد سئل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن افضل الشراب قال (الحلواء البارد) يعني العسل [65] وقد ورد في الامثال العربية (الذ من الغنيمة الباردة) وذلك لان اهل تهامة والحجاز لما عدموا البرد في مشاربهم سموا الماء النعمة الباردة ، ثم كثر ذلك فيهم حتى سموا ماغنموه (البارد) تلذذاً منهم كتلذذهم بالماء البارد [66]. في ذلك يقول الاعشى :

كما شبب بماء بارد   من عسل النحل [67]

وكان للعرب ادابهم في الشرب ، فمن ادابهم قطع النفس عند الشرب فأن الشارب اذا تنفس في القدح فخالط نفسه الماء استقذروها سقط من انفه في الماء ، وكانوا يكرهون الشرب من ثلمة الاناء ، ويكرهون الشرب من فم السقاء ، وكانوا يحثون على تغطية الاناء (68)، ومن ادابهم ان يقطع عن الشرب ثلاث مرات فانه اروى وامرأ وابرأ ، وكانوا يفضلون الشرب قعوداً اعتقاداً منهم ان الشرب قائماً لايحصل فيه الري التام ولايستقر الماء في المعدة حتى يقسمه الكبد على الاعضاء ، وينزل بسرعة وحدة الى المعدة ، ويسرع النفوذ الى اسفل البدن بغير تدوير ، وفي الحديث "اذا شرب احدكم فليمص الماء مصاً ولايعب عباً فانه من الكباد" أي وجع الكبد (69).

وعند الحديث عن الشراب عند العرب قبل الإسلام لابد من التعرض الى الخمر الذي كان منتشراً انتشاراً واسعاً ليس في الحجاز فحسب بل في عموم الجزيرة العربية فمثلاً في مكة يقبل على شربها اهل مكة اقبالاً شديداً وكانت لهم قوافل خاصة تأتي محملة بالخمور من بلاد الشام وغيرها (70). وتحفظ لنا كتب الادب والتاريخ اخبار الكثيرين ممن اغرموا بشرب الخمرة قبل الإسلام ، ومارسها الكثير من السادة والاشراف وكان اغلب الخمارين من اليهود والنصار ى ، وكان للخمارين بيوت خاصة يستقبلون فيها زبائنهم ويقدمون لهم الشراب وغيره من وسائل اللهو ، ويصف حسان بن ثابت مجالس الشراب وصفاً دقيقاً عند حضوره لقصر جبلة بن الايهم فيقول : "رأيت عشر قيان خمس روميات يغنين بالرومي ، وكان يفد اليه من يغنيه من العرب من مكة وغيرها ، وكان اذا جلس للشرب فرش تحته الاس والياسمين وضرب له المسك في صحاف الفضة واوقد له العود والندى اذا كان شاتياً يقول حسان بن ثابت :

ولسنا بشرب فوقهم ظل بردة   يعدون للحانوت تيساً ومفصدا

وان جئتهم القيت حول بيوتهم   من المسك والجادي فتيتاً مبددا (71)

يتضح من خلال ماتقدم ان المجالس التي كانت تعقد في قصور الامراء كانت مجالس أنيقة ، ويقوم على خدمة الشرب ، ويلاحظ كذلك ان الموسيقى والغناء كانتا ركناً اساسياً من اركان مجالس الشراب ، واننا لانمتلك من المعلومات ما يساعدنا على رسم صورة صحيحة او كاملة عن مجالس الشراب في عصر ماقبل الإسلام ، وكمثال على هذه الطريقة في استقصاء المعلومات يمكن القول ان العادة جرت بأن تدار الكؤوس من اليمين الى اليسار ، وكان من عادة العرب ان تقوم جارية بين الرؤساء والملوك قبل الإسلام بتقديم الايمن في الشرب وعلى ذلك يقول عمرو بن كلثوم :

جنب الكأس عنا ام عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا (72)

ووصف ان من هم اعلى مقاماً يجلسون على يمين المجلس ، وكذلك فان الشاربين يتوقفون عن احتساء كؤوسهم اثناء سماعهم للغناء ولا يتناولون الطعام عند السماع ايضاً ، وكان السقاة يرتدون القلائد حول اعناقهم والاقراط في اذانهم ، كما يتبين من قول الشاعر الاعشى :

يطوف بها ساقٍ علينا متوم   خفيف ذفيف مايزال مفدما(73)

وكان الخمر يباع بأماكن خاصة يطلق على اصحابها (الخمارون) (74) وكان بعض سادة قريش من يمتلك داراً مخصصة لغرض شرب الخمرة وسماع الاغاني يقصدها طلاب الشهوة والمجون ومن هؤلاء مقيس بن عبد قيس السهمي (75)، وعلى الرغم من هذا الانتشار الواسع للخمر ، فإن ابن حبيب يعطينا قائمة باسماء من حرم الخمر (76) ويبدو ان تحريم الخمر كان بسبب اجتماعي استناداً الى اشارة بعض المؤرخين الى تحريم بعض شيوخ مكة من كبار السن الخمر واعابتها (77)، ويبدو ايضاً ان مجالس الشرب لم تكن مجالس فيها خروج عن الاعراف الاجتماعية على الرغم من اعابة البعض لها .

اما الاواني المستخدمة في الشرب منها (التين) وهو قدح يروي العشرين و(الصحن) وهو العُسّ القدح العظيم الذي يروي الثلاثة والاربعة ومنها (القدح)

وهو الانية تروي الرجلين ، ومنها (القعب) القدح الضخم ، ومنها (الغمر) هو قدح صغير او اصغر الاقداح [78] ومن الادوات المعروفة قبل الإسلام لحفظ الماء (الحبّ) يختزن فيه الماء للشرب يعمله الكواز والفخار ، والكوز اناء يشرب به ويكون له عروة ، اما اذا لم تكن به عروة فهو كوب [79]. ومن الاوعية الاخرى (المهراس) حجر منقور ضخم لايقله الرجل يؤخذ منه الماء للشرب والاستعمال وقد استعمل في الإسلام للوضوء منه [80].

ثالثاً : الالبسة والحلي

للالبسة والحلي اهمية كبيرة لانها متصلة بصميم تطور حياتنا الاجتماعية والاقتصادية ، وهي بمثابة دراسة لمفاهيم الانسان الجمالية ، وذوقه الفني ورقيه ونشاطه التجاري وتاريخه الاجتماعي ، فالالبسة والحلي تخضع في انواعها واشكالها واستخدامها للعادات المتوارثة او التقاليد والاعراف ، وبدورها تؤثر الى حد كبير في نشر عادات جديدة واذواق مبتكرة تتوارثها الاجيال وتضيفها الى تراثها القديم وتاريخها الاجتماعي ، لان لكل مجتمع انواعاً من الملابس والحلي قد تختلف عن المجتمعات الاخرى ، ولابد من الاشارة الى ان المجتمعات مهما تباينت عاداتها فانها تقتبس من بعضها وتضيف ماتقتبسه الى تراثها الاجتماعي ، زد على ذلك فان ازدهارها يتعلق الى حد كبير بالحياة الطبقية للمجتمع ، خلاصة القول ان دراسة الالبسة والحلي دراسة لعادات المجتمع وتقاليده والصلات الانسانية التي بين افراده ، لذا سندرس كلاً منهما على انفراد على وفق ماتوافر لدينا من روايات واخبار .

الالبسة

اختلفت ملابس العرب وكسوتهم باختلاف الاشخاص وكذلك باختلاف الجماعات التي ينتسب اليها ، فضلاً عن البيئة التي تعيش فيها ، فللاعراب البسة ، ولاهل المدن اذواق في الالبسة ، فهي تتباين بتباين المنزلة والمكانة ، لبس الاغنياء افخر

انواع الملابس المصنوعة من الحرير وغيرها وكان اكثرها يستورد من اشهر مناطق النسيج المعروفة التي تقع خارج مكة [81]، والمصنوعة من الخزر والديباج والكتان والمطرزة بالذهب والفضة [82] ، وفي امثال العرب (انه نسيج وحده) وذلك ان الثوب النفيس لاينسج على منواله عدة اثواب ، كانه ثوب نسج على وحده لم ينسج معه غيره ، قال الراجز :

جاءت به معتجزاً ببرده سفواء تروى بنسيج وحده [83]

ومنهم من يلبس ثوباً سعره خمسين ديناراً [84] ، وكان اهل مكة يقصدون اليمن فيشترون منها الالبسة لحملها الى الاسواق ومن ثم بيعها وعرف العرب قبل الإسلام اقمشة القطن وكانوا يسمونه (الطوط) وورد في الشعر العربي قبل الإسلام بقول امية بن ابي الصلت :

الطوط نزرعه اغن جراؤه فيه اللباس لكل حول يعضد [85]

وللحرائر من النساء زي ، ولكل مملوك زي يتساوى في ذلك لباس الرأس ولباس البدن [86]، ولكن مايميز البستهم البساطة فهو يتكون من جزئين رئيسين هما الازار،وكانوا يرخون مقدمة الازار حتى تقع حاشيتاه على ظهر القدم ويرفعونه مما وراءهم،ويكون تحت السرة وقد يكون فوقها [87]،والازار بصفة عامة قصير ويكره عندهم اسباله،والجزء الثاني من ثيابهم هو الرداء ويعرف ايضاً بالقميص ويغطي اعلى الجسم وهو قصير الطول قصير الكمين وربما يصل الى الرسغين ، ويذكر ان طول رداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم اربع اذرع وعرضه ذراعان [88]، ويلبس القميص كل الرجال كبارهم وصغارهم على حد سواء ، والبسوا اطفالهم العلقة وهو قميص بلا كمين او ثوب بجاب ولا يخاط جانباه وهو الى الحجزة ، وقيل اول ثوب يلبسه المولود ، ولبسوا البردة وهو كساء مربع اسود فيه صفرة تلبسه الاعراب [89] ، وتفننوا في كيفية ارتداء الملابس ، فقد لبس اهل الجزيرة عامة الثياب الطوال واستعملوا غطاء الرأس واحياناً يستفاد منه لتغطية جزء من الوجه عند التلثم ، وكتعبير عن غناهم جعلوا من ثيابهم الطويلة مسبولة لتسحب الى الارض غير مبالين

بقيمتها واسعارها الباهظة ، في حين لبس الفقراء والسواد الاعظم من الناس الأسمال البالية القديمة مهما كان نوعها ليستروا بها اجسامهم ، المهم ان مايميز لباسهم هذا تناسبه لبيئتهم ففي ذلك حماية للجسد والوجه من لفح حرارة الشمس (90).

وقد استعمل اهل مكة انواعاً متعددة من الالبسة المعروفة في بلاد العرب انذاك فلبسوا الجبب والبرود ، التي لم يكن يلبسوها على الاغلب الا في المناسبات والاعياد (91)، ولبس بعض اهل المدينة (يثرب) البرنس وهو كل ثوب راسه منه وملتصق به ، ولبسوا العباية وهي ضرب من الاكسية واسع فيه خطوط سود كبار وتلبس فوق الالبسة وتصنع من وبر الصوف وتستعمل في الشتاء ، والعباءة لباس الرجال والنساء ايضاً وهي لباس الفقراء ، هجا عبدالله بن رواحة قريشاً واستهان بهم ووصفهم بـ (اثمان العباء) فيقوله :

فخبروني اثمان العباء متى   كنتم بطاريق او دانت لكم مضر (92)

ولبسو ايضاً السراويل ويبدو انهم استعاضوا بالسروال عن الازار ، ويذكر ان النجاشي ملك الحبشة ، بعث الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكسوة فيها سراويل (93)، وكان فرسان العرب قبل الإسلام يلبسونها لكثرة مايجوبون الصحارى ويتعرضون للمهالك،وفي قوله تعالى "سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار" (94)، وقد اصطلح علماء اللغة على تقسيم الثياب الى مقطعات وغير مقطعات ، والمقطع من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قميص وجباب وسراويلات وغيرها ، وما لايقطع منها كالاردية والازار والمطارف والرياط التي لم تقطع وانما يتعطف بها مرة ويتلفع بها اخرى (95).

ومن لباس العرب قبل الإسلام ماكان المحرمون يلقونه من الثياب فلا يلبسونه قال الشاعر :

كفى حزناً كري عليه كأنه   لقى بين ايدى الطائفين حريم (96)

لقد تفنن العرب في لباسهم واعطت لكل مناسبة ملابس تلائم هذه المناسبة كالافراح والمآتم حيث لبسوا الثياب السود ، فضلاً عن ان للسلم ملابس خاصة وللحرب ايضاً ، فكان الكاهن لايلبس المصبغ ، والعراف لايدع تذييل قميصه

وسحب ردائه ، وللشاعر طقوس خاصة يكاد ينفرد بها فاذا اراد ان يهجو احداً دهن احد شقي راسه ، وارخى ازاره ، فكان لكل شريحة من شرائح المجتمع العربي الزي الخاص ، فكان لحرائر النساء زي ، ولكل مملوك زي خاص ، وللاماء زي ولذوات الرايات زي ، ولبس الشعراء الوشي والاردية السود وكل ثوب مشهور [97].

اما ملابس النساء فلا تختلف من حيث الاطار الخارجي عن الرجل ، فنساء الذوات لبسن الملابس الحريرية الفاخرة المطرزة بالديباج والمطرزة بالذهب والفضة ، اما لباس الفقراء من النساء فلم يكن احسن حالاً من الرجال الفقراء ، فلبست خرقة تجعلها على رأسها تسمى الكوارة ، وعرفت النساء الجلباب فهو لايختلف عن الازار او الرداء الرجالي لكنه اكثر رقة ونعومة من اردية الرجال ، زد على ذلك الالوان المختلفة التي تضفي عليه مسحة نسائية ، ولهذا السبب نجد ان المنافقين في المدينة (يثرب) قد نعتوا المهاجرين من الصحابة عموماً بـ (اهل الجلابيب) وذلك من باب التشهير [98]، وقد ورد الجلباب في القرآن الكريم "ياايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما" [99]، وفسرت هذه الآية القرآنية بان الجلابيب هي الملاءة التي تشتمل بها المرأة فاذا خرجن لحاجتهن الاعينا واحدة وذلك ادنى الى ان يعرفن بانهن حرائر فلا يؤذن بالتعرف لهن بخلاف الاماء فلا يغطين وجوهن [100].

ومن ملابس النساء البقير والبقيرة : برد يشق فيلبس بلا كمين ولاجيب "وقال الاصمعي : ان يؤخذ برد فيشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب والاتب قميص لاكمين تلبسه النساء" [101]، ومن ملابس النساء البراقع فيروى ان فتية من قريش قعد غدية الى امرأة من بني عامر ذات هيبة عليها برقع وهي في درع ، وكذلك نساء العرب يفعلن [102] ، وانفردت ثقيف بالاقبية المصبغة بالورس والعصفر ويحزمون على اوساطهم ملاءات القطن عليها البرود العجيبة [103].

اما الكساء المعروف بالدرع فقد كان شائعاً جداً بين نساء العرب على اختلاف طبقاتهن قبل الإسلام ، فكسوه من جمال الحسن جلباباً والدرع من مقطعات الثياب وصف بانه "ثوب تجوب المرأة وسطه وتجعل له يدين" [104]، اما الالوان المفضله

لدى العرب قبل الإسلام او الشائعة فهناك الكثير من الاشارات الى اطراء اللون الابيض والى كثرة استعماله ، وفي بعض الاحاديث "البسوا من ثيابكم البيض فانها خير ثيابكم "(105)، ولكن هذا لايلغي ان العرب لم يلبسوا الالوان الاخرى ففي الحديث قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لاسماء بنت عميس بعد مقتل جعفر بن ابي طالب "تسلبي ثلاثاً ثم اصنعي ماشئت "(106)، أي البسي ثوب الحداد ، وكان ثوب الحداد على الغالب هو اللون الاسود كما مر سابقاً ، وقد سئل بعض الاعراب عن الالوان فقالوا "الاصفر اشكل والاحمر اجمل والاخضر اقبل والاسود اهول والابيض افضل "(107). ان العرب عموماً لم يستحسنوا لبس الثياب الشنعة الالوان مثل الملحم الاصفر المصبوغ بالزعفران والطيب ، لان ذلك من لبس النساء ، وكان لهم في ذلك قول "احسن الزي ماتشاكل وانطبق وتقارب واتفق "(108).

ويبدو ان العرب قد استخدموا خمسة الوان في ملابسهم ، فقد ذكر القرآن الكريم خمسة الوان هي الاحمر والاصفر والاخضر والاسود والابيض . اما الاحمر فقد ورد في القرآن مرة واحدة في (سورة فاطر / الاية 27) واللون الاصفر ذكر في اربع آيات احداها عن لون بقرة بني اسرائيل (سورة البقرة / الاية 69) ، والثلاث الاخر في وصف النبات (سورة المرسلات / الاية 33 ، سورة الحديد / الاية 20 ، سورة الروم ، الاية 51) ، والاسود ورد في ست آيات ، احدها في وصف لون الجبال (سورة فاطر / الاية 27) واخرى في لون الخيط الذي يميز به الفجر (سورة البقرة / الاية 18) واثنتان عن وصف وجه من كان يبشر بالانثى (سورة النمل / الاية 58 ، سورة الزخرف / الاية 17) ، واثنتان في وصف وجه الكاذبين على الله (سورة الزمر / الاية 60) ، والكافرين بعد الايمان (سورة آل عمران / الاية 106) اما اللون الاخضر فقد ذكر في سبع آيات ، اربع منها في وصف النبات والشجر ، (سورة يس / الاية 80 ، سورة يوسف / الاية 43 ، 46 ، سورة الحج / الاية 63) وثلاث في وصف ثياب الجنة من السندس الاخضر (سورة الانسان / الاية 21 ، سورة الكهف / الاية 31 ، سورة الرحمن / الاية 76) ، اما اللون الابيض فقد ذكر في احدى عشرة اية ، خمس منهن عن لون يد موسى عليه السلام عندما ناظر السحرة (سورة الاعراف / الاية 108 ، سورة طه / الاية 22 ، سورة

الشعراء / الاية 33 ، سورة القصص / الاية 12 ، 32 ، سورة يوسف / الاية 84) واية في وصف وجه من انعم الله عليه بالجنة(سورة آل عمران / الاية 106 ، سورة الصافات / الاية 46، 49) ، ومن هذا يتبين ان لون الملبوسات الوحيد الذي اشار اليه القرآن الكريم هو الاخضر وانه ليس في القرآن حض على استعمال لون معين او تفضيله على غيره [109].

وكان اكثر اهتمام العرب قبل الإسلام بالعمائم فهي افخر ملابسهم لانها توضع على الرأس و"فالعمائم تيجان العرب" [110]، وكانت العمائم سوداء في الغالب، ويذكر ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يلبس عمامة سوداء يرخيها بين كتفيه ، وكان عليه الصلاة والسلام يكره السواد الا في ثلاث : الخف والعمامة والكساء [111]، ويبدو من خلال النصوص الانفة الذكر ان اللون الاسود لم يكن محبباً لكنه في الوقت نفسه مباح وغير مكروه . فضلاً عن ان العمامة من سمات الخطيب فيهم ، يلبس ملحفة ورداء وقميصاً وعمامة ويحمل عصا بيده ، وقد يستغني عن بعض الملابس الا العصا والعمامة [112]، ومنهم من انفرد بلون خاص لعمامته مثل ابي احيحة سعيد بن العاص حتى عرف (بذي العمامة) وكان اذا لبس عمامة لم يجرؤ احد من قريش ان يلبس عمامة بلون عمامته اعظاماً له ، قال الشاعر :

وكان ابو احيحة قد علمتم بمكة غير مهتضم ذميم
اذا شد العمامة ذات يوم وقام الى المجالس والخصوم
لقد حرمت على من كان يمشي بمكة غير ذي دنف سقيم [113]

وكان ثمن العمامة غالياً لذا اقتصر لبسها على الاغنياء والمترفين من اهل مكة [114]، سئل ابو الاسود الدؤلي عن العمامة وفوائدها فاجملها في قوله "جنة في الحرب ، ومكنة في الحر والقر ، ووقا من الندى ، وواقية من الاحداث ، وزيادة في القامة وهي بعد عادة من عادات العرب" [115]. واختلف حجم العمامة ولونها باختلاف عمر الشخص ومكانته الاجتماعية فتكوير العمامة يدل على الغنى والجاه ،

واختص السادة والوجهاء باللون الاصفر ، وكانت للعمامة تسميات كثيرة منها العصابة ، والمقطعة والمعجز والمشوذ والكوارة [116]، ومن امثال اهل مكة (اجمل من ذي العمامة) فالعرب تقول فلان معمم يريدون ان كل جناية يجنيها الجاني من تلك القبيلة او العشيرة فهي معصوبة برأسة فالى مثل هذا المعنى ذهبو في تسميتهم سعيد ين العاص ذا العصابة وذا العمامة ، وكان العرب اذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء ، وكان شعارهم في الحرب العمائم والرايات الحمر ، قال الشاعر :

اذا كشف اليوم العماس من استه فلا يرتدي مثلي ولايتعمم [117]

ويروى ان العرب "اختصت من بين الامم باربع ، العمائم تيجانها ، والدروع حيطانها ، والسيوف سيجانها ، والشعر ديوانها" [118] .

ويتضح مما تقدم ان للعمامة منزلة كبيرة عند العرب ، فهي فضلاً عن ماتقدم تمثل او تعبر عن شرف الرجل ومكانته فاذا اهين او لحق الذل بصاحبها القى بعمامته على الارض ، وورد عن الامام علي عليه السلام "جمال الرجل في عمته ، وجمال المرأة في خفها" [119]. زد على ذلك فان حجم العمامة والوانها تختلف باختلاف الاعمار ، فللشباب عمائم تميزهم من الشيوخ والكهول ، وما كان من العمامة تحت الحنك يسمى (الحنكة) ، اما ماارسل منها على الظهر فهي ذؤابة ، واما (القفذة) فاعلى العمامة ، والضخمة منها تسمى العمة العجراء ، وفي العمامة الكور ، وهي الطرائق التي يعصب بها الرأس [120] قال الشاعر :

اذا لبسوا عمائمهم لووها على كرم وان سفروا اناروا

يبيع ويشتري لهم سواهم ولكن بالطعان هم تجار [121]

اما بالنسبة للنعال فان العرب قبل الإسلام كانوا يلبسونه ويفضلونه على الخف واشهرها النعال الحضرمية المصنوعة من جلود البقر المدبوغة يقول النابغة الذبياني :

رقاق النعال طيب حجزاتهم   يحيون بالريحان يوم السباسب [122]

ويذكر ان اول من حذا النعال هو جذيمة الابرش بن مالك ، والخف في منزلة النعل عند العرب وشاع استعمالها بين اهل المدر في الحجاز والاماكن الاخرى ، وورد ان العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف [123]. وقد استعملت قريش النعال ولبسته ، وقدروا الكعبة وحافظوا على نظافة ارضها فخلعوا نعالهم عند دخولها ، واول من فعل ذلك منهم الوليد بن المغيرة [124]، واذا مدح الشاعر النعل بالجودة فقد بدأ بمدح لابسها قبل ان يمدحها ، قال الاحنف بن قيس "استجيدوا النعال فانها خلال الرجال" [125] ، وقد ضرب العرب المثل بموضع تجميع الانعلة في الذلة او الهوان ، فقيل هو في صف النعال لا في صف الرجال [126] ، وهذه اشارة الى الرجل من الطبقة الفقيرة كان في وضع لايحسد عليه من البؤس حتى يوصف هذا الوصف .

ولانغالي اذا قلنا ان العرب لبسوا الملابس الغالية وهذا يعود الى وضعهم الاقتصادي وضعف مستوى الصناعة في الالبسة والمنسوجات ، فاثر ذلك في عدم ظهور طبقة اجتماعية تدل على نفسها بازياء خاصة ، فقد ورد ان وائل بن حجر الحضرمي وفد على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليعلن اسلامه فهيأ عليه الصلاة والسلام له دار ، فارسل معه احدهم فانطلق معه وقد احرقت رجليه الرمضاء، فقال لوائل اردفني فقال له : لست من اردف الملوك ، فقال له اعطني نعلك اتوقى بهما من الحر فقال له : ليس لمثلك لبس نعلي ، فاخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال له أن فيه لعيبة من عيبة الجاهلية(قبل الإسلام)" [127]، وكان اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون هو من زينة آل فرعون [128] ، ولبس العرب الجورب وكانوا يسمونه لفافة الرجل ، والجورب سريع الانتان ، وضرب العرب قبل الإسلام المثل بنتنه "انتن من ريح الجورب" قال الشاعر :

اثني عليّ بما علمت فانني   مثن عليك بمثل ريح الجورب [129]

الزينة[130] والحلي :

تعني تحسين الشيء بغيره من لبسة او حلية او تحسين الهيئة بوسائل اخرى [131]، والحلي يراد بها ما يزين به مصوغ المعدنيات والحجارة ، ومن هذه الحلي مايعلق على الصدر ومنها ما يوضع في الايدي او في الاصابع ، ومنه مايوضع حول الساق ، او مايعلق في مواضع اخرى مثل الجسد والاذنين او الانف وعلى الجبين [132].

ولقد شاع استعمال الحلي في العصور السابقة وكان لها عظيم الشان عند الامم التي اتصل بها العرب ، وليس لدى سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام الامكانيات الكافية للتزين والعناية بالمظهر، ونستثني من ذلك نساء الحواضر العربية اللواتي كن وبسبب الحركة التجارية على شيء من الاتصال بالحضارات المجاورة ، فكان نتيجة لذلك الاتصال ان اقتبست المرأة العربية شيئاً من امور الزينة التي كانت شائعة في تلك البلدان ، واهتمت المرأة بتجميل نفسها وتزينها عامة فعمدت الى الاثمد لتجميل عينها وتكحيلها ، فضلاً عن ذلك استعملت المرأة التنميص لازالة مابين الحاجبين من شعر والتزجيج لازالة زوائد الحاجبين ثم تحديدها بالاثمد ايضاً ، وعرفت المرأة تلمية الشفايف بالخضاب وتولت النساء عمليات التجميل هذه بعضهن لبعض ، وكان منهن محترفات يقمن بتجميل السيدات والعرائس ليلة زفافهن [133]، ومن عادة النساء ان يخضبن اظافر اليدين بالحناء بخلاف اليدين والرجلين فان خضابهن يكون بلون اسمر مصفر وان يكتحلن بالاثمد [134]. لقد كلفت المرأة بالحلي في كل بيئة وفي كل عصر ، تضيف الى جمالها جمالاً وتزهو به وتفاخر وتكاثر وتسلب قلوب الرجال ،وان غنيت بجمالها ومكانتها ، لقد تنوعت حلي المرأة العربية وتعددت اصنافها فلبست السوار وكان في المعصم يقول النابغة الذبياني :

وايدت سواراً عن وشوم كانها بقية الواح عليهن مذهب [135]

والاسورة من ادوات الزينة وقد استعملها العرب قبل الإسلام وتضعها المـرأة في يديها [136] ومـــن حلي الذراع الدماليج، وسميت بالمعاضـــد وذلـك لتزينهـا العضد [137]، وقد وردت الاشارات اليها عند الشعراء قبل الإسلام، فهـذا طرفـة بن العبد يقول :

كان البُرين والدماليج علقت على عشر او ضروع لم يخضد [138]

وقول عنترة بن شداد :

وتحتي منها ساعد فيه دملج مضيء وفوقي اخر فيه دملـج [139]

وكان في الاصابع الخواتم ، وانشد ابن بري قائلاً :

ياهند ذات الجورب المنشق اخذت ختيامي بغير حق [140]

ومن الحلي المشهورة عند العرب قبل الإسلام القلادة وعرفت بالمخانق ، تصنع من الذهب او الفضة في الغالب ، وقد تكون من ربط حجارة او عظام او خرز بعضها الى بعض ، وكان العرب يضعون قلادة في عنق البدن ، قال الشاعر:

كانت لنا من عطفان جارة كان من دبل وشاره

والحلي حلي البتر والحجارة مدفع ميثاء الى قراره [141]

واولى الاشارات الى المخانق اشارة الى مخنقة كانت تتحلـى بهـا ابنـة قـيس ابـن عاصـم ، الذي اشتهر في عصر ماقبل الإسلام بؤاد بناته [142] ، يقول اعشى همدان

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيدم اسيل تزينه الاطواق [143]

وقد ذكر العقد المنظوم من لؤلؤ وزبرجد كـثير مـن الشـعراء مـنهم قـيس بـن الخطيم بقوله :

وجيـد كجيـد الـرئم صـاف يزينـة توقـــد يـــاقوت وفصـــل زبرجـــد

كـان الثريـا فـوق ثغـرة نحرهـا توقـــد في الظلمـــاء أي توقـــدِ [144]

وقول طرفه :

وفي الحي احوى ينفض المرد   شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد (145)

ووضع العرب الخاتم في يد الرجل بفص او بغير فص ، وقيل هي الخاتم اياً كان، وقيل هي حلقة توضع في الاصبع كالخاتم ، وكانت النساء قبل الإسلام يتخذنها في عشرهن ، وقيل حلقة من فضة لا فص فيها ، فاذا كان فيها فص فهي الخاتم ، ويذكر ان نساء العرب تتزين بالخواتم ربما تختمن في اصابعهن العشر وتلبسن في سواعدهن الاساور ، وقد جاء في الامثال العربية "لو ذات سوار لطمتني" أي لو ظلمني من كان كفأ ، فجعل السوار علامة الحرية ، لان العرب قلما تلبس الاماء السوار كما قال الشاعر :

فلو اني بليت بهاشمي   خئولته بنو عبدالمدان

لهان علي ماالقى ولكن   تعالوا فانظروا بمن ابتلاني (146)

ومن الانواع الشائعة من الزينة الخلخال ، ووصفه عبيد بن الابرص بقوله :

دار حيّ اصابهم سالف الدهر   فاضحت ديارهم كالخلال (147)

ومن الحلي الاخرى التي استعملتها المرأة الفتح والخرص والسخاب والحلق ، والسلسلة والاطواق والجلاجل و(الحيلة) ضرب من الحلي على شكل ثمرة (148)، ومن ادوات الزينة لدى العرب الحقب : او البريم يكون فيه الوان من الخيوط تشده المرأة على وسطها (149). ان هذه الحلي عامة من ضروب الزينة التي عرفت المرأة استعمالها وقد اصبحت من مهمات الزينة لاسيما في المناسبات والافراح ، ويبدو ان بعض النساء لجأت الى عمل الحلي بايديها ، يقول النابغة :

اخذ العذاري عقدها فنظمنه   من لؤلؤ متتابع متسردا (150)

وورد ذكر لبعض صناع الحلي الذين عرفوا بالصياغة منذ عصر ماقبل الإسلام، يقول النابغة :

قبح الله ثم ثنى بلعنٍ وارث الصائغ الجبان الجهولا (151)

وكان يقال للمرأة التي تتزين بالحلي (امرأة خال) اما اذا لم يكن عليها حلي فهي (عاطل او عطل) وقيل ان لفظة عاطل كانت تطلق على المرأة التي لا حلي في عنقها فقط ، وان كان في يديها ورجليها (152) ، وفي امثال العرب (ماعليها خضاض) أي الشيء اليسير من الحلي (153) وسمي صوت الحلي الوسواس يقول حاتم الطائي :

اذا انقلبت فوق الحشية مرة ترنم وسواس الحلي ترنماً (154)

ويتبادر سؤال هنا نراه ضرورياً ، هل لبست العرب هذه الحلي والزينة لغرض الزينة والظهور بمظهر الجمال ؟ ام لغرض اخر كأن يكون ديني مثلاً ؟ وللجواب عن هذا السؤال من المتعارف ان الزينة والتبرج لغرض الجمال ، الا ان الروايات قد تجعل من الغرض الديني السبب في هذه الزينة ، فيذكر القلقشندي ان العرب كانوا اذا "لسع منهم انسان علقوا عليه الحليُ من الاساور وغيرها ويتركونه سبعة ايام ويمنع من القوم فيفيق" (155) قال النابغة :

يسهد من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع (156)

مما تقدم نخلص الى انه قد يكون للسببين معاً اثراً مهماً في استخدام هذه الحلي.

ومن ادوات الزينة عند العرب قبل الإسلام الخاتم وهو من حلي الاصبع ويحلى بالحجارة الكريمة في الغالب مثل الياقوت والماس والشذر ، ويستعمل الخاتم للختم ، فقد كان يستخدم للطبع بدلاً من االتوقيع ، وذلك بحفر رمز او كلمة او اسم صاحب الخاتم على الخاتم ، ولذلك عد الخاتم عند الشعوب القديمة رمزاً للتفويض والتصديق والملك (157)، وهناك ضرب من ضروب التزين المهمة عند المرأة تحصل عليه من طريق غرز الابرة في البدن وذر رماده ليثلج عليه (158) ، وللوشم استخدام كبير في عصر ما قبل الإسلام ونجده كثيراً في شعر قبل الإسلام ، فهذا طرفة يقول :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لاتهلك اسى وتجلد (159)

وقول زهير بن ابي سلمى

يلحن كانهن يدا فتاةٍ ترجع في معاصمها الوشوم (160)

وللثة نصيب من الوشم في عصر ماقبل الإسلام قال النابغة :

تجلو بقادمتي حمامة ايكة برداً اسف لثاته بالاثمد (161)

وعرفت المرأة قبل الإسلام اصباغاً في تلوين البشرة ، ماذكر فيها خليط يتضمخن به ليكسب وجوهن حمرة واشراج ، وقيل ان هذا الخليط لم تكن تستعمله الا ذوات العز والثراء ، وقد سمت العرب اولئك النساء بالعواتك (162) ، وكانوا يعجبون بوسوسة الحلي ويستمد النابغة ان الحلي يستمد لآلآه من بريق ترائبها بقوله:

ترائب يستضيء الحلي فيها كجمر النار بذر بالظلام (163)

ويروى ابن سعد وكان لاثرياء مكة ويثرب والقرى يلبسون الملابس الفاخرة المصنوعة من الحرير والخز ، ويلبسون النعال الجيدة ، ويتعطرون بعطور غالية الثمن ، ويركبون الدواب المطهرة مبالغة في التباهي (164)، وفضلاً عن استخدام العطور لاغراض الزينة ، فقد استخدمت في اغراض اخرى كاستخدامها في الطقوس الدينية عند الالهة ، او التطيب للحرب يقول زهير بن ابي سلمى :

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (165)

ان ام منشم امرأة كانت تبيع الحنوط وتبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا حرباً غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بان يستميتوا في الحرب (166) ، وكان لهم اهتمام واسع بالطيب والعطور وقد استعملوا الانواع الفاخرة ، وكان من بين اهل مكة من اشتغل بتجارة العطور مثل ابو طالب بن عبدالمطلب (167) ، والحنظلية ام

ابي جهل بن هشام [168] وكانوا يكثرون من وضع المسك على رؤسهم وكان اكثر الاغنياء يكثرون من التطيب بالعطور ذات الاثمان الغالية [169].

وفي الشعر العربي الكثير مما يشير الى ذلك ، ففي معلقة امرئ القيس يصف ام الحويرث وام الرباب قائلاً :

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل [170]

والى ذلك يشير المرار بن منقذ قائلاً :

عبــق العنــبر والمســك بهــا فهــي صــفراء كعرجــون العمــر
وهــي لــو يعصــر مــن اردانهــا عبــق المســك لكــادت تنعصــر [171]

ومن عاداتهم التكحل ، والتكحل عادة منتشرة عند جميع العرب قبل الإسلام رجالاً ونساءً وفي كل جزيرة العرب ، وكانوا يتطيبون بالطيب والعطر [172]، وبهذا الخصوص كان من عاداتهم اذا زاروا ملكاً او سيد قبيلة او عظيماً لبسوا احسن ماعندهم من لباس وتزينوا باجمل زينة يعرفونها ومنها التكحل ولبس جبب الحبرة المكففة بالحرير [173].

عموماً فان هذه الزينة والملابس والحلي التي كانت تزين المرأة وتحليها، دليل على اعتزاز المرأة في نفسها واعتزازها على ذويها ، ودليل على ان قلب جزيرة العرب كان وثيق الصلة باطرافها وبالممالك المجاورة وكان ارتداء الكسا الفاخرة والتزين بالحلي الغالية النادرة من حظ النساء الثريات المترفات ، ان هذا يشعر بعلو مكانتهن وعظم تقديرهن [174]، وقد اهتمت المرأة العربية عموماً بالحلي والمصوغات الذهبية اكثر من اهتمامها في بالملابس ، وكانت الزينة تعني الافراح الدائمة ، لذلك هي لاتخلع الا في الاحزان والنكبات ، وفي هذه الحالة مثلاً تلبس لبساً خاصاً بالحزن ، زد على ذلك فلم تكن مثلاً ملابس النساء تلبسها جميع النساء بل كان يؤخذ بالحسبان الاعمار، فقد لبست المرأة مايسمى (بالمدرغ) وكان يخص النساء الكبيرات في السن ، اما الفتيات فلبسن (المجول) وهما قميصان لاكمام لهما ، وتلبس النطاق ايضاً حيث

يشد في وسطها وترخي اعلاه على نصفه الاسفل ، اما المريلة او المبدع وهو كالنطاق تلبسه المرأة فوق ملابسها للحفاظ على ملابسها الثمينة (175).

رابعاً : الغناء والموسيقى

اصل الغناء من التغني لذلك قالوا تغنى بالشعر وفلان تغنى بفلانة اذا قال فيها شعراً ، وفي حديث عائشة رضى الله عنها عندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث أي تنشد الاشعار التي قيلت يوم بعاث ، وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء (176).

ومن يعني بدراسة الحياة العربية قبل الإسلام يلاحظ كثرة النصوص التي تدل على انتشار الغناء وذيوعه في كل مكان من الجزيرة العربية ، ويكاد لايقرا ديوان شعر قبل الإسلام لشاعر مهم الا ويجد فيه ذكر الشراب والغناء (177) ، ولعل ما يدل على ذلك تعبيرهم نجدهم يعبرون عن انشاد الشعر بالغناء ، ففي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه للنابغة الجعدي انه قال له "اسمعني بعض ما عفا لك عنه من غنائك ، يريد من شعرك" (178).

فالشعر والغناء كانا مرتبطين في عصر ماقبل الإسلام ، وكانا يتخللان حياة العرب في سلمهم وحربهم ، ومما يشهد على ذلك من بعض الوجوه "ان القبيلة من العرب كانت اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس ويتباشر الولدان ، لانه حمية لاعراضهم ، وذب عن احسابهم وتخليد لماثرهم واشادة بذكرهم" (179).وكان الحداء لدى العرب مثل الغناء ، فكان الحداء اول السماع والترجيع في العرب ثم اشتق الغناء من الحداء وتحن نساء العرب على موتاها ، ولم تكن امة من الامم بعد فارس والروم اولع بالملاهي* من العرب (180).

ان هذا الحب للغناء كان عاماً في بلاد العرب ، ولم تكن مكة شاذة على هذا الذوق ، بل كانت مبرزة في هذا الجانب بحكم مافيها من ثراء ومال ، ووجود سوق عكاظ بجوارها حيث كانت ملتقى لذلك ، فضلاً عن ذلك كان العرب يرقصون

اطفالهم بالغناء اعتقاداً منهم بان الغناء يريح النفس ويشعرها بالراحة ، وبهذا الخصوص يذكر المسعودي [181] "والطفل يرتاح الى الغناء ، ويستبدل ببكائه ضحكاً" ، وكانوا يبكون موتاهم بالنواح [182] ، وتغنت العربيات في مجالس لهوهن وانسهن وفي اعراسهن ، وقد اشتهرن قيان يثرب بجمال اصواتهن وحسن غنائهن [183] ، وكانت العرب ترى في الغناء ضرورة لابد منها في جلساتهم وافراحهم واحزانهم اعتقاداً منهم بان الغناء يرق الذهن و يلين العريكة ، ويبهج النفوس ويسرها ويشجع القلب [184] ، وقد ورد في اشعار العرب قبل الإسلام اشارة الى انواع الالات التي كانت مستخدمة في مجالسهم ، فقد ورد ذكر لثلاث الات ، الاوتار ، والات النفخ ، والات الضرب ، وكان من اوفرها حظاً من الذكر الاوتار ، واشهرها العود ، واطلقوا عليه اسماء مختلفة فمن اسمائه المزهر وفخرت الحجاز بانها منبت الموسيقى [185]، وورد في شعر امرؤ القيس الذي قال :

لها مزهر يعلو الخميس بصوته   اجش اذا ماحركته اليدان [186]

ومن اسمائها الكران، ورد ذكرها في معلقة امرؤ القيس قائلاً :

وان امسى مكروباً فيارب قينةٍ   منعمة اعملتها بكران [187]

وسميت الموتر ، يقول لبيد بين ربيعة :

وصبوح صافية وجذب كرينة   بموترٍ تاتاله ابهامها [188]

واما الات الضرب فقد ورد ذكر الطبل والدفوف والصنوج والمزاهر والطنابير والكرينة ، وهذا مزود بن ضرار يقول :

اجش صريحي كان صهيله   مزاهير شرب جاوبتها جلاجل [189].

وكانت بيوت مكة تزدحم بالقيان ، وكانوا مشهورين بالنصب وهو لون من الغناء الديني ، وكان شائعاً في حفلاتهم حول الاوثان [190] ، وعرفت مكة ايضاً نوعاً اخر من الغناء يعرف بالغناء الخفيف وهو ما كان يطلق عليه الهزج ويستعمل

عادة في الافراح وحفلات الزواج [191].لقد كانت مكة مركز الوثنية قبل الإسلام ، ولابد انهم كانوا يرتلون وينشدون بعض الاناشيد في اثناء حجهم وافاضتهم ، ومما يروى انهم كانوا يرتلون "اشرق ثبير كيما نغير" [192] . وفي الحروب كانت النساء ينشدن اناشيد حربية لتحميس الجيش ، فكانت هند بنت عتبة وجماعة من نساء قريش كن يضربن على الدفوف في غزوة احد ، وكانت هند تنشد الشعر وكن يردن عليها ، وكان من الفنون الخاصة بالنساء قبل الإسلام واشتهرت فيها هند بنت عتبة النواح وندب الموتى [193]. ويرى فارمر ان حرية النساء على مايبدو تكاد تساوي حرية الرجل ، فكانت نساء القبائل تساهم في موسيقى اعياد العشيرة بأغانيهن وتلك عادة بقيت حتى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي احيا زواجه بخديجة باعظم الفرح والطرق والولائم [194].

ان الغناء في مكة في هذه الحقبة لم ترسم له قواعد ، وانما كان المغنون والمغنيات والقيان كل يغني بحسب ذوقه وميوله وعواطفه اذ كان العرب لايزالون اقرب الى الفطرة في كل فنونهم [195]، اما في يثرب التي كانت احدى مواطن الغناء ومعدنه الهامة في هذه الحقبة،اذا ما اعتمدنا في حديثنا على ماذكره ابن عبد ربه [196] قائلاً "انما كان اصل الغناء ومعدنه في امهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً وهي يثرب والطائف وخيبر ووادى القرى ودومة الجندل واليمامة"، ومن هنا فليس غريب ان نسمع ان الرسول صلى الله عليه واله وسلم حين قدم المدينة يثرب مهاجراً استقبله اهلها من الانصار استقبالاً حافلاً وقد الف نساؤهم مايشبه الجوقات اذ كن يغنين جماعات بالدف والالحان، وفي خبر عمر بن الاطنابة الخزرجي انه دعا بشرابه وقيانه فتغنين له بقوله :

عللاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريا

ان قينا القيان يعزفن بالدف لفتياننا وعيشا رخيا [197]

ويعبر عن الاستماع الى الغناء والانصات لصوت المغني السماع ، اذ يحدث السماع طرباً في النفس ، ويذكر ابن قتيبة "انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة

السرور او لشدة الجزع "[198] ، وقد صار لكلمة (السماع) معنى خاصاً في الإسلام ، اذ حولت الى سماع الترانيم الدينية في الغالب ، لذلك لم ينظر اليها نظرة الناس الى الغناء [199] .

وبعدما عرفنا ان الغناء كان شائعاً في يثرب ، يرى الدكتور شوقي ضيف ان اغلب الظن كانت هناك دور خاصة به فقد كان القوم يشغفون بالغناء وكان يوجد في حياتهم العامة ، كما كان يوجد في حياتهم الخاصة [200]، بعد ذلك اردنا ان نلقى الضوء في مجالس الغناء من مجالس خاصة او عامة التي كان العرب قبل الإسلام يعقدونها في بيوتهم او في الحانات ، واول مايبدو في هذه المجالس اجتماع الغناء والشراب وكانما كانت الخمر امراً لابد منه لاطراح الهموم ومشاغل النفوس ، وقلما نجد ذكراً لمجلس غناء الا وجدنا معه ذكراً للندامى ، ووصف زهير بن ابي سلمى هذه المجالس بقوله :

يجرون البرود وقد عشت   حميا الكاس فيهم والغناء [201]

وهذا ضرار بن الازور حينما وفد على النبي صلى الله عليه واله وسلم فبايعه واسلم وكان حريصاً على ان يجمع في شعره بين الغناء والشراب ويعلن توبته عنهما قائلاً :

خلعت القداح وعزف القيان   والخمر تصلية وابتهالاً [202]

ومن اوضح مظاهر الترف والحضارة هذه العناية التي كانت تشيع في اعداد تلك المجالس اعداداً يقوم على تخير الورود والرياحين ونثر العطور والمسك ، مما يضفي غلالة من السحر والروعة [203].

وقد وصف حساناً مجلساً من مجالس جبلة بن الايهم قبل الإسلام قائلاً " وكان اذا جلس للشرب فرش تحته الاس والياسمين واصناف الرياحين وضرب له العنبر والمسك في صحاف الفضة والذهب ، واتي بالمسك في صحاف الفضة واوقد له العود المندى اذا كان شاتياً "[204] .

خلاصة القول ان المجالس التي كانت تعقد في قصور الامراء كانت مجالس انيقة يرتدى فيها الثياب الخاصة وتستعمل فيها الانية الفخمة ويقوم على خدمة الشرب فيها مختصون حذقوا اداب السلوك ، ويلاحظ المرء ان الموسيقى كانت ركناً اساسياً من اركان مجلس الشراب ، واذا كانت مجالس الامراء والسادة تعقد في قصورهم ، فان العامة كانت تشرب في حوانيت يديرها اشخاص يطلق عليهم اسم الخمارين او النباذين ، وبما ان الإسلام يحرم على المسلم شرب الخمر وبيعه والاتجار به ، فقد كان كل خماري هذه الحقبة التي نتناولها من النصارى واليهود والمجوس ، زيادة على ذلك ان الكثير من المسلمين قد شربوا الخمر وجلسوا في مجالسها فان احداً منهم لم يتجر بها او يكتسب من بيعها وخدمة شاربيها (205) ، ووصف طرفة بن العبد هذه المجالس قائلاً:

فان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تقتنصني في الحوانيت تصطد

ومازال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وانفاقي طريقي وتلدي

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومجسد (206)

لقد حفلت مكة قبل الإسلام بفن اللهو وان موجة حادة من الغناء اكتسحت مجالسها العامة ومتنزهاتها وبيوت الاغنياء ، وليس ادل على ذلك كما ذكرنا كلمة حسان بن ثابت وفيها يقول ان جبلة بن الايهم كان يستدعي لمجلس انسه من يغنيه من مكة (207)، لقد تغنى العرب في كل المناسبات البهيجة وضربوا على الات الطرب ، ومن هذه المناسبات الزواج او العودة من الاسفار ، وكانوا ينذرون انه من يحقق مطلباً لهم فانهم يقيمون مجلس طرب يتغنى فيه ، كمناسبة شفاء من مرض او عودة من حرب ، كما استعملوها في الحرب لتنشيط المقاتلين وتحريضهم على القتال ، كذلك استعمل في الختان وفي العقيقة والولائم (208) ، لقد شكل هذا الفن حضوراً ضرورياً على المستوى الاجتماعي والديني فضلاً عن ذلك لم يقتصر الغناء على العبيد والقيان بل ان عدداً من رجال مكة كانوا يجيدون الغناء كالنضر بن الحارث وابي

لهب ، ومنهم من يغني ويضرب على العـود ، وعرفـوا بقيـة انـواع الالات الموسـيقية كالمزمار والدف والمزهر وغيرها (209)، ويذكر "ان اول من غنى الغناء العربي بمكـة ابن مسجح مولى بني مخزوم ذلك انه مر بالفرس وهـم يبنـون المسـجد الحـرام فسـمع غناءهم بالفارسية فقلبه في شعر عربي" (210)

اما الرقص فهو وجه من وجوه التفـريج عـن الـنفس يرقصـون في المناسـبات والافراح وقد يكون ذلك هو الذي حمل علماء اللغة على تفسير الرقص انـه ارتفـاع وانخفاض (211) ، قال اوس بن حجر :

نفسي الفداء لمن اداكم رقصاً   تدمى حراً قفكم في مشيكم صلك (212)

فضلاً عن ان الرقص كان من اختصاص الشباب دون الشـيوخ اعتقـاداً مـنهم عدم ملائمة الرقص مع جلالة السن ، وكان اهل مكة وغيرهم من اهل الحجـاز ، اذا ارادوا الاحتفال بعرس او ختان او ايـة مناسـبة اخـرى مفرحـة اضـطروا الحـبش (213)للرقص والغناء على طـريقتهم الخاصـة ، ويعـد الـرقص عنـد العـرب قبـل الإسلام من جملة الشعائر الدينية ، ولايستبعد ان يكون العرب قبل الإسـلام رقصـوا لالهتهم في المناسبات الدينية تعبيراً عن شكرهم للالهة (214) ، عموماً فان معلوماتنا عن الرقص في تلك الحقبة تبقى قليلة او قد تكون شحيحة فان ما احرزته الحجـاز في هذا المجال لايصل الى ماوصلت اليه المدن الاخرى وبمسـتوى مـا احرزتـه بقيـة المـدن كالحيرة وغسان (215).

خامساً :الاعياد

كان الشعور الجماعي عند العرب قبل الإسلام اقوى منه مما كـان عنـد الامـم الاخرى ، والتي كانت ضرورات الحياة ، ترغمها على الحياة مجتمعـه، وتفـرض علـى كل فرد منها ان يقدس جماعته ولايحس بكيانه الفردي ، هذا الشـعور الجمـاعي كـان الصفة الغالبة على المجتمع العربي قبل الإسلام ، ومن مضامين هـذا الشـعور العيـد ،

والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح ، وقال ابـن الاعرابـي : العيـد لانـه يعود كل سنة بفرح مجدد [(216)].

ان قيام كل قبيلة باعيادها وطقوسها يعمل علـى تماسـكها ويشـعرها بوحـدتها ويقدم لها المجال لدوام وتقوية الاتصال الاجتماعي لضمان وحـدة القبيلـة وان القيـام بكل هذه العادات التي هي من صنع الافراد كان امراً ضرورياً ، وكان للعـرب اعيـاد يحيون فيها العصبية ، بما يفاخرون به من احساب وانسـاب ويتنافسـون بـه مـن عقـد اسواق من اجل المديح والثناء ، ومنها اعمال فيعد ذلك من العبادات ، وقـد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً ، فهـي ايـام مسـراتهم وافـراحهم لظفـرهم علـى عدوهم ونصرتهم ، فيتفق في يوم عيد القوم وسرور، وهـو لاخـرين حـزن وبـؤس ، وكان لاهل يثرب يومان يلعبون فيهما فلما قدم الرسول صلى الله عليه واسه وسـلم الى المدينة (يثرب) قال لهـم "وقـد ابـدلكم الله تعـالى بهمـا خـيراً منهمـا يـوم الفطـر والاضحى" [(217)] ومايصنعونه في اعيادهم ومواسمهم انهم يتزينون باحسن الثياب والملابس الفاخرة ويتسابق الفرسان على الخيل ويلعـب الاجـواد بالميسـر ويضـربون بالدفوف ويتغنون بابيات من الشعر وكانوا يفرحون جميعاً لاجتماع شملهم في ظروف امن وسلام [(218)]، وهذه الاعياد تكاد تكون عامة لدى العرب قبل الإسلام ، اعياد خاصة يحتفل بها العرب نوجزها على النحو الآتي :ـ

1.الختان :

وهو من الاحتفالات الدينية التي كان يمارسها العرب قبل الإسـلام وانتشـرت هذه العادة الصحية بين معظم قبائل جزيرة العرب ولم يقتصر اهل مكـة علـى تخـتين الذكور فقط بل ختنوا الاناث ، وعيروا الاغرل الذي لم يختن [(219)] ، اذ يقـدم فيـه الصبي جزءاً من لحمه ودمه قرباناً الى الهته فعد من اهم العبادات ، وكـان هـذا اليـوم يلقي من احتفالهم ماتلقاه الايام ، فروي عن ابـن عبـاس "خـتن بنيـه وارسـل يـدعو اللعابين فلعبوا فاعطاهم اربعة دراهم" [(220)].

والرجل الذي لم يختن كان يلقى الكثير من التسميات منها اقلف او اغلف او اغرل ، فقد كان العرب قبل الإسلام يعدونه ناقصاً ، وكان العرب يعتقدون ان الغلام اذا ولد في ليلة قمراء ارتد قلفته وصار كالمختون ، وتذكر الروايات ان الشاعر امرؤ القيس كان قد دخل مع قيصر الحمام فرآه اقلف فقال في ذلك :

اني حلفت يميناً غير كاذبة لانت اقلف الا ما جنى القمر

اذا طعنت به مالت عمامته كما تجمع تحت الفلكة الوبر (221)

2.الخفض :

مارس الخفض بعض نساء العرب المختصات ، وتدعى من تتولاه الخافضة وتدعى ايضاً المبظرة (222)، وكان الغاية من الخفض تقليل غلمة النساء فيكون العفاف عليهن مقصوراً ويروى ان ام سباع كانت قابلة بمكة (223)، وكانت اول امرأة خفضت هاجر ام اسماعيل عليه السلام (224).

3. حلق العقيقة *

في اليوم السابع للمولود كانوا يحتفلون بحلق عقيقة ، وهو الشعر الذي ولد به ، وكانوا يذبحون عنه كبشاً او شاة ويأخذون صوفه منها ويستقبلون بها الدم المتدفق من اوداجها ثم يضعوها على رأس الطفل ويلطخون راسه حتى يسيل الدم ثم يحلقون شعره ، واستمرت هذه العادة في الإسلام ، فيروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "يوم ولد الامام الحسن عليه السلام ، فلما كان سابعه عق عنه النبي صلوات الله عليه وعلى آله وسلم بكبشين املحين ، فاعطى القابلة فخذ كبش وحلق رأسه وتصدق بوزن الشعر وطلى رأسه بالخلوق ثم قال يااسماء ، الدم فعل الجاهلية" (225)، وبالرغم من ذلك فقد بلغ بعض العرب مبلغ الرجال دون ان تحلق عقيقتهم ولكن يبدو ان المجتمع كان لايرضى عنهم وينظر اليهم نظرة ازدراء ، فيصف امرؤ القيس احدهم بالحمق والضعف والقذرة فيقول :

ياهند لاتنكحي بوهةً عليه عقيقته احسبا (226)

ومما هو جدير بالذكر ان العرب احتفلوا بالمولود الذكر ، وبدأت هذه الاحتفالات منذ اليوم الاول له ، اذ كان يستقبل بلون خاص من الطقوس الدينية ، فكان يؤخذ الى الكاهن قبل الإسلام لحنيكة أي دلك داخل فمه بالتمر الممضوغ وهي عادة غير مقصورة على العرب وحدهم ، بل كانت شائعة عند كثير من الامم ، وفي الحقبة اللاحقة في الإسلام ابتكر الاذان في اذن المولود [227].

سادساً : الاحزان

اذا كنت قد تحدثت عن الافراح وما رافقها من ممارسات في حياة العرب قبل الإسلام ، فلابد من التحدث هنا عن الاتراح والاحزان عندهم وماكانوا يفعلونه عند نزول مصيبة او وقوع حادث محزن مفجع ، فمن المعروف عن العرب عامة ان الحزن يلعب دوراً كبيراً ، من خلال المبالغة في اظهاره عندهم .

والحزن : الهم وقيل خلاف السرور ، وقد فرق بعضهم بين الهّم والحزن وقال بعض اللغويين : الغم الحاصل لوقوع مكروه ويضاده الفرح ، وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العام الذي ماتت فيه السيدة خديجة وعمه ابو طالب (عام الحزن) وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، لما اصابه فيه من هم وغم [228] ، ومن شعائرهم التي يظهرونها للناس لاشعارهم بانهم مصابون بالالم والحزن لبس ملابس خاصة تكون شعاراً خاصاً بالحزن [229] ، وذر الرماد او التراب على الرأس او تلطيخ الرأس والوجه بالطين ، وترك الشعر ينمو بلا حلق ولا اجراء تعديل اظهاراً للحزن على الميت ، وكان من شأن تركها او اهمالها في نظرهم معيب ومنقصة على المفجوع وعلى اصدقائه ، وعلى آله على حد سواء ، ثم هي تقاليد لابد من مراعاتها والمحافظة عليها [230] .

وقد ورد في الحديث "لا اسعاد ولا عقر في الإسلام" [231] "وهو اسعاد النساء في المناحات تقوم المرأة فتقوم معها اخرى من جاراتها فتساعدها على النياحة ، ان نساء العرب قبل الإسلام كن اذا اصيبت احداهن بمصيبة فيمن يعز عليها بكت

حولاً ، واسعدها على ذلك جاراتها وذوات قراباتها فيجتمعن معها في عداد النياحة واوقاتها ويتابعنها ويساعدنها مادامت تنوح عليه وتبكيه ، فاذا اصيبت صواحبها بعد ذلك بمصيبة اسعدتهن "(232).

وكانت للمرأة عند العرب اذا ناحت قائمة على زوجها علم انها لاتريد ان تتزوج بعده (233)"وقد يستعار الموت للاحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية "(234)، ويكون الاعلان عن موت شخص بالبكاء وبالنعي ، ويتوقف ذلك على قدر منزلة الميت ومكانته الاجتماعية ، ويعد نعي الميت وشق الجيوب من وسائل التقدير والاكرام وتبجيل الميت ، لذلك كانوا يوصون قبل موتهم بنعيهم للناس نعياً يليق بهم ، فقد ذكر ان طرفة بن العبد خاطب ابنة اخيه بهذا البيت:

فان مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب ياابنة معبد (235)

وكذلك فعل لبيد فقى اوصى ابنتيه بهذه الوصية لما حضرته الوفاة :

تمنىّ ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر (236)

وكان اهل الجاه والغنى والاشراف يستأجرون النائحات للنياحة على الميت في بيته وخلف نعشه الى القبر وفي مأتمه ، واعتادت قريش اعلان الحداد ويقتضي ذلك غلق اسواقهم وحوانيتهم عند موت سيد من علية القوم واكابرهم اعظاماً وتقديراً ، فلما مات عبدالمطلب بن هاشم ناحت عليه نسوة آل عبد مناف وجززن شعورهن وشق صغار الاولاد قمصانهم وغلقت الاسواق في مكة اياماً كثيرة حزناً على وفاته وحداداً (237). وكان في الطائف اذا مات بها احد لم يحمل جنازته الا الشبان وهم يتداولون بالنعش (238).

وقد يمتد نعي الميت ورثاؤه حولاً كاملاً ، وهي مدة عزاء العرب قبل الإسلام وكانوا يعقرون على القبور الابل ، فيربطون الناقة معكوسة الرأس الى موخرها ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ، اعتقاداً منهم بانها مكافأة للميت واعظاماً ، وكانوا يذبحون للاصنام ، واحتجوا بقول الشاعر :

واتضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخا دم وذبائح [239]

ونعتقد ان عقر الابل على القبور ، فضلاً عن انه تكريم للميت ، فانه اشهار للفضيلة بين الناس وتباهياً بما نحره بنوه على قبره من ذبائح لاطعام الفقراء . ولم تكن العرب تندب قتلاها ولاتبكي عليهم حتى يثأر بها ، فاذا قتل قاتل القتيل بكت عليه وناحت [240]، وكانوا يغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم ان يحمل الميت على سرير ثم يقوم وليه فيذكر محاسنه كلها ويثني عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن [241]، وقد ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى "وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم" [242] وقال الاعشى :

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يارب جنب ابي الاوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي يوماً فان لجنب المرء مضطجعا [243]

وقد كانت قريش تضع الكافور على الميت ، وهي عادة استمرت في الإسلام ايضاً ، ولم يكن النعش معروفاً عند العرب قبل الإسلام ، وان اول من عمل له النعش السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في الإسلام ، وقد قلد في ذلك اهل الحبشة الذين كانوا يضعون نعوشاً لموتاهم [244]، ووصف احد الشعراء القبر وحافره قائلاً :

وقد ارسلوا افراطهم فتاثلوا قليباً سفاها كالاماء القواعد [245]

وكان من عادة العرب قبل الإسلام حمل ملوكهم على الاعناق من مكان الى مكان اذا هو مرض ، اما لكبره او ليعلم الناس بالامر فيدعون له بالشفاء كما في قول النابغة الذبياني :

الم تر خير الناس اصبح نعشه على فتية قد جاوز الحيّ سائرا

ونحن لديه نسأل الله خلده يرد لنا ملكاً وللارض عامراً [246]

ويسمى من يقوم بحفر القبور (الجبانة) وعرف القبر بـ (الجدث) [247]، ويقال للميت عند وضعه في قبره لاتبعد ، والى هذا المعنى ورد في شعر مالك بن الريب المزني :

يقولون لاتبعد وهم يدفنوني   واين مكان البعد الا مكانيا [248]

ويتضح من النص السالف انه وان ذهب عنهم ، سيكون دائماً معهم وفي قلوبهم ولعل هذا التفكير هو الذي حملهم على اخراج حصته مما يأكلونه ويشربونه يسمونها باسم الميت ، وعلى زيارة قبور الموتى والجلوس عندهم ، لاعتقادهم بان روح الميت في رأيهم حية لاتموت [249].

وقد بالغ الاغنياء بتكفين موتاهم فيروى "ان عبدالمطلب لف في حليتين يمانيتين ثمينتين" [250] ، وكانوا يضعون الحنوط [251] في اكفان الميت وملابسه ليطيب به جسمه وليحفظه مدة طويلة ، ويعجل العرب بدفن موتاهم ، والتعجيل بدفن الميت من الضرورات التي اقتضتها طبيعة الجو ، فحرارة الجزيرة العربية لاتساعد على بقاء جسد الميت مدة طويلة والا تعرض للفساد [252].

وقد عرف العرب القبر ، وقد عرف اهل اللغة القبر "مدفن الانسان وجمعه قبور" [253]، وكان اهل مكة قبل الإسلام وفي صدر الإسلام يدفنون موتاهم في شعب ابي دب [254]،وفي روايات اخرى ان المعلاة كانت مقبرة المطيبين خاصة بهم دون غيرهم قبل الإسلام ، وفي الشبيكة مقبرة الاحلاف [255] .

وللتعبير عن الحزن لبس اهل الميت ملابس الحزن حولاً كاملاً ، واللونان الابيض والاسود هما اللونان اللذان يتخذ منهما الملابس في الحزن ، ويذكر الوشاء [256] ، ان اللون الابيض هو شعار الحزن في الحجاز ، اما اهل اللغة فلهم رأى اخر اذ يعدون الثياب السود ثياب المأتم [257].

سابعاً : المثل الخلقية عند العرب قبل الإسلام :

أ. الضيافة :

تعد من الخصال الحميدة عند العرب ، فهي عرف اصيل من اعراف العرب قبل الإسلام وقد كانت درسأمن الدروس التي لقنتها الطبيعة ان صح التعبير للانسان العربي وعلمته ممارستها ظروف حياته ، فضلاً عن ان الكرم سجية من سجايا العرب

عرفوا بها على مر العصور ، وكانت على الاعم الاغلب قطب الرحى في مدائح الشعراء لانها راس المزايا التي يتجلى بها الانسان وعنها تتفرع المزايا الاخرى التي سوف نتطرق اليها ، زد على ذلك فان الكرم والضيافة وسيلة السيادة والجاه ، ويصفها حاتم الطائي قائلاً :

يرى البخيل سبيل المال واحدة ان الجواد يرى في ماله سبلا

ولاتقولي لمال كنت مهلكه مهلاً وان كنت اعطي الجن والخبلا

لاتعذليني على مال وصلت به رحماً وخير سبيل المال ما وصلا [258]

وقد عبر عن الكرم بالجود والسماحة والندى وسمي الكريم جواداً او سمحاً ونعت بالدسيعة تشبيهاً بالبحر الخضرم وهو المال الكثير [259] يقول امية بن ابي الصلت:

المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات [260]

والضيافة مظهراً جيلاً من مظاهر الحياة الاجتماعية عرفوا بها ونسبت اليهم وقالوا الضيافة العربية تمدحاً بها ، وثناءً عليها ، والضيافة غير الكرم لان الكرم لايقوى عليه الا المياسير ، اما الضيافة فمفروضة على كل فرد بما ملكت يداه ، واصبحت سجية عند العرب قل او كثر ، ومن قصص الضيافة التي تضمنت شيئاً من ادابها ما رواه ابي الفرج الاصفهاني من قصة ثأر شاعر (قيس بن الخطيم) قبل الإسلام [261] ، وكان من عادة العرب الاجواد ايقاد النار في الليل ليراها الغريب والجائع من مسافة بعيلة فيفد اليها حيث يجد من يقربه ويقدم له مايحتاج اليه من طعام ، وقد اطلقوا على هذه النار (نار القرى) ونار الضيافة ، كانوا يوقودونها في الاماكن المرتفعة لتكون اشهر [262]. قال الاعشى :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين تصطليانها وبات على النار الندى والمحلق [263]

وكانوا يقدونها على المرتفعات لتكون ابين واوضح ، وربما اوقدوها بالمندل الرطب ، وهو عطر ينسب الى مندل ببلد الهند ونحوه مما يتبخر به ليهتدي اليه العميان (264)، وهذا مظهر من مظاهر الترف والمقدرة بالثراء ، قال عدي بن زيد ان ناره كانت تحرق الشحر الطيب الرائحة :

رب نار بت ارمقها تقضم الهندي والغارا (265)

والعرف عند العرب ،ان الضيافة ثلاثة ايام وثلاث ليال وبانتهائها يسقط حق الضيافة من رقبة المضيف ، وقد عبر عن منزلة الضيف بعبارات (بيتي بيتك) وعلى الضيف بالطبع ان يتادب بأدب الضيافة فيصون حرمة بيت مضيفه (266)، ولقد بالغ العرب قبل الإسلام بمظاهر الضيافة من خلال الحفاوة والتعهد له حتى صاروا كالعبيد ، والى ذلك قال حاتم :

اخا طارقاً او جار بيت فانني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي

واني لعبد الضيف مادام ثاوياً ومافي الا تلك من شيمة العبد (267)

وبلغ من كرم العرب ان بعضهم كان يؤثر المحتاجين على نفسه وولده ، فضلاً عن فخرهم بسعة الجفان ، مما يدل على كثرة الآكلين ، ولدينا في الشعر العربي قبل الإسلام الكثير من الابيات الشعرية تصف ذلك ، فهذا امية بن ابي الصلت يمدح عبدالله بن جدعان قائلاً :

له داع بمكة مشمعل وآخر فوق دارته ينادي

الى ردح من الشيزى ملاءٍ لباب البر يلبك بالشهاد (268)

وكانوا اذا اقبل الضيف فرحوا به واعزوه ، وقد افتخروا بتقديمهم للضيف اشهى مايملكون ، ومن صنوف الحفاوة بالضيف ان يتلقاه المضيف ببشر وايناس ، والتبسيط معه في الحديث قال عروة بن الورد :

فراشي فـراش الضـيف والبيـت بيتـه   ولم يلـــهني عنـــه غـــزال مقنـــع

احدثـــه ان الحـــديث مـــن القـــرى   وتعلـم نفسـي انـه سـوف يهجـع (269)

وتذكر الروايات ان كعب بن مامة الايادي وهو من اجواد العرب قبل الإسلام انه هلك بسبب جوده ، فقد مات عطشاً لانه اعطى الماء غيره (270).

وكان لفصل الشتاء المحك للاجواد ، فهو فصل بـارد ، وتـزول فيـه الاعشـاب فيقصد اهل الجود والسخاء الذين كانوا يـدنون النـاس الـيهم ويطعمـونهم فيقتلـون بذلك جوع الشتاء ، لهذا عرفوا بـ (قاتل الشتاء) (271)، قالت الخنساء التي ترثـى اخاها صخراً :

وان صـــخراً لوالينـــا وســـيدنا   وان صـــخراً اذا نشـــتوّا لنحـــار

وان صـــخراً لمقـــدام اذا ركبـــوا   وان صـــخراً اذا جـــاءوا لعقـــار (272)

وكنوا عن كرم الرجل بجبن كلبه ، لانه اذا ما رأى الغرباء كف عن النباح يقول حسان بن ثابت :

يغشون حتى ماتهر كلابهم   لايسألون عن السواد المقبل (273)

وقد افتخر الشعراء بالكرم وآثروا غيرهم على انفسهم وكانوا يخافون ان يقـال عنهم (اشحاء) قال الشمخي الفزاري :

الم تعلمـــي يـــاعمرك الله انـــني   كـــريم علـــى حـــين الكـــرام قليـــل

وانـــي لاخـــزى اذا قيـــل مقـــتر   جـــواد واخـــزى ان يقـــال بخيـــل (274)

ومن كرم العرب وسخائهم على الارامل واليتامى والسائلين ، قـال اوس بـن حجر :

ابا دليجة من يوصي بارملة ام من لاشعث ذي طمرين طملال (275)

وكانت لهم تجربة سابقة استقوها من تجاربهم ، فهم لايرون مدعاة للبخل لان المال الذي سيخلفونه سيرثه غيرهم ، لذا اوصى حاتم الطائي الاغنياء ان ينفقوا اموالهم في الكرم وفي هذا المعنى قال :

اهن للذي تهوي البلاد فانه اذا مت كان المال نهباً مقسماً

ولا تشقين فيه فيسعد وارث به حيث تخشى اغير اللون مظلما

يقسمه غنماً ويشرى كرامةً وقد صرت في خطٍ من الارض اعظما

قليل به ما يحمدنك وارث اذا ساق مما كانت تجمع مغنما (276)

وهناك الكثير من التسميات التي اطلقها العرب على الكرماء منهم ، فسموا ازواد الركب ، وسموا بالاجواد ، وسموا بالمطعمين (277).

نعتقد مما تقدم ان العرب وماوصلوا اليه من الكرم والضيافة لم تصل اليه اية امة من الامم ، فهم ورثوها من ابينا ابراهيم عليه السلام فهو اول من قرى الضيف ، وقد اثنى عز وجل على اكرام الضيف بقوله تعالى "هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تأكلون" (278)، وكان اهل الحجاز اذا نزل بعضهم ضيفاً ذبحوا له او نحروا له ، فاذا سافر منهم لطخوا طرفي سنام بعيره بدم ماذبحوه على شكل المثلث ايذاناً بانه من الرجال المعتنى بشأنهم بين قبائل العرب ومن الاماجد الاعزاء . (279)

ان شيوع الكرم لدى العرب قبل الإسلام وتقديرهم له لاينفي ان بعضهم كان على بخل ، والبخل آفة عرفتها المجتمعات البشرية كلها فهي في نظر عرب قبل الإسلام خروج على الاعراف الاجتماعية التي افرزتها حياة الصحراء وضروراتها التي كانت

تفرض مع كل عربي ان يقدم القرى (الطعام) الى أي ضيف ينزل ، وامتناع العربي من ادائها يجعله عرضة لاحتقار مجتمعه وازدرائه وبخله يلصق به سبة لايمحوها تطاول الايام ، بل ان هذا العار يجاوز الرجل الى قبيلته فيغدو لطخة سوداء في تاريخ هذه القبيلة ، ومن هنا كانت القبائل تتحامى جهدها من ان تعير بهذه النقيصة ببذلها القرى لكل ضيف فهذا عروة بن الورد عير خصمه بالبخل قائلاً :

اني امرؤ عافى انائي شركة وانت امرؤ عافى انائك واحد

اتهزأ مني ان سمنت وان ترى بوجهي شحوب الحق والحق جاهد

اقسم جسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماء بارد (280)

ويروي الجاحظ ان رجلاً حذر بنت عمه من ان تتزوج ببخيل جبان وان قدم مهراً مغرياً قائلاً :

لاتقربي يابنت عمي بوهة من القوم دفناساً غنياً مفندا

وان كان اعطى راس ستين بكرة وحكماً على حكم وعبدا مولدا (281)

وماقيل عن البخلاء قول الاخطل :

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولي على النار (282)

ويرى البعض ان اكثر مايلفت الانتباه لهذه الظاهرة وجودها لدى النساء اكثر منها لدى الرجال ، فمثلاً حاولت امرأة حاتم الطائي ان تغل يده عن العطاء فعصاها لان الكرم عادة راسخة عنده لايستطيع ان يبطلها فانشد قائلاً :

وقائلة اهلكت بالجود مالنا ونفسك حتى ضر نفسك جودها

فقلت دعيني انما تلك عادتي لكل كريم عادة يستعيدها (283)

وقال طرفة :

وانت امرؤ منا ولست بخيرنا جوداً على الاقصى وانت بخيل

فاصبحت فقعاً نابتاً بقرارة تصوح عنه والذليل دليل (284)

ب. الشجاعة :

كانت الشجاعة عند العرب قبل الإسلام مفخرة للعربي وحليته ، واذا حاولنا تقصي حياة العربي منذ طفولته ادركنا ان الشجاعة ولدت معه وانه شب وكبر وهي تسير في دمه ، وكيف لا وقد تربيّ في بيئة تتمدح البطولة والاقدام وحسن البلاء في حماية الديار والاخذ بالثأر ، وقد تنوعت مظاهر الشجاعة فمدحوا الموت في ظلال السيوف ، وهجوا بالموت على الفراش وسموه الموت حتف الانوف قال السمؤال بن عاديا :

وانا لقوم لانرى القتل سبة　　اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموتِ آجالنا لنا　　وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف انفه　　ولاطل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظبات نفوسنا　　وليست على غير الظبات تسيل (285)

وكان من محامد القبيلة ان يكثر في الحروب قتلاها ، وهذا دليل على ان العرب قبل الإسلام قد الفوا الحروب والفتهم ، قال امرؤ القيس :

فأن تدفنوا الداء لانخفه　　وان تبعثوا الحرب لانقعد

وان تقتلونا ثقتكم　　وان تقصدوا لدم نقصد

واعددت للحرب وثابة　　جواد المحثة والمرود (286)

ونجد في الشعر العربي قبل الإسلام آيات اعتذار الشعراء لفرارهم من الحروب فهذا اوس بن حجر فر من جموع بني عبس واعتذر بانه لما شهد الجموع خاف لانهم شجعان ودافع عن نفسه بان فراره اليوم لا معرة ، اذا ان شجاعته مشهورة وبلاءه محمود من قبل :

اجاعلة ام الحصين خزاية　　على فراري اذ لقيت بني عبس

ورهط ابي عمرو وعمرو بن عامر وتيماً فجاشت من لقائهم نفسي

مطاعتي في الهيجا مطاعيم للقرى اذا اصفر افاق السماء من الفرس

وليس يعاب المرء من جبن يومه وقد عرفت منه الشجاعة بالامس (287)

وقول حسان بن ثابت :

ضربناهم حتى استباحت سيوفنا حماهم وراحوا موجعتي من القتل (288)

ولم تتمكن النساء لينحن على قتيل في الحرب لان قتله مجد وشرف ، ولانهن تعودن ان يفقدن اعزاء في الحرب ، ولان النواح عليه ينبيء ان دمه مطلوب قال عمرو بن كلثوم :

معاذ الاله ان تنوح نساؤنا على هالك اوان نضج من القتل (289)

واذا كان الاسد اشجع الوحوش وملكها واعظمها رهبة الحقوا الرجل الشجاع به في جرأته وغلبه ، وكذلك شبهوا الشجاع بالنمر لقوته وبسالته كما في قول امرؤ القيس :

قولا لدودان عبيد العصا ماغركم بالاسد الباسل (290)

ومما لاشك فيه ان هذا الخلق مضافاً الى اخذهم بالثأر كان له بعض الاثر في كبح العدوان ، لان الضعيف مركب الذلول ، قال زهير بن ابي سلمى :

ومن لايذذ عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم (291)

ويصف امرؤ القيس ان الموت في ساحة الحرب اعلى صفات الشجاعة قائلاً :

فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

فلم تغسل جماجمهم بسدر ولكن بالدماء مر ملينا (292)

ج. العفة :

في بيئة تمرس اهلها على الاخلاق الكريمة واعتزوا بالاباء والمروءة ، والشهامة ، والنجدة ، وعلو الهمة ، وكرم الخصال ، وشرف الفعال ، وطيب الخلق ، وشدة البأس ، وقوة المراس ، وحدة الطبع ، والوفاء والحكم ، وقد كان في رجالهم أمثلة حية لهذه الخصال ، وافتخروا بالشرف وكان لابد للرجال والنساء من التعفف ولان الغيرة، والعفة عند العرب قبل الإسلام مقرونة بالسيادة كالشجاعة والكرم ، فالعفة حلية الرجال الكرام والابطال العظام ، وهي من ابرز القيم الخلقية ، التي كان العرب يفخرون بها ويتأمرون من اجلها ، فهذا مثلاً عنترة بن شداد افتخر بانه لم يراود انثى عن نفسها ، فضلاً عن انه يغض طرفه ان مرت به جارته قال :

ماساستحت انثى نفسها في موطن   حتى اوفي مهرها مولاها

اغشى فتاة الحي عند حليلها   واذا غزا في الجيش لاغشاها

واغض طرفي مابدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها (293)

والخنساء ترثي اخيها مشيرة الى عفته واستحيائه قائلة :

لم تره جارة يمشي بساحتها   لريبة حتى يخلي بيته الجار

واحيى من مخبأة كعاب   واجرأ من ابي شبل هزير (294)

والعفة عند علماء اللغة" لغة الابتعاد عن كل انواع المحارم والاطماع الدنية " (295)، اما اصطلاحاً فهي من ابرز القيم العليا التي تحفظ مكانة القبيلة وسمعتها في المجتمع (296). وكان العرب ينظرون الى العفة على اساس انها المثل الاعلى لديهم سواء في البادية ام الحضر ، فبلغ اهتمامهم بالمحافظة على العرض مبلغاً عظيماً حتى اصبح الاعتداء عليه كفيلاً باشعال نار الحرب اذ لابد من حماية العرض

من ان يمس او يلطخ بالعار [297]، ونظراً لاهمية العفة فقد شدد عقلاء القوم على ضرورة التحلي بها ، ووضع بعض العقوبات القاسية سعياً وراء تحصين ابنـائهم مـن شرور الخلاعة والمجون التي يمكن ان تعصف بهم ، وفي ذلك يقال ان عبدالمطلب اقـام الحد على الزنى ومنع التعري في اثناء الطواف [298]، وقد اشـير الى ان الربيـع بـن حدان هو اول من رجم مرتكـب الزنـا قبـل الإسـلام [299] والمتصـفح لاحاديـث العرب وخطبهم ووصايهم يعرف اهتمام العرب اهتماماً كـبيراً بالعفـة ، فقـد نصـح عقلاء القوم ابناءهم بالتعفف ، ويروى عن دريد بن الصمة "ايـاكم وفضـيحة النسـاء فانها عقوبة غد وعار ابد يكاد صاحبها يعاقب في حرمه بمثلها ويزال لازماً مـا عـاش لـه عارها" [300]. زد على ذلك انكارهم عن الحديث عن النسـاء في مجالسـهم وفي امثالهم "كل مهمة ـ أي يحتمل ـ ماخلا النساء وذكرهن" [301]. وقد بلـغ الاهتمـام بالعفة انهم استحلوا القتال في الاشهر الحرام دفاعاً عنهـا ، فيـذكر ان حـرب الفجـار حصلت بسبب اعتداء بعض شباب قـريش وكنانـة علـى عفـة امـراة مـن بـني عـامر [302]، ولجأ بعض العرب الى قتل نسائهم بعد تخليصهن من السبي خوفاً من الحـاق العار بهم كالذي فعله الحارث ابن اكل المرار [303]. فضلاً عن اعتزاز المرأة العربية بعفتها ، وليس ادل على ذلك من قول هند بنت عتبـة في بيعـة النسـاء ، وهـل تزنـي الحرة كما مر آنفاً [304].

ان المرأة العربية ارتدت النقاب وهو القناع الذي يستر الوجه بقصد التعفـف ، فضلاً عن اشارات عديدة الى ارتداء المرأة الحجـاب [305]، ولكـن هـذا لايعـني ان نساء العرب جميعاً كن يرتدين الحجاب ، فهناك اشارات في القرآن الكـريم الى شـيوع مظاهر التبرج في اكثر من اية [306].

د. الحرية والاباء :

كانت الحرية ملازمة للعربي ، فكانت طبيعية لدى العرب ، منذ اقـدم عصـور التاريخ وقد صورت كتب اللغة والتاريخ الكثير من الروايات التي تبرز دور الحرية في

حياة العربي ، وبما حملته من اثار ايجابية احياناً واخرى سلبية ، فضلاً عن تمادي العرب في حب الحرية ، فهم فهموها مطلقة من القيود التي تتنافى وطبائعهم ، فيروى الاصفهاني خبر عمرو بن كلثوم وفتكه بعمرو بن هند لانه بغى وتملكه الزهو، رافضاً الخضوع والهوان بعد ان استعلت ام عمرو بن هند على ام عمرو بن كلثوم (ليلى) وارادت منها ان تقوم مقام الوصيفة ، فصاحت : واذلاه يالتغلب فسمعها عمرو بن كلثوم فثأر ووثب الى سيف ضرب به رأس عمرو بن هند (307)، وكانت هذه الحادثة سبباً في قول معلقته المليئة بالفخر التي يقول فيها :

الا لايجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

بأي مشيئة عمرو بن هند تكون لقيكم فيها قطينا

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا

تهددنا واوعدنا رويدا متى كنا لامك وقتوينا

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الاخذون لما رضينا

وانا المانعون لما اردنا وانا النازلون بحيث شينا

وانا العاصمون اذا اطعنا وانا العازمون اذا عصينا

اذا ما الملك سام الناس خسفاً ابينا ان نقر الذل فينا

ورثناهن عن اباء صدق ونورثها اذا متنا بنينا (308)

لقد اعتز العربي كثيراً بنفسه ، رافضاً الخضوع لغيره فلا يدين لرئيس قبيلة الا اذا كان من القبيلة نفسها ، وقد صور طرفة بن العبد اثار الشعور بالحرية والاباء وفخراً بقوته وعدته قائلاً

ان الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كالرأس الحية المتوقد

فآليت لاينفك كشحي بطانة لعضب رقيق الشفرتين مهند

حسام اذا ماقمت منتصراً به كفى العود منه البدء ليس بمعضد

اخي ثقة لاينثني عن ضريبة اذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي

اذا ابتدر القوم السلاح وجدتني منيعاً اذا بلت بقائمه يدي (309)

لقد فهموا الحرية المطلقة من القيود التي تتنافى وطبائعهم وكان لهذا الفهم اثار سيئة بجانب آثاره الحسنه ، فلم يكد العرب يخضعون للقانون العام المنظم للعلاقات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ان هذا التصور الخاطيء للحرية ان صح التعبير كان من اسباب ردة بعض المسلمين عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ رفضوا ان يخضعوا لامرة الخليفة ابي بكر رضى الله عنه وامتنعوا من دفع الزكاة مدعين انها اتاوة ، جاهلين حكمتها واثارها الاجتماعية والروحية (310)، وورد في امثال العرب(لو ذات سوار لطمتني) أي لو ظلمني من كان كفأ لي لهان علي ولكن ظلمني من هو دوني ، وفي معنى آخر لو لطمتني ، فجعل السوار علاقة للحرية لان العرب قلما تلبس الاماء السوار ، قال كما مر سابقاً :

ان هذا الفهم الخاطىء للحرية جعل من الحرية الاجتماعية لاوجود لها ، فكانت للقوة والبطش للضعيف المهان والقوي المهاب :

تعدو الذئاب على من لاكلاب له وتنفي صولة المستأسد الحامي (311)

هـ. الوفاء :

مثلما لازم العرب قبل الإسلام الخصال والطباع الاصلية من شجاعة وكرم وحرية ، كان الوفاء من صفات العربي بل هي صفة اساسية جرت في عروقهم ، انهم كانوا يتعاقدون في المحالفات على الدم والماء والطيب ويتمسحون بالكعبة وارداوا من وراء ذلك توكيداً للحلف واحترامه ، وكان الغدر معرة يتجافون عنه ، فضلاً عن ان البيئة كان لها دوراً فاعلاً في اضطرار العرب الى التعاون اذ لايتم هذا التعاون الا بمراعاة العهد والوفاء وعظم الله تعالى امره بقوله "والموفون بعهدهم اذا عاهدوا"

[312]، وقوله تعالى "والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون" [313]، وضرب المثل بوفاء السموأل بن عاديا يقول الاعشى :

كـن كالسـموأل اذ سـار الهمـام لـه   في جحفـل كسـواد الليـل جـرار

بـالا بلـق الفـرد مـن تيمـاء منزلـه   حصـن حصـين وصـار غـير غـدار

فقـال ثكـل وغـدر انـت بينهمـا   فـاختر ومـا فيهمـا حـظ المختـار

فشـك غـير قليـل ثـم قـال لـه   اذبح هديك اني مانع جاري [314]

لقد حرص العرب على الوفاء اتماماً لمكارم اخلاقهم وكرم خصالهم وكانت تقول في امثالهم "انجز حر ماوعد" [315]، وضربت العرب المثل في الخلق بعرقوب ، وكان رجلاً من العماليق ، فاتاه اخ له فسأله شيئاً فقال له عرقوب اذا اطلع فخلى فلما اطلع اتاه فقال اذا ابلح فلما ابلح اتاه فقال : اذا ازهى فلما ازهى اتاه قال : اذا رطب فلما رطب اتاه قال اذا صار تمراً فلما صار تمراً جده من الليل ولم يعط اخاه شيئاً [316]. وقد ذكرت المصادر عن الحياة العربية قبل الإسلام شواهد كثيرة تتحدث عن الوفاء بالوعود والمحافظة على العهود والمحافظة على احترام حق الجار وحماية الحليف وغير ذلك من الاخلاق والعادات [317]، واعطت الاسواق عناية كبيرة لترسيخ قيم الوفاء وكانوا يعملون على تكريم الاشخاص الذين يحرصون على حماية الجار والوفاء له ، وكانوا يرفعون راية الوفاء لهم في الاسواق [318]. كما كانوا يقفون بوجه الاعمال التي تناقض الاخلاق العربية ، لاسيما صفة الغدر فكان من عاداتهم التشهير بالاشخاص الغادرين فقد كانوا يرفعون لهم راية الغدر ، وكانوا لايصاهرون الغادر لايجالسونه ولايستمعون منه حديثاً وكانت الاسواق مجلس المفاخرة بالشجاعة والكرم والوفاء [319] .

نخلص مما تقدم ماعرضه المسعودي من خلال المحاورة التي دارت بين كسرى واحد خطباء العرب ، الذي اجمل فيها اخلاق العرب قائلاً "العز والشرف والمكارم ،

وقرى الضيف واذمام الجار، واجارة الخائف ، واداء الحمالات، وبذل المهج والمكرمات وهم سراة الليل وليوث الغيل ،وعمار البر ، وانس القفر ، الفوا القناعة ، وشنفوا الضراعة ، لهم الاخذ بالثأر ، والانفة من العار ، فقال كسرى لقد وصفت عن هذا الجيل كرماً ونبلاً"(320) .

و.الخيل :

لقد اهتم العرب قبل الإسلام كثيراً بالخيل لما لها في حياتهم من اثر كبير حتى جعلوها بمثابة الولد ، وفضلاً عن استخدامها في ترحالهم ، زيادة على الجمال وقطع المسافات الطويلة قاطعة الصحارى ، استخدموها في غاراتهم وحروبهم ، فضلاً عن استخدام لحومها ، وقد ورد الثناء عليها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واشعار العرب، قال تعالى"والعاديات ضبحاً، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فاثرن به نقعاً، فوسطن به جمعاً"(321). وورد ذكرها في الحديث النبوي"الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة"(322)وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:"الخيل ثلاثة:فهي لرجل اجر، ولرجل ستر،وعلى رجل وزر"(323)،وقد اعتنى العرب قبل الإسلام بالخيل اعتناءاً كبيراً،كان الرجل منهم يبيت خاوياً ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه واهله وولده قال الجعفي الشاعر :

الخير ماطلعت الشمس وغربت معلق بنواصي الخيل معقود(324)

وقد اشتهر العرب بالمحافظة على انسابها وعدم الخلط بين سلالاتها فتراهم يخلدون ذكرها وصفاتها في قصائدهم ، وكان اطلاق الاسماء على الخيل عادة مألوفة ومعروفة ليتمكنوا من تمييزها وليعرفوا الاصيل منها من غيره(325)، سأل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدي "كيف معرفتك بالخيل العراب ياعمرو فقال معرفة الانسان بنفسه واهله وولده"(326)، قال لبيد بن ربيعة :

معاقلنا التي نأوي اليها بنات الاعوجية لا السيوف

كـــأن دمـــاءهم تجـــري كميتـــاً وورداً قانئـــاً شـــعر مـــدوف [327]

وقول عنترة :

لاأملـك السيف الا قـد ضـربت بـه ولاتمـــوت جيـــادي وهـــي اغمـــار

ولاعـــــود مهـــــري ان اوقفـــــه وسط الكماة ولايشقى بنا الجـار [328]

وكانت العرب على كثرة سخائهم باموالهم وبذلهم لانعامهم لايجودون باعطـاء الخيل ولايسمحون باعارتها [329] ويروى ان احد فرسان العرب قبل الإسلام وهو عبيدة ابي ربيعة قد طلب منه فرسه (سكاب) فمنعها وانشد قائلاً :

ابـــين اللعـــن ان ســـكاب علـــق نفـــيس لايعـــــار ولايبـــاع

مفـــــداه مكرمـــــة علينـــــا يجـــاع لهـــا العيـــال ولا تجـــاع

ســـــليلة ســـــابقين تناجلاهـــــا اذا نســـبا بضـــمها الكـــراع

ففيهـــا عـــزة مـــن غـــير نفـــر يحيـــدها اذا حـــر القـــراع [330]

لقد اشتهر ولم تزل العرب علـى ذلـك مـن تـثمين الخيـل والرغبـة في اتخاذهـا وصيانتها والصبر على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم وشدة حـالهم في معيشـتهم الى درجة انهم سموها الخير واضيف لفظ الخيل الى بعض الاسماء فقيـل زيـد الخيـل لشغفه بها وكثرة ما اجتمع لديه منها فقد عرفت له سـتة افـراس باسمائهـا [331] ، وليس ادل على اعزاز الخيل وكرامتها على اهلها ورفعتها في نظرهم مـن قـول امـرؤ القيس :

أو بات عليه سرجه ولجامه وبات يعييني قائماً غير مرسل [332]

وبلغ من تعظيم الخيل انهم كانوا لايهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ او فرس تنتج [333]. وكان من تقاليد العربي لايبيع فرسه مهما ضاقت به المسالك ، لان في بيعها مثلبة لاتدانيها مثلبة ، وهذا ما يوحي بالثقة الاكيدة التي تغمر قلب العربي ، والاعتقاد الراسخ لحبه لهذا الحيوان الاصيل،ولابد ان تعطى هذه الاهمية لهذا الحيوان المكان البارز في الادب العربي،لانه ملأ جوانب كثيرة من حياة العرب [334]، وكان من الوان الخيل المحببة لدى العرب الكمتة،والحمة ، والحوة ، والكمتة اشد الخيل جلوداً وحوافر الكمت والحم" [335].ومن الالوان الاخرى الشقرة والخلوقي،والمدمى، والادبس، والامغر،والافصح، والاصبح ، والاقهب "ويستحب في الوان الخيل الصفاء والبريق من أي لون كان" [336]، وحتى هذه الالوان فمنها الوان اصيلة تشمل خمسة الوان هي البياض والسواد والحمرة والصفرة والخضرة ، ومنها الالوان الفرعية فهي المركب بعضها مع بعض ماعدا تلك الالوان [337].

وكانوا يفضلون ذكور الخيل ولاسيما في الحروب ، قال الشاعر :

واعددت للحرب اوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا [338]

وفضلاً عن مسمياتها كان لها اسماء اخرى في حلبة السباق ، كان لهذه الاسماء اثراً مهماً في الطابع الاجتماعي ، نوردها كما ذكرها بعض المؤرخين وحسب تسلسلها في السباق :

1. المجلى : لانه جلى عن وجه صاحبه بعض همه .
2. المصلى لانه يضع جحفلته على الارض
3. المُسلي : لانه شريك فسلى عن صاحبه بعض همه .
4. التالي ، لانه تلا الثالث وذلك ان العرب كانت تأخذ من كل شيء تختاره ثلاثة فتعدها طبقة ، ثم ثلاثة اخرى طبقة ثانية .
5. المرتاح : مفتعل من الراحة .
6. الحظيّ : لانه قد نال حظاً من السبق

7. العاطف : وسمي بذلك لدخوله الحجرة .
8. المؤمل : على القلب والتفاءل .
9. اللطيم : لانه لو رام دخول الحجرة للطم لانه اعظم جرماً واقل جرياً من السابع والثامن .
10. السكيت : لان صاحبه يعلوه خشوع ويسكت خزيا [339]

ويذكر ان ابو خراش قدم مكة وللوليد بن المغيرة المخزومي فرسان يريد ان يرسلهما في الحلبة فقال للوليد ماتجعل لي ان سبقتهما ، قال ان فعلت فهما لك فارسلا وعدا بينهما فسبقهما فاخذهما [340]، ومن الجدير بالذكر ان السير على الاقدام للوصول الى المواضع المقصودة هو المألوف عند اكثر الناس بسبب فقرهم وعدم تمكنهم من امتلاك دابة ركوب ، ويعد امر اقتناء الخيل في بلاد العرب من الامور الكمالية فاطعامها والعناية بها ، ولايستطيع حيازتها الا من كان على سعة من العيش، وهي فضلاً عن استخدامها في الغزو تستعمل ايضاً في اللهو والالعاب الرياضية كرمي الجريد والسباق والصيد [341].

ثامناً : مساكن العرب :

لم تسعفنا المصادر بمعلومات ثمينة عن مساكن العرب في الحجاز قبل الإسلام ، ولكن مايمكن القول عنه او اجماله ان لكل عشيرة منهم منطقة معروفة ومعهم مواليهم (حلفائهم) ورقيقهم ، وبناء على ذلك فقد استقرت قريش في مكة ، وكان لكل بطن منها منازل خاصة بها (رباع) [342]، ولايمكننا معرفة التفاصيل عن طبيعة البيوت في تلك الحقبة ، لكن يمكننا ان نتعرف شيئاً من ذلك من خلال التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي وصل اليه المجتمع انذاك ، والذي تسعفنا المصادر اليه هو ماذكره الازرقي من ان قصي بن كلاب جعل مركز الخطة هو الكعبة المعظمة (كالمحور في الدائرة) ثم بدأ العمران الى الكعبة ، وسميت بدار الندوة ، وكان لهذه

الدار شأن هام في حياة قريش [343]،وتذهب بعض الروايات الى ان سعيد بن عمرو بن هصيص السهمي اول من بنى بمكة داراً هي دار العجلة [344]، وهكذا بنى قصي داره واختط لقريش دورها فيما يلي داره فكانت خطة الدور ثنائية حيث كانت بين كل دارين طريق تفصل بينهما ليكون مسلكاً ينفذ منه الى المطاف [345]، وبدأ العمران وقامت الدور في مكة ، ولكن اعظاماً لحرمة الكعبة فقد اجتنبوا تربيع بيوتهم فجعلوها دائرية الشكل أي انهم اتخذوا طرازاً معمارياً مخالفاً لطراز بناء الكعبة ، وقد دام هذا الطراز في مكة حتى النصف الثاني من القرن السادس الميلادي عندما قام حميد بن زهير ببناء دار مربعة الشكل [346]، وقد بنيت البيوت من المادة الاكثر وفرة في جبال الوادي فقد شيدت من احجار الجبال [347]. كما في قوله تعالى "تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً" [348]، واتخذوا جريد النخل واخشاب شجر الدوم لسقوفها ، وقد استخدمت المواد نفسها في بناء الكعبة عند تجديده الذي تم فيما بعد[349] . وهذا العباس عم النبي صلى الله عليه واله وسلم لما بنى داره قال :

مرتجراً بنيتها باللبن والحجاره　　　والخشباب فوقها مطارة [350]

وبنى عند باب البيت (دكك) يجلس عليها الدرانية (البوابون) يمنع الغرباء من الدخول الى الداخل ولحراسة الدار، وقد اشير االى ذلك في شعر ينسب للمثقب العبدي :

فابقي باطلي والجد منها　　　كدكان الدرانية المطين[351]

اما دور الاثرياء والسادة فمن المؤكد انها كانت كبيرة وتحتوي على عدد من الغرف وللدار بابان متقابلان احدهما للدخول والاخرة للخروج ، ويدل هذا على ان الدار كبيرة وتطل على واجهتين فهي دار كبيرة لها سعة بينه فهذا مثلاً عبدالله ابن جدعان شخص واسع الثراء يمتلك في بيته عدداً من الجواري والمغنيات والخدم ، وكانت قريش تجتمع احياناً في بيته ، فلا بد ان يكون بيته كبيراً متعدد الاجنحة ، جناح خاص لسكناه مع عائلته وجناح لخدامه وجواريه ودار ضيافة كبيرة ، ومطبخ

يتناسب مع حجم الولائم التي يقيمها ، وهذا ينطبق على معظم بيوت اغنياء مكة وتجارها ، وبهذا احتوت مكة على المنازل الفخمة والكبيرة الحجم (352) .

ونظراً لارتفاع درجة الحرارة في مكة في فصل الصيف فقد يكون لبعض الدور المظلات الخارجية تبرز عن اصل البناء وهي من الحجر ايضاً ليستظل بها من الشمس عند الجلوس تحتها ، مثل دار السيدة خديجة بنت خويلد (353) ، وتقع هذه الدار في زقاق الحجر وهي الدار التي شهدت ولادة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي في جملتها دار متواضعة تحتوي على اربع غرف (354) ، فضلاً عن ذلك فلابد ان ينام هؤلاء على سطوح المنازل ، خصوصاً اذا ماعرفنا انهم كانوا يعرفون المعارج (السلالم)(355) لكن البيوت اختلفت في طرازها المعماري وسعتها ومادة بنائها باختلاف مكانة صاحبها الاجتماعية ومنزلته من حيث الغنى والفقر (356) . اما بيوت الفقراء فكانت بسيطة مبنية من الطين تقي ساكنيا حر الصيف وبرد الشتاء وتفتقر الى المرافق الخدمية كالحمامات والمرافق الصحية ، لذا يلجأ اصحابها ، الى قضاء حاجتهم خارج البيوت (357) .

اما في يثرب فقد ذكر انهم تفرقوا في عالية المدينة وسافلها واتخذوا الديار ، ومنهم من لجأ الى قرية من قراها متخذاً الاطام ، ويذكر ابن كثير ان الدور في يثرب حين قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً كانت تبلغ تسعاً ، كل دار مستقلة بمساكنها ونخيلها وزروعها واهلها ، وكل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم وهي كالقرى المتلاصقة ، ووصفت ايضاً بانها ابيات مجتمعة تجاوز حد القرى كثرة وعمارة ، ولم تبلغ حد الامصار (358)، فامتازت المنازل بانها لاتتكاتف على قاعدة بل تتفرق وتفصل بينها مساحات خالية على عادة العرب في بناء قراهم ومدنهم (359)، ويذكر الاصفهاني ان اهل الحجاز جعلوا مخترقاً مابين كل دارين لم ينصب عليها باب وهي اشبه بالممر يسلك بين الدارين وسموها (الخوضة) (360) .

ومن المسلم به ان يثرب لم تتمتع باحترام وقدسية العرب الا بعد الهجرة النبوية مما انعكس سلباً على تخطيط مبانيها فيثرب لم تكن سوى مجموعة من المنازل البسيطة المنتشرة بدون نظام محدد وتحيط بها الحقول والبساتين ، ونظراً لوفرة المياه انتشرت فيها

المسطحات الخضراء واصبحت محطة لامداد القوافل ، مما ساعد على عدد النازحين اليها [361] ، ولكن اكثر مايلفت النظر في التخطيط للمناطق السكنية والتي كانت تقام بعيداً اوعلى اطراف الاسواق ، أي انفصال بين المنطقة السكنية والمنطقة التجارية،ولعل الامر يعود لاسباب دفاعية واجتماعية [362] ، ونستطيع الاستدلال من بعض النماذج الى ان بيوت اهل يثرب كانت مبنية من الطين ومسقفة بجريد النخل شأنها شأن مساكن اهل الحجاز ، منها ما كان ذا طابق ومنها ما كان ذا طابقين [363]. ولعل في وصف دار ابي ايوب الانصاري الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد مسيره من قباء الى منازل بني النجار اصدق دليل على ذلك ، فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل في اسفل الدار وان ابا ايوب واهله ناموا في الطابق العلوي ، فانكسر لهم زير ماء فنشفوه بغطائهم خوفاً من نزول الماء على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد باتوا وجلين لهذا الامر [364]، واذا اخذنا بالحساب اسم العراء الذي اطلق على المدينة (يثرب) للتدليل على عدم ارتفاع مبانيها فان هذا الامر ينطبق على مباني اهل يثرب قبل الهجرة النبوية [365].

وكان للقبائل اليهودية بيوت (المدارس) وهذه البيوت كانت اشبه ماتكون بمساجد المسلمين من حيث وظائفها الدينية والسياسية والاجتماعية ، وقد ذكرت اسماء بعضها كاسم المدرسة ماسكة [366].

ونظراً لاعتماد اهل يثرب على الزراعة وكثرة بساتينها ولاسيما بساتين النخيل كان اهلها يتخذون لهم عرائش في فصل الصيف ، والعريش ساباط يصنع من جريد النحل ويرش بالماء ليكون محلاً بارداً يستظل به الناس ايام الحر بصورة خاصة ، ويبدو ان هذه العرائش (البيوت الصيفية) كانت منتشرة في يثرب قبل الإسلام وبعده ، فيروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد مسيره من قباء الى منازل بني النجار استظل بعريش قد رش بالماء للتخلص من حر الشمس قبل ان يدخل دار ابي ايوب الانصاري [367].

اما الطائف فهي متقدمة بالقياس الى بقية اهل الحجاز ، فاستفادوا من الزراعة ووفرة المياه فاحاطوا بالمدينة بساتين مثمرة وفاقوا في البناء فبيوتهم جيدة ومنظمة ، وعرفت الطائف ايضاً الاطام في زمن متأخر من يثرب (368).

اما الاشكال الهندسية وترتيبها فقد فصلها لنا الالوسي قائلاً في وصفها " فمن ابنيتهم الدار والمنزل والمقوى والمربع ويقال صحن الدار ، قاعتها وباحتها وساحتها وصرحتها ، ثم النفق والسرب وهو البيت تحت البيت ثم الغرفة فوقه وهي العلية وجمعها علالي ،ثم الخزانة وهي غرفة المؤونة وتحفظ فيها ، ويأتي بعدها المضجع او المرقد ، و يقال للبيت المغمى اذا سقف بالخشب والغماء مايغمى به ، أما المقيب والمسنم فهو المبني على هيأة السنام في اتساع اسفله وتضايق اعلاه وفي الدار الصفة وجمعها صفاف ، منها الشرقية التي تقابل المشرق، والغربية التي تقابل الغرب ، والفراتية التي لاتقع الشمس فيها مباشرة ، والمقنؤه هي الظليلة التي لاتصلها الشمس، والكلوة الثقب في اعالي البيت ينفذ منه النور ويقال له الشاروق ، والمشكاة التي في الحائط يقال لها الاوقة والبيت الذي فيه "(369) يقول امرؤ القيس :

وبيت يفوح المسك في حجراته   بعيد من الافات غير مروق(370)

ويواصل الالوسي حديثه قائلاً (ويقال للسطح : الصهوة والسطح مربد التمر، والدرج مايرتقي فيه الى السطح فانه كان من خشب فهو السلم ، وكل مرقاة من الدرج عتبه والجمع عتب ، والطنف اجر ونحوه يجنح به اعلى الحائط ليقيه المطر وهو الافريز ، والنجيرة سقيفه تصنع من خشب لايخالطها غيره ، والعرس حائط او اسطوانه يقام في البيت يوضع عليها العارضة ، يوضع فوقها روافد من الخشب والطوب هو الاجر يبنى به ، والطيان الذي يطين الحائط نحوه ، والحلاط مارق من الطين ويقال للبناء بكامله الهاجري نسبه الى أول قبيلة كانت تبني ، وفي الدار الكنيف واصله الحظيرة ويقال له الحش والمستراح والمخرج والمرحاض : المغتسل ، والمزراب والميزاب جميعاً لاخراج الماء من السطوح ويكون من الخشب او غيره ، والبالوعة ثقب في وسط الدار ، وفي الدار المطبخ وهو موضع الطبخ ، والمخبز ويقال له المسمر

والوطيس والساعور : تنور في الارض حفير وفي الدار القصر ويقال له الجدل والفدن والعقر والصرح وهو كل بناء مرتفع ، والموسم مكان السوق والمحفل مجمع الرجال ، والمأتم مجمع النساء ، والندى مجمع للسمر والحديث والمصطبة مجتمعهم لعظام الامور، والخان مكان مبيت المسافرين ، والحانوت مكان الشراء والبيع ، والسدة مابنى امام الحانوت ، والعضادة حانوت صغير ، والحانه مكان التسوق في الخمر ، والماخور مكان الشرب في منازل الخمارين ، الديماس الحمام ، والاتون موقد ناره [371] .

لقد عرف العرب البناء وتفننوا به ويظهر ذلك جلياً في قصورهم الشاخصة الى يومنا هذا ، وقد انحصرت صناعة البناء لدى الحضر لانهم اكثر حاجة اليها فاتخذوا البيوت والمنازل للسكن والماوى ، ويعلل ابن خلدون ذلك قائلاً "بان الانسان لما جعل عليه من الفكر في عواقب احواله لابد ان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها" [372] ، ويضيف ابن خلدون "هذه الصناعة والقائمون عليها متفاوتون ، فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر " [373] وهذا مايدلل على ان ما وصل اليه العرب قبل الإسلام في صناعة البيوت والتي كان لهم اليد الطولى وما خلفته من اثار شاخة تشهد لهم بمهارتهم وتفوقهم في فن البناء . بعد ان تعرفنا على مساكن العرب لابد ان نطرح سؤال نراه ضرورياً هو اين كان يقيم الوافدون على مكة لمواسم الحج ؟ خصوصاً اذا ما عرفنا ان منازل مكة كانت رباع ويسمى كل حي بالشعب وكان هذا الشعب لعشيرة معينة فمثلاً شعب ابي طالب كان لبني هاشم وعشيرته [374] واذا اخذنا بنص الازرقي [375] القائل "ان الرسول صلى الله عليه اله وسلم نهى عن بيع رباع مكة وعن اجر بيوتها". نعتقد من النص في أعلاه ان بيوت مكة كانت تكرى وتباع ولاسيما ايام مواسم الحج، والا لم كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم ينهى عن بيع وتأجير البيوت ، أي ان هذه الحالة كانت موجودة قبل الإسلام . اما الشطر الثاني لاعتقادنا فهو ان الشخصيات الغنية كانت تقيم عند اغنياء مكة حيث تربطهم علاقات تجارية بهم ، فاقيمت لهم منازل خاصة اقيمت لهذا الغرض اما الفقراء والطبقات الاخرى فهي المقصودة بالكري والبيع وخلال موسم الحج ، فيذكر ان رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم قال :كان ساكن مكة حياً من العرب ، فكانوا يكرون الظلال ويبيعون الماء فابدلها الله تعالى بهم قريشاً فكانوا يظلون في الظلال ويسقون الماء " (376) .

أ. اثاث البيوت

لقد استخدم الخشب في صنع اثاث البيت وفي كثير من الادوات المستخدمة في حياة الانسان ، وقد ذكر القرآن الكريم اسماء بعض الاثاث مثل الارائك والسرر والنمارق والزرابي والقرش المبطنة بالاستبرق والسندس وانواع الاواني من الفضة كالقوارير والاكواب والكؤوس ، واستخدموا الاواني لصنع الطعام ، لاسيما الاواني التي تستعمل في اطعام عدد من الناس في المناسبات كالمأتم والافراح منها الجفنة (377) . بقوله تعالى :"يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك " (378) وقوله تعالى"يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات " (379) ، وكانت معظم الاواني المستعملة عند عامة الناس تصنع من الحجر وهو مايطلق عليه (البرم) وقد اشتغل عدد من سادات مكة بهذه الصناعة (380)، واذا كان القرآن الكريم قد خاطب العرب بهذ ه الاوصاف فمن غير المعقول ان العرب لم يعرفوها ومن المرجح ان تكون طبقات منهم قد عاشت عيشة ترف ونعيم تقارب تلك الاوصاف.

واستورد اهل مكة الاواني الغالية والاثاث الراقي من بلاد الشام ، لما عرفت به هذه البلاد في الصنعة وحسن الذوق كما استوردوها من العراق (381) ، واستعمل الاغنياء في بيوتهم الاسرة والكراسي للتعبير عن غناهم ، وكانت قريش ليس احب اليها من السرير تنام عليه ، فلما قدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المدينة (يثرب) ونزل منزل ابي ايوب الانصاري قال عليه السلام "يا ابا ايوب اما لكم سرير قال لا والله فبلغ اسعد بن زراره ذلك ، فبعث الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسرير له عمود فكان ينام عليه " (382) . وكانت قريش تفرش ارض سيد القبيلة وذوي اليسار من الناس ، وكذلك غرف بيوتهم بالفرش كالبسط وتوضع الوسد في صدر المجلس ليتكيء عليها الجالسون وليتوسدوها عند النوم ،

ويعد تقديم الوسادة الى الضيوف من امارات التكريم والتقديس لمن قدمت اليه [383] وستروا بيوتهم بالابواب ، واول من بوب في مكة حاطب بن ابي بلتعة ولما شرعوا يصنعون لبعض الدور ابواباً كانوا يقصرون ذلك على بعض غرفها ويتركون مداخلها مشرعة على عرصاتها دون ابواب [384]، ويروى ان "هند بنت سهيل ، استأذنت الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ان تجعل على دارها بابين ، ابى وقال لها انما تريدون ان تغلقوا دوركم دون الحجاج ، قالت : والله ما اريد الا ان احفظ على الحجاج متاعهم فاغلقها عليهم من اللصوص فأذن لها فبوبتها" [385].

ب. الحياة اليومية

لم يشغل العمل المجتمع الحجازي عن الترفيه والتسلية ، فقد مارسوه بوسائلهم وامكانياتهم المحدودة ، فقد عرف قبل الإسلام لوناً من الوان الترويح عن النفس والترفيه عنها في مواطن الكلأ والاماكن الجميلة من البادية في ايام الربيع حيث تظهر الازهار البرية ، وكان اهل يثرب يخرجون الى العقيق متنزههم للتسلية [386]. اما اهل مكة فانهم اعتادوا الخروج لقتل الوقت والترفيه في متنزهاتهم حديقة الاقحوان التي تقع قرب بركة ماجن اسفل مكة ، ولهم مجلس (دكة) في المحصب يجتمعون فيها للسمر والتسلية مرتدين الملابس الملونة و مطيبة ومستمتعين باصوات القيان والدفوف والطبول يقول الحارث بن خالد :

من ذا يسأل عنا اين منزلنا	فالاقحوانه منا منزل قمن
اذ نلبس العيش صفواً مايكدره	طعن الوشاة ولاينبو بنا الزمن [387]

ومن متنزهاتهم شعب خم وهو يتصل بالمسفلة ، وكان لهم في المحصب دكة يجتمعون فيها وكانت تشرف على نخيل باسق وبساتين تحتضنها شعاب الوادي الممتدة الى منى [388]، وكان للعرب في تلك الحقبة مجالس واندية يغشاها الرجال والنساء يتناشدون فيها الاشعار ويتبادلون الاخبار ، فكان منهم من يستدعي اليه في مجلسه اصحاب المجون [389] ، والفكاهات للترفيه عنهم ، ويذكر ان المتمكنين من اهل عرب قبل الإسلام يستعملون (الكلل) للتخلص من البعوض على سرير المنام

وينامون تحتها [390]، وكان في جملة ما ابتكره العرب قبل الإسلام لقضاء الوقت (الاغلوطات)* وهي صعاب المسائل ، فيطرح سؤالاً صعباً على الحاضرين ويطلب منه حله ، وورد في امثال العرب (اهون من دحندح) ، وهي لعبة من لعب الصبيان، يجتمع فيها الصبيان فيقولونها فمن اخطأها قام على رجله وحجل على احدى رجليه سبع مرات [391] ، وليس في طبع العربي ميل الى المزاح ، اذ يراه منقصة بحق الرجل واسفافاً يعرضه الى التهكم والازدراء به [392] ، وكان من وسائل التلطيف من شدة الحر رش الارض بالماء [393]، وعبر عن اللعب واللهو بـ(الديدن) وهو الضرب بالاصابع في اللعب وان الديديون اللهو واللعب [394]، قال الاعشى :

اترحل من ليلى ولما تزود وكنت كمن قضى اللبانة من دد [395]

ومارسوا العاباً رياضية للتسلية المفيدة مثل المصارعة ، فقد كان ركانه بن عبد يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب شاباً قوي البنية "اشد قريش بطشاً" [396] ، فكان يمارس العاب القوة هذه وقد صارع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن النبي صرعه وتغلب عليه رغم انه لم يغلب قط ولذلك اسلم وآمن بعدها ولاسيما بعد ان حقق له معجزات اخرى [397]. وروي عن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قوله "علموا اولادكم العوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ... وخير الخلق للمرأة الغزل" [398] ، واذا تمعنا في قول عمر رضى الله عنه وهذا الاسلوب التربوي ، عرفنا انهم اعتادوا الرماية ودربوا بها في سلمهم وحربهم وكذلك ركوب الخيل ، ومارسوا القنص والصيد واشتهر بذلك الحمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه "كان اعز قريش واشدها شكيمة وقد اعتاد فور عودته من الصيد ، ان يطوف بالكعبة ثم يمر على نوادي قريش للتسليم عليهم" [399] .

فضلاً عن السباحة ومزاولتها في البرك المتناثرة حول مكة وفي الطائف ويثرب كرياضة ممتازة للتسلية ، وكانت لهم العاب اخرى بقصد التسلية والترفيه فقد لعبوا الكرك ومارسه المكيون قبل الإسلام وبعده ، ومارس الاطفال الالعاب التي تتناسب

مع سنهم ، وقد ذكر ان صبياناً كانوا يلعبون ليلاً [400]. ومن العاب الغلمان (الحكه) وهي لعبة يأخذون عظماً فيحكونه حتى يبض ثم يرمونه بعيداً فمن اخذه فهو الغالب [401]، ومن العاب الصبيان البوصاء لعبة يلعب بها الصبيان يأخذون عوداً في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم [402] ، والارجوحة : خشبة يوضع وسطها على تل ثم يجلس غلام على احد طرفيها وغلام آخر فترجح الخشبة بهما ويتحركان فيميل احدها بالآخر [403] ، ومن العابهم ايضاً لعبة تسمى (الانبوثة) يحفر الصبيان حفيراً ويدفنون فيه شيئاً ، فمن استخرجه فقد غلب [404]، ولعبة (عظم الوضاح) ان تأخذ بالليل عظماً ابيضاً فيرمونه في ظلمة الليل ثم يتفرقون في طلبه فمن وجده فله القمر ، وذكر ان من وجده يركب الفريق الاخر من الموضع الذي وجدوه فيه الى الموضع الذي رموا به ، ويذكر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعب وهو صغير بعظم وضاح [405]. ومن العاب الصبيان (الطبن) وهو خط مستدير يلاعب به الصبيان [406]، والشعارير وهي من لعب الصبيان [407]. ومن الالعاب الاخرى (البُقيري) ان يجمع يديه على التراب في الارض الى اسفله ثم يقول لصاحبه : اشته في نفسك فيصيب ويخطيء ، وذكر انهم يأتون الى موضع قد خبيء لهم فيه شيء فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه [408]. ومن العابهم (الخطرة) وهو ان يعملوا مخراقاً ثم يرمي به واحد منهم من خلفه الى الفريق الآخر فان عجزوا عن اخذه رموا به اليهم فان اخذوه ركبوهم [409]، و(الشحمة) ان يمضي واحد من الفريقين بغلام فيتنحون ناحية ثم يقبلون ويستقبلهم الاخرون ، فان منعوا الغلام حتى يصيروا الى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ويدفع الغلام اليهم ، وان لم يمنعوه ركبوهم وهذا كله يكون في ليالي الصيف [410]، وهناك العاب اخرى مارسها العرب قبل الإسلام وعرفت بالقوة والشدة ومن هذه الالعاب(الربع) وهي رفع الحجر باليد امتحاناً للقوة، وقد مر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوم يربعون حجراً فقال ما هذا فقالوا هذا الاشداء [411] .

وقد تباينت الاراء بشأن الميسر ، فمنهم من كان يلعب الميسر ليس ابتغاء الكسب ، وانما كان يلعبه للتسلية والترفيه ولمساعدة الآخرين ، وذلك باعطائه ما يكسبه للمحتاجين والفقراء فعدوه مفخرة لانهم كانوا يفعلونه في ايام الشدة وايام الشتاء (412) ، فضلاً عن مجالس الخمر وقد مر ذكرها في موضع سابق . اما الحياة الليلية فكانت حياة هادئة على وتيرة واحدة ، يأوى الناس الى بيوتهم مع غروب الشمس ، اما وجهاء القوم فقد كانوا يتسامرون في بيوتهم وفي مضاربهم ، وذلك بان يأتوا الاصدقاء فيتحدثون معهم ويتذاكرون الايام الماضية ثم يعودون الى بيوتهم ويكون السحر في الليل خاصة ، والسحر الظلمة ثم اطلق السحر عامة في الليل والنهار ، فضلاً عن ان المتكلمين هم من الناس البلغاء ، ومن تلك القصص قصص ايام الابطال والشجعان (413) ، ثم يأتي الصباح وكان العربي عند نهوضه في الصباح يحيي اهله بتحية الصباح بقوله (عم صباحاً) واذا كانوا جماعة يقول (عموّا صباحاً)، ثم يتناولون الصبوح وكانوا يحيون الجلوس من النوم صباحاً لاعتقادهم بانه انشط للجسم ، زد على ذلك فان غاراتهم تكون صباحاً ويسمون الغارة يوم الصباح لكن اكثرهم كانوا ينامون في الصباح أي نوم الغداة ولا ينهضون الا متأخرين لاكراههم على النهوض (414). وكان العرب يتصافحون باليدين ، وقد يتعانقون اذا جاءوا من سفر او من فراق (415) .

تاسعاً :النظافة

اهتم العرب قبل الإسلام بالنظافة ، فقد اهتموا بنظافتهم الشخصية من غسل اعضائهم بما يشبه الوضوء من مضمضة واستنشاق وسواك وقص الشارب (416)، وقد عرف العرب الصابون للنظافة اليومية والذي عمله سليمان عليه السلام وقد قام السدر في الحجاز مقام الصابون في الاغتسال فكانوا اذا ارادوا تنظيف اجسامهم استعملوا ورق السدر مع الماء فيخرج رغاء ابيض وذلك بعد طحن الورق او دقه ، وقد جرت العادة بغسل الميت فيه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "خمس من الفطرة والاستمداد والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظافر" (417)،

ان هذا الاهتمام بالنظافة البدنية الدورية دليل على عناية العرب قبل الإسلام بالنظافة اليومية .

أ. مواضع قضاء الحاجة

لم تكن هناك مواضع لقضاء الحاجة في البيوت سواء في مكة او يثرب او الطائف ، التي كانت العرب تسميها (الاكناف) [418] ، بل كان الناس يقضون حاجتهم في مواضع خارج البيوت ، فيدخلون الخلاء وهو موضع قضاء الحاجة ، وقد يكون ستراً وقد تكون غرفة ويستنجي بالماء او الحجارة [419]. لاسيما النساء اللواتي يخرجن الى هذه المواضع ليلاً ، وكانت العرب في البداية تأنف من اتخاذ الاكناف في بيوتها وكانوا يحسبونها من عادات العجم ، وكان في يثرب مناصع لكل قبيلة ، وبعد ذلك اتخذ اهل المدينة (يثرب) الاكناف قرب بيوتهم ، وقد كان موضع الكنيف الخاص ببيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف حجرة عائشة رضى الله عنها [420]. واخذت الروايات تذكر صراحة اسم الاكناف باسم الخلاء ، فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "اذا اراد البراز انطلق حتى لايراه احد" [421]، ويروي الجاحظ [422] "أن العرب اذا ارادوا قضاء الحاجة تستر بنجوه [423]،وقالوا ذهب الى المخرج والى الخلاء والى الحش،وانما الحش القطعة من النخل ، وهي الحشان وكانوا في المدينة(يثرب) اذا ارادوا قضاء الحاجة دخلوا النخل لان ذلك استر فسموا المتوضأ الحشن وان كان بعيداً من النخل"، واذا ارادوا التبول انطلقوا الى موضع يتوارون عن اصحابهم بعض الشيء واكثر ما يبولون قعوداً ، ويرى العرب ان مابين السرة والركبة من الرجل عورة لذلك يجب ستره ، والعورة السوأة من الرجل والمرأة [424] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاّعنان يارسول الله ؟ قال الذي يتخلى في طريق الناس ، وفي ظلهم " [425] ، ويذكر ان بيوت مكة في نظافتها خير من سائر بيوت جزيرة العرب غير ان نظام(المراحيض) لايتبع النظام الصحي [426].

ب. الحمامات

لقد تضاربت الروايات حول وجود الحمامات واستخدامها من العرب فقد ذهب اللغويون الى الرأي الاول القائل بان العرب من اهل القرى والمدن قد عرفوا الحمامات ولها مساخن تسخن لهم الماء ليغتسلوا بها وكانوا يستعملون النورة في الحمامات لازالة الشعر واذا خرج احدهم من الحمام قيل له طابت حمتك وذكر ان من اسماء الحمام (الديماس) (427)، قال اعرابي لابنه وكان قد دخل الحمام فاحرقته النورة :

لعمري لقد حذرت قرطاً وجاره	ولاينفع التحذير من ليس يحذر
نهيتما عن نوره احرقتهما	وحمام سوء ماؤه يتسعر
اجدكما لم تعلما ان جارنا	ابا الحسل بالصحراء لا يتنور (428)

خصوصاً اذا ماعرفنا "ان اول من عمل الحمام سليمان عليه السلام وعملوا له النوره لازالة شعر كان على بلقيس حين تزوجها" (429)، ومهما يكن من امر هذه الروايات ، يبدو لنا ان الحمامات كانت موجودة فعلاً ،ولكن ليس بالمعنى المعروف او بتسميات اخرى ، واستناداً الى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم "ستفتح لكم ارض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بالازار،وامنعوا النساء الا مريضة او نفساء" (430) ،ومن خلال الروايات التي ذكرها البخاري وغيره يمكن القول ان اماكن الاغتسال كانت على نوعين :

1. البيوت : استناداً الى الرواية التي تخبرنا بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد رجوعه من غزوة الخندق الى المدينة (يثرب) دخل بيته وكان في المغتسل عندما جاءه جبريل يأمره بالذهاب الى يهود بني قريظة (431).وكانت تستخدم المخاضب (432) في الاستحمام ، وفي حديث ام سلمة "كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اناء واحد من الجنابة" (433) ،

وكان اهل يثرب يوفرون الماء لبيوتهم بواسطة الابار الخاصة بالبيوت كما مر سابقاً .

2. الاستحمام في العيون والابار الموجودة سواء في مكة او يثرب او الطائف اذ يتم ذلك في فصل الصيف ، وقد اخبرتنا الروايات عن تعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السباحة عندما كان عمره ست سنين في بئر انس حينما زار اخواله بني النجار مع امه (434)، وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"يتطهرون بالماء المسخن بالنار ويكرهون التطهر بالماء المشمس" (435)، ويذكر ان اهل مكة ويثرب يعنون بنظافة بيوتهم كما يعنون بنظافة ابدانهم وملابسهم اكثر من سواهم من سكان جزيرة العرب (436).

عاشراً : عقائد العرب الدينية وتأثيرها الاجتماعي

ان الانسان بوصفه كائناً اجتماعياً له حاجات كثيرة تتعدى لقمة العيش ومن بين هذه الحاجات حاجته الى التدين ، فالدين ظاهرة متأصلة في الانسان منذ ان وجد على ظهر الارض لانه نظام اجتماعي يقوم بخدمة وظائف حيوية لها اهميتها للفرد وللمجتمع على حد سواء والعرف والقانون يعينها على اداء مهمتها في المجتمع . فللدين دور هام في عملية التماسك الاجتماعي والتآلف بين الافراد المكونين للمجتمع ، ذلك انه يوحد بين هؤلاء الافراد في القيم والاهداف والمعاني ، ويسوغ هذه القيم مما ينسق تفاعل الافراد ويدعوا الى التعاون بينهم فضلاً عن قيامه بتوحيد صفوفهم ، ونلمس ذلك واضحاً فيما فعله الإسلام في مجتمع الجزيرة العربية فقد الف بين قلوبهم ومكنهم من الانتشار والحاق الهزيمة باعدائهم ، لم يكن الدين عملاً فردياً او محاولة شخصية لاظهار الروح الانسانية ، بل هو عملية حية متبادلة بين الانسان والقوى فوق الطبيعة والاديان القديمة غالباً هي جماعية تتعلق بالقبيلة كلها فالاله هو للقبيلة يحميها ويشمل برعايته افرادها كافة، لقد عرف الدين بانه"الاعتقاد بكائنات غيبية ذات قوى مؤثرة والقيام بطقوس وعبادات لها" (437).

وقد كان لعرب ماقبل الإسلام على وفق هذا المفهوم العام للـدين حيـاة دينيـة متنوعة تمتد جذورها الى حقب تاريخية قديمة وقد اتخذت صوراً واشكالاً مختلفـة تبعـاً لتطورهم الثقافي وطبيعة ظروف حياتهم الاقتصادية والاجتماعية .

لقد كانت دياناتهم قبل الإسلام متباينة مختلفة فكان غالبيتهم وثنين وهم الذين عبدوا الاصنام وحجوا البيت واعتمروا ومارسوا طقوس العبادة من احـرام وطـواف وسعي ووقفوا المواقف كلها [438] .وحصل اصل الشرك من طريق التقرب الى الله بالتماثيل والاصنام، ثم تحولوا تدريجياً الى عبادة الاصنام نفسها وشـبوا علـى تعظـيم الكعبة [439] ، كما في قوله تعـالى "مانعبـدهم الا ليقربونـا الى الله زلفـى " [440]، والادلة على اثبات ذلك كثيرة ومتواتره في القرآن ، وقد ذكر القرآن الكريم اعترافهم باتخاذهم الاصنام واسطة وزلفى تقربهم الى الله ، غـير انـه لايوجـد مصـدراً اصـدق واوثق من القرآن ، الذي حصر هذه الديانات في ملة ابراهيم عليه السـلام ، والـذين هادوا والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فضلاً عن القـرآن الكـريم فلـدينا في الشعر العربي قبل الإسلام مايشـير الى هـذه العقائـد المختلفـة كانـت تـراود خـواطر الشعراء وتمثل قسطاً من تفكيرهم الديني ، بحظوظ متفاوتـة لكـل عقيـدة ولاسـيما ان الشعراء حينذاك كانوا يعدون طائفة مميزة ، اذن فليس مـن المبالغـة ان نقـول نسـتطيع الاعتماد الاكبر على الشعر العربي قبل الإسلام ، وهذه المميزات للشعر العربي تمدنا بحقيقة التفكير العربي قبل الإسلام ولاسيما التفكير الديني . لقد عرفت مدن الحجـاز في حقبة قبل الإسلام عدداً من الديانات والعقائد :

أ. الوثنية والشرك :

على الرغم من عدم توفر معلومات عن بداية ظهـور الوثنيـة الا انهـا الديانـة السائدة عند العرب قبل الإسلام ، كما اشار الى ذلك القرآن الكريم [441]، ويشـير الباحثون الى ان هذه الديانة كانت في الاصل عبـادة الكواكـب "وان اسمـاء الاصـنام والاله وان تعددت وكثرت فانها ترجع كلها الى ثالوث سماوي هو : الشمس والقمر

والزهرة ، وهو رمز لاسرة صغيرة تتألف من الاب هو القمر ، ومن ام وهي الشمس، ومن ابن هو الزهرة وذهبوا الى ان اكثر اسماء الالهة هي في الواقع نعوت لها (442)، ويلاحظ ثمة ارتباط بين عبادة هذه الاجرام ، وذلك ان الناس كانوا قد صنعوا الاصنام لتكون صورة او رمزاً يذكرهم بالاله الذي يعبدونه فاتخذوها اصناماً وبذلك مثلت الاصنام في نظرهم قوة عليا هي فوق الطبيعية ، واعتقد عابدوها انه قد حلت فيها روح الهتهم المقدسة (443)، ومن ابرز الاصنام التي كان يعبدها غالب العرب عند ظهور الإسلام هي هبل واللات والعزى ومناة ، ويعد هبل من اعظم هذه الاصنام ، وقد لوحظ ان العرب يعتقدون ان هبل كان له علاقة بالرزق والاخصاب ، ويلاحظ ان القرآن الكريم قد اشار الى عبادة العرب اللات والعزى ومناة ، وسخر من اعتقادهم بان هذه الاصنام هي بنات الله فقال تعالى "افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ، الكم الذكر وله الانثى" (444). ولم تقتصر العرب على هذه الاصنام فقط ، بل اشارت المصادر الى عبادتهم لاصنام اخرى مثل أساف ونائلة ومطعم الطير ومناف وقزح ، فضلاً عن وجود اصنام اخرى كان يعبدها قوم نوح واستمرت عبادتها عند العرب وهي سواع ويغوث ويعوق ونسر (445).

ان شيوع الوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام ، التي قامت على فكرة عبادة مظاهر الطبيعة كالارض والسماء والنجوم والكواكب ، ولما كان العرب يعتقدون بوقوعهم في حياتهم تحت تأثيرها ، لذلك حرصوا على ارضائها اجتلاباً لخيرها فاتخذوا لها اشكالاً مختلفة في بيوت واشجار واحجار مصورة تمثل انساناً او حيواناً واخرى غير مصورة ، وصاروا ينظرون اليها على انها رمز للطبيعة ، ومن ثم اصبحت معبودات لهم ، كانوا يطوفون حولها ويتاجرون عندها ويعدون المكان الذي فيه المعبود حرماً يحرم الاتيان فيه باشياء معينة (446)، ومن العرب من كان يعبد الاصنام ومنهم من كان يعبد الاوثان وهي الجماد والحجر وكانت خالية من الصنيعة والفن ويصف ابن الكلبي اهل مكة فيقول"كان لاهل كل دار من مكة صنم في دارهم

يعبدونه فاذا اراد احدهم السفر كان اخر ما يصنع في منزله ان يتمسح بـه،واذا قـدم من سفره كان اول ما يصنع ان يتمسح به ايضاً" [447]، ولم تكن الحيض من النساء تدنو من اصنامهم ولا تمسح به ، انما كانـت تقـف في ناحيـة منهـا [448] وكـانوا يسمون ذبائح الغنم التي يذبحون عند اصنامهم وانصابهم تلك العتائر ، والمذبح الذي يذبحون فيه يسمى العتر [449]، يقول زهير بن ابي سلمى :

فزل عنها واوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمى راسه السك [450]

وكانت هذه الالهه حاضرة في حـروبهم يستلهمون منهـا النصـر ففـي احـدى المعارك المهمة في حرب الفجار نصب اللات قبل المعركة خبـاء او بيـت ليتخـذ محـلاً لاله الطائف ، وكان مدار الخباء يمثل حد حرم منيع لايمكن خرقه فيظـل مـلاذاً آمنـاً للاجئين ، وحاولت ثقيف ان تجعل من وثنها منافساً للكعبة حتى انهـا اطلقـت علـى الوثن اسم (الربة) [451] .

اما مناة فقد كانت اقدم هذه الاوثان الثلاثة كما يذكرها ابن الكلـبي ، وكانـت العرب جميعاً ، لاسـيما الاوس والخـزرج وسـكان يثـرب (المدينـة) يعظمـون منـاة ويذبحون ويهدون لها ، وكانوا يسمون (عبد مناة) و (زيـد منـاة)[452] ، وكلمـة مناة مشتقة من المنية فكانت الهة القضاء والقدر وهي بهـذا الوصـف تعـد مـن اقـدم مظاهر الحياة الدينية ، وظلت مناة قائمة حتـى خـرج الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وسلم الى مكة فاتحاً سنة 8 هـ [453] .

مما تقدم نجد ان العرب كانت تعتقد ان هذه الاصنام تجلب على عابديها الخـير الوفير فتكون السبب في اطعامهم وارووائهم ، فضـلاً عـن انهـا تتصـف بقـوة عظيمـة فتحارب الى جانب اتباعهم وتقودهم الى النصـرة في الحـروب ، زد علـى ذلـك انهـا تحمي الجوار وترعى الحمى ، ولكن لدينا شواهد اخرى على بعـض الحـوادث والـتي دلت على استهانة بعض العرب او رفـض احترامهـا وتقديسـها ، ومـن هنـا نجـد ان العادات والتقاليد الاجتماعية عنـد بعـض العـرب قبـل الإسـلام ، قـد تغلـب علـى

اعتقادهم الديني ، فهم بحسب طبيعة حياتهم ، يغلبون مصالحهم واهواءهم على معتقداتهم اذا ماتعارضت معها ، ومما يؤكد ان التقاليد الاجتماعية عند بعض الاعراب ، قد تفوق ايمانهم بآلهتهم على الرغم من قوتها وسطوتها ، ما جاء عن صنم الفلس الذي كان له حمى لايستطيع احد ان يعتدي عليه ، فطرد سادنه يوماً ناقة لامرأة ، كانت في جوار احد اشراف العرب ، وكان من عبدة الفلس وادخلها في حمى الصنم فاشتكت المرأة لهذا الشريف ، فركب جواده واسرع الى السادن "وقال له : خل سبيلها قال : اتخفر الهك ؟ فبوأ له الرمح ، فحل عقالها ، وانصرف بها الشريف "(454) فاقبل السادن على صنمه يستجير به ، ويحرضه على ذلك المعتدي الاثيم، وانشد قائلاً :

يارب ان مالك بن كلثوم اخفرك اليوم بنابٍ علكوم

وكنت قبل اليوم غير غشوم (455)

اما الطفيل بن عمرو الدوسي فانه يذهب الى صنمه ذي الكفتين ويضرم فيه النار ، فلا يلبث ان يتحول الى رماد فيخاطبه قائلاً :

ياذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا اقدم من ميلادكا

اني حشوت النار في فؤادكما (456)

واذا كان العرب قبل الإسلام قد اعتقدوا المنفعة في اوثانهم ، فانهم اعتقدوا الاذى ايضاً ، لذلك قدموا النذور والقرابين والهدايا طلباً لرضاها ، فالاله باعتقادهم تستطيع صب جام غضبها وتلحق لعناتها بمن كانت تنصرهم ، اذا ما اخطؤوا في حقها اواعتدوا على حرمتها (457). ويروى ان امرأة رومية تدعى(زنيرة) كانت بمكة فاسلمت ثم عميت فقال المشركون اعمتها اللات والعزى وقالت قريش : ماذهب بصرها الا اللات والعزى (458).

ومهما يكن من امر الاصنام في الجزيرة العربية فقد كانت مكة قلبها النابض وتعج داخل حرمها بالاصنام ، واشتهرت ابان عصر ماقبل الإسلام بكثرة حفلاتها الدينية ولاسيما ايام الاعياد ، فتزدحم شوارعها بالمتفرجين وتسير مواكبها الدينية فتتابعه القطوف بحجارة الاحياء وفيها ترى جمالاً مترنحة حاملة القباب المتمايلة الفاقعة الالوان يقودها زعماء القوم ويسير وراءها على الجمال ايضاً نساء قريش وقد حللن الشعور وضربن الدفوف [459] ، وعلى الرغم مما تقدم ، الا ان العرب قبل الإسلام حافظوا على تعظيم البيت والطواف به والحج اليه واهداء البدن [460].

ويبدو من جملة الطقوس الدينية التي مارسها العرب اتخاذهم طريقتين للتقرب الى الله او الاصنام : الاولى : تقديم القرابين الحيوانية بذبحها ، والثانية : وقف القرابين الحيوانية ايضا لالهة الصنم ، فتقرب ابراهيم الخليل عليه السلام بالخبز ثم امره الله بذبح العجل والعنز والكبش الذي افتدى به ابنه اسماعيل عليه السلام ، ثم تبع العرب سننه [461]، وقدم العرب كل انواع القرابين وحتى البشرية منها ، فعبدالمطلب اراد ذبح ابنه عبدالله ، ثم فداه بمائة من الابل كما ذكرنا ، ومارس العرب طقوس متنوعة مصاحبة لذبح القرابين مثل الغناء والرقص وغير ذلك مما مارسه عرب شمال الجزيرة مثلاً [462].

اما وقف الحيوان كما ورد في القرآن الكريم "ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لايعقلون" [463]. ان هذه المعتقدات كلها ليس لها هدف ديني محض ، بل ان لها فائدة مادية تعود على اصحابها بالنفع من حيث تخصيص بعضها للضيوف ، وقد يكون للحام حالة انسانية يعطف من خلالها على الحيوان ، ان العرب قبل الإسلام كانوا يقدمون هذه القرابين اذا ارادوا ان يختنوا غلاماً او ينكحوا منكحاً او يدفنوا ميتاً او اذا شكوا في نسب احدهم او ارادوا سفراً او تجارة او استخارة في نازلة او خلاف او مقصد ذهبوا الى هبل وكان صنماً في جوف الكعبة [464].

وتداخلت مع عبادة الاصنام بعض المعتقدات الاجتماعية التي تدخل ضمن الجانب الغيبي اذ كان لهذه المعتقدات بعض الاثار الاجتماعية في حياة العرب قبل الإسلام من قبيل الضرب بالقداح او الاستقسام عندها او التحكيم لديها ، فكانت في جوف الكعبة عند هبل سبعة اقداح مكتوب في اولها (صريح) والاخر (ملصق) فاذا شكوا في مولود ، اهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح ، فاذا خرج (صريح) الحقوه ، وان خرج ملصق منعوه (465). وعلى الرغم من الاهمية التي يعقدها العرب في مسألة الاستقسام والقداح عند الاصنام ، الا انه لم يعقد عليها ذلك الالتزام فسرعان مايثور عليها اذا لم تلّبِ رغبته في بعض الاموال كما مر ذلك سابقاً ، واذا كانت الالهة اقدر من البشر كان من اللازم التودد اليها بشتى الطرق المعبرة عن معاني التقرب والتحبب والتعظيم لتمن عليه بالبركة والسعد وكل خير يشتهيه ، واهم مايقرب الانسان الى الالهة النذور والقرابين والمنح والعطايا ومنها الذبائح وهناك مواضع معينة هي خزائن تتجمع فيها النذور والهبات من ذهب وفضة ، وكانوا يعلقون السيوف والملابس الثمينة على الاصنام تقرباً اليها ووفاء بنذور نذروها لها،يضاف الى ذلك المأكل والمشرب لاعتقادهم انها تسر الاله وتفرحها (466).

وبالنظر لمكانة الالهة في نفوس العرب فقد اقاموا لها البيوت المقدسة ويبدو ان نظرة العرب الى بيوت الالهة ترتبط بنظرتهم الاجتماعية من خلال الاهتمام في بنائها للبيوت وزخرفتها وحسن مظهرها والتنظيم ، لان المعبد الضخم يدل على قوة الاله فينظر الناس اليه بعين الاجلال ، فضلاً عن عدم بناء بيوتهم بجوارها ولا يرفعونه على البيوت المقدسة ، ويتحاشون التربيع لكيلا يشبهها (467). وكانوا يعدون طهارة الملابس وطهارة الجسم من الامور اللازمة لمن يريد الدخول للمعبد وبخلافه يعد نجساً وآثماً ، وكان خلع الخف او النعل من المراسيم المهمة التي تؤخذ بالحسبان عند دخول البيوت المقدسة تعظيماً لها (468).

خلاصة قولنا لم يكن للعربي الوثني حظ وافر من امور الدين كما تقدم ، فضلاً عن الشعر العربي قبل الإسلام ، فقد كان عديم التنبه للدوافع الروحية بل كان قليل الاكتراث بالدين ، وكان في ممارسته لبعض الطقوس الدينية انما ينساق بقوة الاستمرار ويجري امتثالاً لاحكام العرف والتقليد ، ولم نسمع عن حدوث حروب بين القبائل

بعضها مع بعض بسبب الدين مع كثرة هذه الحروب [469]، فالعربي لايميل الى امور معقدة فهو لايذهب الى التفكير فيما بعد الطبيعة بل يستفيد من كل شيء سهل الحصول لديه [470]. فكان التنقل من اله الى اله ومن دين الى دين شائعاً بين العرب وكان يحدث بين الافراد ويحدث بين القبائل اذ ترفض القبيلة برمتها ديناً لتختار ديناً غيره ، وهذه من امارات الخلط والتخبط بالعقيدة وفي التفكير الديني ، ومن اجلى مظاهر ضعف العاطفة عند الوثنين العرب انهم لم يكونوا على امر جامع من عقائدهم اذا ما استثنينا الحج ، وليست لاصنامهم فاعلة تسيطر على عقائدهم بل كانت وثنيتهم ساذجة لاتتجاوز تقليد الاباء كما في قوله تعالى "انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون" [471].

وكانت مقاليد الوثنية العربية بايدي الكهنة والعرافين فكان العرب يعتقدون في الكاهن،انه قديسهم الديني وقدوتهم الصالحة وعالمهم الحكيم، فضلاً عن ما كان للكهانة من دور في رسم صورة تاريخية واجتماعية والى ذلك كان الكهنة يقومون بدور التحكيم في حل بعض المنازعات ، ومن قبيل ذلك مفاخرة امية بن عبد شمس وهاشم بن عبد مناف على خمسين ناقة،وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي [472].

ومقابل تلك المكانة التي كان يمثلها الكاهن ، الا انه كان في مواقف معينة موضع تهكم الشعراء ، بل ادى بعضهم الى ان يلقي حتفه بنفسه ، ومن هذا القبيل تهكم قبيصة بن ضرار الضبي على احد الكهان وهو ضميرة بن لبيد الحماسي الكاهن الذي خر صريعاً بطعنة من رمح قبيصة بن ضرار الضبي فقال له الاخير : الا اخبرك تابعك بمصرعك اليوم [473] وللكهانه علاقة وثيقة بالعرافة ، وان هناك صنف من الكهنة يقوم بالتنبؤ لمعرفة ماسيحدث في المستقبل [474] ، لقد تعبدت قريش جميع اصنام القبائل العربية ، ونعتقد ان السبب وراء ذلك كان بدافع ترغيب الاعراب في تقديس اصنامها ولتشجيعهم على زيارة الكعبة وبذلك يتحقق استمرار مصالح قريش المادية وتجارتها واكتساب المكانة الروحية والاجتماعية للهيمنة على جميع العرب دينياً ، وعلى الرغم من تفوق يثرب والطائف جغرافياً ، ولكن وجود البيت

الحرام وفر لاهل مكة الكثير من الامتيازات الاجتماعية والدينية وهذا بدوره انعكس على وحدة المجتمع المكي وظهور الاستقرار الداخلي وانتشار الامن والهدوء ، فلقد التقى اهل مكة على مفهوم ديني موحد هو سدانة الكعبة .

ب. الحنيفية :

على ان ذكر الله كان امراً شائعاً قبل الإسلام ، ولانكاد نظفر بشاعر منهم لم يذكره في شعره على حين قل ذكرهم للاصنام ، يقول الاعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا [(475)]

وروى لعبيد بن الابرص :

من يسل الناس يحرمره وسائل الله لايخيب [(476)]

وقول زهير بن ابي سلمى :

فلا تكتمن الله مافي نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم [(477)]

والحنيفية من كان على دين ابراهيم عليه السلام وكان العرب قبل الإسلام يقال "من اختتن وحج البيت حنيف لان العرب لم تتمسك بشي من دين ابراهيم غير الختان وحج البيت" [(478)]. ويذكر الزجاجي الحنيف في الجاهلية (قبل الإسلام) من كان يحج البيت ويغتسل الجنابة ويختتن،فلما جاء الإسلام كان الحنيف المسلم [(479)] اما ابو عبيدة فيذكر "ان الحنيفية عند العرب حج البيت وبعض مسائل الفطرة" [(480)].

ان المتأمل لما ورد في الشعر العربي قبل الإسلام ويتعمقه يجد ان مفهوم (الله) عند العربي كان يختلف كل الاختلاف عن مفهوم الصنم ، وعلينا أن نعيد الى الاذهان ان التوحيد في جزيرة العرب اقدم بكثير من الوثنية وظل معروفاً فيها .

لم يقم الفكر الديني عند العرب قبل الإسلام على اساس الايمان بالمبادىء الوثنية وانما كان بجانب ذلك اعتقاد قوي بالله عز وجل ووجد له سنداً قوياً بما قدمته الديانتان اليهودية والمسيحية ، فضلاً عن البقايا التوحيدية القديمة كالديانة الابراهيمية

الحنيفية [481]، وقد مارس الوثنيون طقوس دين ابراهيم عليه السلام مع شركهم، وعظموا الاشهر الحرام وانكروا الفواحش وعاقبوا على الجرائم، ومن انواع عبادة التوحيد قبل الإسلام التحنث وهو التقرب والانقطاع الى الله وممن تحنث الى الله عبد المطلب بن هاشم ثم ورقة بن نوفل، وتحنث البعض الاخرة الى الله بطريقة اخرى مثل حكيم بن حزام الذي تحنث بواسطة صلة الرحم والتصدق [482]، ان العقلية العربية لم تفهم او عاجزة عن فهم الاله الواحد فهم لم يعرفوا معنى التوحيد من اساسه، ان طبيعة البلاد العربية لم تدع الى نشوء فكرة التوحيد، وان وحدانية اليهود والنصارى لم تكن اكثر من وثنية العرب، فالعرب لم يتأثروا باليهودية والمسيحية في فكرة التوحيد بل تأثروا بفلسفتهم الوثنية الى حد ما، فنرى ان الإسلام لم يتطور من درجة الى درجة بل نشأ مستقلاً بذاته فان إله الإسلام رب العالمين وليس رب قريش فقط [483] وهذا اوس بن حجر يقسم بلله ويقسم بالاوثان على الرغم من ايمانه بالله قائلاً :

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله ان الله منهن اكبر [484]

وعلى الرغم من ان اهل الحجاز كغيرهم من العرب قد استبدلوا بدين ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام ديناً غيره، الا انه كان لايزال فيهم بقايا ملة ابراهيم ويتنسكون بها "من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واقراء الضيف وتعظيم الاشهر الحرم وانكار الفواحش والتقاطع والتظالم مع ادخالهم في ذلك ما ليس فيه" [485].

خلاصة القول ان ظهرت الحنيفية والعودة بها الى دين ابراهيم عليه السلام حيث جاءت هذه الحركة الاصلاحية نتيجة سوء احوالهم الدينية، فجرت المحاولة للارتقاء من الوثنية الى اعتقادات أرقى والتخلص من عادات قبل الإسلام ان فكرة نبذ عبادة الاوثان والتخلص من العادات السيئة قبل الإسلام والرقي بالعقيدة والسمو بالانسانية، هي حلقة في سلسلة التطور الديني والفكري في تاريخ العرب [486].

ولم تكن للعقيدة الدينية الوثنية اثر كبير في النفسية العربية قبل الإسلام ، لان نفوس هؤلاء ذات طبيعة قاسية مستقلة ، ولعل العرب لم يشعروا بالعاطفة الدينية الابعد ذهاب الشباب وحلول المشيب[487]، ان عبدة الاوثان لم يكن عندهم وازع ديني، والمقيمون في مكة كانوا اكثر العرب اكتراثاً للدين ، لانه كان يرد عليهم ارزاقاً ، ولانهم مقيمون بجوار الكعبة على مرأى ومسمع من الاصنام والسدنة والكهنة ، وتجاراتهم انما تدور حول موسم الحج والاعياد التي تسبقه وتلحقه ، والاسواق التي تصحبه او تعقبه[488]

ج . الحج

يعد الحج من اهم تقاليد العرب الدينية قبل الإسلام بامد طويل اذ كان لتقاليده علاقة قوية واثر كبير في حياتهم الاجتماعية وكان شاملاً لجميع العرب على اختلاف عقائدهم وعباداتهم وبيئاتهم[489]. ولمكانة الحرم في نفوس العرب قبل الإسلام فانهم كانوا يضعون له حدوداً تشير الى نهايته ومن يدخل هذه الحدود يصبح آمناً ، ويعد الاعتداء في الحرم نوعاً من الكفر والفجور ولذلك نجد العرب قد ارخت بعام الغدر بسبب ماحدث فيه من اعتداء داخل الحرم[490] ، وصانت قريش حرمة الكعبة والحرم ، فلم تسمح قريش لعابث ان يمسها بشيء ، فيروى ان احد الاطفال قد هتك ستار الكعبة في اثناء لعبه ، فقام اليه عبد شمس بنفسه وامسك به صائحاً في قريش كلها يؤنبها على فعلة هذا الطفل ، فاشار عليهم هاشم بقطع يد الصبي اذا كان بالغاً الحلم والا يكتفي بضربة فضرب الصبي على فعلته هذه ضرباً شديداً[491] ، ولشدة اجلال العرب واعزازهم للبيت العتيق وارض الحرم كان الرجل منهم يلقى قاتل ابيه او احد ذويه في ارض الحرم او في الشهر الحرام ولا يعترضه بشر[492] ، وكانوا لايدخلون الكعبة باحذيتهم وقد سن لهم الوليد بن المغيرة خلعها ، وبلغ من تقديس الكعبة ان الحوائض من نساء العرب قبل الإسلام لايدنين من الكعبة ولايمسحن باصنامها بل يقفن بعيداً عنها[493] ، ويعد موسم الحج من اكبر المحافل

الاجتماعية في مكة ، فضلاً عن وظيفته الدينية حيث يفد اليها اعداد كبيرة من العرب وغيرهم ، لغرض اداء طقوس الحج وممارسة النشاط الاقتصادي من طريق التجارة والتكسب في اسواق مكة المرتبطة بموسم الحج ولاشك ان الاعداد الكبيرة من الحجاج الذين يفدون الى مكة كانت لبعضهم علاقات اجتماعية مع اهل مكة كالمصاهرات وعلاقات الصداقة والمعاهدات والاحلاف ، وكان البعض يحل ضيفاً على من تربطه به علاقة صداقة من اهل مكة والاقامة عنده عدة ايام حتى تنقضي ايام موسم الحج (494) ونجد ان اهل مكة كانوا يتضامنون في القيام بواجبهم تجاه الوافدين من خلال الترحيب والاكرام وتوفير الطعام والشراب لهم ، فقد كانت دور سادات قريش مشرعة الابواب امام الضيوف(495) . فضلاً عن قيامهم بعملية الرفادة والسقاية والحجابة ، ولقد انطوى في تقاليد الحج تقليدان عظيمان يسبغان على الحج وموسمه الروعة والامن ويدلان على مدى تأثيره في نفوس العرب وحياتهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية "اولهما: تقليد من منطقة الكعبة التي هي منطقة مكة وتحريم القتال فيها في كل وقت فيها ومهما كانت الاسباب ، وثانيهما : تقليد الاشهر الحرم بحيث يكون القتال وسفك الدماء محظورين فيها"(496)، ووردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير الى الحج وتقاليده وشعائره منها قوله تعالى" واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود، واذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات "(497)

لقد كان يفد على مكة من كل صوب وحدب فيلتقون في موسم الحج واسواقه وفي ظل الاشهر الحرم ويجتمعون ويتعارفون ، ويتبايعون ويتشاورون ويتناشدون الاشعار ويعقدون المجالس للمفاخرات وحل المشاكل ، فضلاً عن كونه مظهراً قوياً بارزاً من المظاهر الاجتماعية فقد سنحت للعرب فرصة لحركة سياسية واجتماعية وفكرية وادبية ، وكان العرب يسبغون على حرمة الاشهر الحرم وهدنتها

صفة تقدسية ويصبغونها بصفة دينية ، فضلاً عن اعتقادهم بان الاخلال بحرمتها وقداستها يجلب لهم الشر والنحس ، زد على ذلك فان العرب ارادوا من وراء هذا التحريم تضيق نطاق القتال والحروب والاحقاد بينهم ، وتوثيق عرى الالفة والاتحاد بينهم تمهيداً لايجاد تضامن عام في كيان واحد ، وورد في قوله تعالى "ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم "(498)، وسمي من حارب في الاشهر الحرم المحلون(499) ، وشكلت التلبيات والاختلاف بينها وفي تنوع الاصنام ، قد يكون مظهراً من مظاهر الانقسامات السياسية والصراعات القبلية ، فاصبحت لكل قبيلة وبمرور الوقت تلبية خاصة ، وتمثل هذه التلبيات الواقع الاجتماعي والاقتصادي للقبيلة ، ابتداء من وصف رحلة الحج ومتاعبها وانتهاءاً بالمشاكل التي تعاني منها القبيلة (500)، ناهيك بما يمكن ان يكون لهذا كله من اثر اجتماعي وادبي عظيم في العرب الذين تفرقوا الى منازلهم وقد امتلأت جعباتهم بالاخبار ، وذاكرتهم بالاشعار والخطب والكلمات ، واكتظت اذهانهم بمختلف الصور والمشاهد مما ساعد على تقريب العرب بعضهم من بعض وتوحيد لغتهم .

د. الحمس(501):

ان وجود الحرم في مكة اعطى الحق لقريش واهل مكة والذي رأوا في انفسهم منزلة ارفع من منزلة باقي العرب ، وذلك لمجاورتهم بيت الله الحرام ولرعايتهم المناسك والشعائر ولاهتمامهم بشؤون الحجاج في معظم الحالات ، كل هذا زاد من اعلاء شأن قريش حتى كناهم العرب (اهل الله)(502) ، فضلاً عن ذلك فانهم كانوا يرون ان سكنهم منحهم مزايا خاصة ، فكانوا يقولون ليس للعرب مثل حقنا " ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل للحمس ويحرم عليهم ما يحرم على الحمس "(503) ، وقد الزم الحمس انفسهم بامور جعلوها خاصة بهم فاوصوا على انفسهم الا يطبخوا قطاً ، ولا

يسلؤوا سمناً ولا يدخروا لبناً ولا يمسوا دهناً ، ولاياكلوا لحماً ولا شيئاً من بنات الحرم ، ورفضوا ان ينسجوا شعراً او وبراً او صوفاً ، ورأوا الا يلبسوا الا جديداً ، وفي المسكن كانوا في حجهم لا يدخلون بيتاً من شعر ، ولايستظلون اذا استظلوا الا في بيوت الادم ، فضلاً عن ذلك فانهم كانوا لايلجون البيوت من ابوابها [504]، وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى " ... وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى ، واتوا البيوت من ابوابها ... " [505]، وكذلك فقد جعلت قريش من هذا الحمس انضواء الكثير من القبائل العربية الى قريش من خلال هذه الزيجات ، وبذلك جعلت قريش من الحمس حلف ديني يميزه عن الاحلاف القبلية ويضم قبائل كنانة وقريش وخزاعة وطوائف من بني عامر بن صعصعة [506]، ويروى عن ظويلم الذبياني من انه لقب (مانع الحريم) لانه خرج قبل الإسلام يريد الحج فنزل على المغيرة بن عبدالله المخزومي ، فاراد المغيرة ان يأخذ منه ما كانت تأخذه ممن نزل عليها، فامتنع عليه ظويلم مستعيناً عليه بحرمة مناسك الحج ومشاعره وبالله القدير الذي هو القصد والغاية من الحج [507].

وقد افاد الحمس ايضاً حين اصبح كل من ولد من نسائهم على نهجهم في ديانتهم ، فان لم يكن متحالفاً معهم فهو على الاغلب ميال اليهم ، ويبدو ان الانتساب الى الحمس كان يعد انذاك مفخرة كبيرة ، فحينما كان بنو عبس حلفاء لبني عامر بن صعصعة وهم من الحمس في يوم جبلة ، افتخر لقيط بن زرارة بذلك التحالف وجعل بني عبس من الحمس لمحالفتهم اياهم [508] ، وكانت النساء من غير القرشيات ينذرن تحميس ابنائهن ، وتحمست النساء القرشيات واتخذن لتحمسهن شعائر وعلامات مناسبة لطبيعة المرأة ، فالاحمسيات لاينسجن ولايغزلن ولايسلئن السمن [509] ، وهنا لابد من القول حول تاثير الديانتين النصرانية واليهودية ، لقد كان من تأثير هاتين الديانتين حسب ما نعتقده لم يتجاوز الحدود الضيقة ان لم يكن يتجاوز الحوادث الفردية ، لانه لم يكن كيان واسع النطاق في بيئة العرب قبل الإسلام، كما هو الامر بالنسبة الى يهود يثرب الذين وجدوا قبل الإسلام بزمن طويل

مما كان لهم من تمكن اجتماعي واقتصادي وزراعي ومن اندماج وثيق بالحياة العربية ، وعدم انتشار اليهودية لدى العرب بنطاق واسع لايعني ان العرب كانوا في عزلة عن تأثيرها بل تأثروا بها سواء في تطور الفكرة الدينية في ما كان عندهم من معلومات وعادات وافكار حملت الصبغة الدينية مثل ابناء الانبياء والرسل وقصصهم مع اممهم ، وماكان عندهم من كتب ومناصب دينية وما كان في كتبهم من صفات وتقاليد وسواء في الطقوس والعادات المتنوعة (510).

ومما تقدم لابد من القول ان العرب ، الا ان للديانة اثر كبيراً في حياتهم الاجتماعية ، وخير مثال على ماذهبنا اليه ما قام به عبد المطلب من افعال فقد رفض عبادة الاصنام ، ووحد الله عز وجل ، ووفى بالنذر، وسن سنناً ، نزل القرآن باكثرها وجاءت السنة بها وهي الوفاء بالنذور ، ومائة من الابل في الدية ، والا تنكح ذات محرم ، ولاتؤتي البيوت من ظهورها ، وقطع يد السارق ، والنهي عن قتل المؤدة والمباهلة وتحريم الخمر وتحريم الزنا وتعظيم الاشهر الحرم والا ينفقوا اذا حجوا الا من طيب اموالهم ، ونفي ذوات الرايات وغيرها(511) ، زد على ذلك شخصيات اخرى غير عبدالمطلب كثيرة من العرب ، كانوا مستنيرين فطنوا الى سوء حالتهم الدينية وحاولوا الارتقاء بالجانب الديني الى اعتقادات ارقى منها حتى انتهوا الى فجر الإسلام ، لكننا سنجد انفسنا امام سؤال له اهمية كبيرة على مانعتقد ، هل كان العرب يحرمون الخمر والزنا ، فضلاً عن افعال اخرى كان بدافع ديني ام هو بدافع اخر وللجواب على هذا السؤال لابد من القول ان للديانة اثر في الحياة الاجتماعية ، ولكن ما نعتقده ان العرب حرموا كثيراً من العادات والتقاليد لسبب اجتماعي ، فضلاً عن اسباب اخرى مثل الاقتصادي او السياسي ، فيروى ان العباس بن مرداس سئل "لم لاتشرب الخمر فانها تزيد من جرأتك فقال : ما انا بآخذ جهلي بيدي ما ادخله في جوفي واصبح سيد قومي وامسي سفيههم" (512) ، وكان عثمان بن مضعون قد حرم الخمر قبل الإسلام وقال لااشرب شراباً يذهب بعقلي ويضحك بي من هو ادنى مني وازوج كريمتي من لااريد (513).

مما تقدم نستنتج ان تأثير ذلك الدين كان حالة متداخلة ، فنجد احياناً ان تـأثير الدين على المجتمع كبيراً ، وفي احيان اخرى نجد ان التأثير لايكاد يذكر ، فضلاً عن ان تحريم العرب لما تقدم نستطيع القول انه رقي وتطور في السلوك الاجتماعي للعـرب ، ومهما يكن من امر ديانة العرب قبل الإسلام ، فلابد من القـول وعلـى الـرغم مـن معرفة العرب الى الهة مادية معروفة مثل الشمس والقمر وزحل وعطارد وغيرها مـن الاجرام السماوية ، كما كانت لهم آلهة هي نعوت تعبر عن امور معنوية مثل (ود) و (رحمن) وكانت الجبال تؤثر في حياة الناس ، وكان للشـاعر والكهـان اثـر في حياتـه الاجتماعية ، فكان من تأثير أساطيرهم جبل ابي قبيس انه يزيل وجـع الـراس ، ولم تكن الشجر اقل شأناً في حياة العرب الاجتماعية [514]

ان المعبودات المادية كانت اكثر مظاهر الشرك ، فهـي شـغلت حيـزاً كـبيراً في اديانهم وعقائدهم ، سواء في ذلك الذين عـدّوا معبـوداتهم الهـة وشـركاء مـع الله او الـذين عـدّوها شـفعاء ووسـطاء ، كمـا في قولـه تعـالى "والـذين تـدعون مـن دونـه لايسـتطيعون نصـركم ولا انفسـهم ينصـرون ، وان تـدعوهم الى الهـدى لا يسـمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون" [515] وقولـه تعـالى "واذ قـال ابـراهيم رب اجعل هذا البلد امناً واجنبني وبني ان نعبد الاصنام" [516].

الهوامش

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص41 .

(2) ينظر : طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق : كامل بكري وعبدالوهاب ابو النور ، دار الكتب الحديثة ، (مصر ، بلا . ت) ، 3/ 183 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 67 .

(3) الالوسي ، بلوغ ، 1/ 371 .

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 505 مادة (صبح).

(5) ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 505 مادة (صبح).

(6) ابن حبيب ، المنمق ، ص 424 ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، 1 / 152 .

(7) ابن هشام ، السيرة ، 1/ 143ـ144 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، 1/ 58.

(8) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 5/ 185.

(9) ابن بكار ، الزبير (ت256هـ) ، الاخبار والموفقيات ، تحقيق : سامي العاني ، مطبعة العاني ، (بغداد ، 1972) ، ص 145 ـ 146 .

(10) الزبيدي ، تاج العروس ، 2/ 318 مادة (جرد) ، 8/ 311 مادة (رزم) ؛ الالوسي ، بلوغ ، 1/ 384 .

(11) ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله المالكي (ت463هـ) ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، على هامش الاصابة في تميز الصحابة ، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1328) ، 3/ 352 .

(12) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 393.

(13) علون انطاكية : ثياب مما ينسج بانطاكية وهي من مدن الشام المشهورة بجنة يثرب ، والجنة في عرف العرب البستان من النخيل . ينظر : شرح ديوان امرؤ القيس ، ص33 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 68،71 .

(14) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 198ـ204 .

(15) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 202 .

(16) البخاري ، صحيح ، 5 / 2075 ؛ الذهبي ، ابو عبدالله محمد بن احمد (ت748هـ) ، الطب النبوي ، تحقيق : احمد البدراوي ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، 1984) ، ص90ـ91 .

(17) ابن ماجة ، السنن ، 2/ 1106 .

(18) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، 5/ 39 ؛ ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 209ـ213. وقد اورد الالوسي اسماء عدد من الاكلات ، شكل التمر الاساس منها (العيشة) وهو الاقط يخلط بالتمر اليابس و (الحيس) السمن مع التمر و (المجيع)وهو التمر مع اللبن ، وهو حلواء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ينظر : الالوسي ، بلوغ ، 1/ 384ومابعدها.

(19) المسعودي ، مروج الذهب ، 2/ 98 .

(20) الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 113 ـ 114 .

(21) الطبري ، تاريخ ، 4/ 401 . كانت المرأة تتخذ غط كالوعاء لحفظ الخبز ونحوه ويسمى (العكم) . ابن سيدة ، المخصص ، 2/ 13 .

(22) الزبيري ، نسب قريش ، ص300 ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص 198 ؛ البلاذري ، انساب ، 1/ 101 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 206 مادة (سخن) .

(23) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 203 .

(24) شرح ديوان امية بن ابي الصلت، ص33 ؛ ابن حبيب،المنمق، ص465؛ الثعالبي، ثمارالقلوب ، ص69 .

(25) الجاحظ ، البيان التبين ، 1/ 19 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 65 .

(26) الجاحظ ، الحيوان ، 4/ 41 ـ 44 .

(27) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 408 ؛ الواقدي ، المغازي ، ص 262 .

(28) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 410 .

(29) الواقدي ، المغازي ، ص255 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 393 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 3/ 202 .

(30) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 391 ؛ الواقدي ، المغازي ، ص256 .

(31) البخاري ، صحيح ، 3/ 49ــ50 ."وربما اضافوا الى طعامهم البصل والثوم" ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 395.

(32) الشوكاني ، نيل الاوطار ، 9/ 29 . ينظر : الدينوري ، ادب الكاتب ، ص96 .

(33) ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 19 مادة (أفن) .

(34) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 272 .

(35) الوليمة : تطلق على كل دعوة تتخذ لسرور حادث من نكاح او ختان وغيرها . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 12/ 643 مادة (ولم) ؛ الالوسي ، بلوغ ، 1/ 385 .

(36) الالوسي ، بلوغ ، 1/ 386 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 70 .

(37) الشندخ : أي يتقدم غيره وسمي طعام الاملاك . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ،3/ 31 مادة (شندخ).

(38) الوكيرة : مأخوذ من الوكر وهو المأوى والمستقر. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، 3/ 387مادة (عذر) .

(39) بلوغ الارب ، 1/ 386 ومابعدها .

(40) عامة (الحفلى) هي التي تعم دعوتها ، (والنقرى) وهي التي تكون دعوتها خاصة ، وكان يقال للداخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع (الوارش) والداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع (الواغل) ، والذي يأتي مع الضيف ولم يدع يسمى (الطيفن) ، ويسمى الذي يتشمم الطعام ويحرص عليه (الارشم) . ينظر : ابن قتيبة الدينوي ، ادب الكاتب ، ص171ـ172 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 6/ 226 .

(41) طلس ، اسعد محمد ، الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، لسنة 1951 ، ص272 .

(42) الزبيدي ، تاج العروس ، 7/ 351 مادة (رمل) . جواد علي ، المفصل ، 5/ 67.

(43) المسعودي ، مروج ، 2/ 190 . ينظر : جواد علي ، المفصل ، 5/ 68 .

(44) شرح ديوان حسان ، ص221 . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 54 ـ 57 .

(45) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 268 . وفي كلام العرب "ليس في الطعام ولا في النساء سرف" ينظر : عيون الاخبار ، 2/ 234 .

(46) جواد علي ، المفصل ، 5 / 63 .

(47) طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، 3/ 185 ـ 186 .

(48) الخضم : الاكل بجميع الفم ، والقضم دون ذلك . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، 8/ 279 مادة (خضم) ؛ الوشاء ، ابي الطيب محمد بن احمد ، الظرف والظرفاء ، تح : فهمي سع ، عالم الكتب ، (بيروت ، 1985) ، ص 105 ـ 106 . ينظر : اداب المائدة في التراث ، نبيلة عبدالمنعم ، بحث القي في منتدى بغداد عام 1991 ، امانة بغداد

(49) ابن قتيبة الدينوري ، ادب الكاتب ، ص137 . ينظر : الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص742 .

(50) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 214 ؛ طاش كبرى زاده ، مفتاح السعاده ، 3/ 193 .

(51) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 220 .

(52) ابن حبيب ، المنمق ، ص426 ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، 1/ 152 .

(53) ابن منظور ، لسان العرب ، 9/ 161 مادة (سلف) ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 6/ 226 .

(54) هم نفر من قريش منهم مسافر بن ابي عمرو بن امية ، وزمعه بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبدالعى ، وابو امية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص 137؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص 79

(55) الزوزني ، شعراء المعلقات ، ص180 .

(56) الفاسي ، شفاء الغرام ، 1/ 340 .

(57) الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 114 ح الطبري ، تاريخ ، 2/ 346 .

(58) الفاسي ، شفاء الغرام ،2/ 90 ؛ مؤنس ، حسين ، السيرة النبوية رؤية جديدة ، مجلة الهلال ، ايلول ، القاهرة ، 1978 ، ص 23 .

(59) السمهودي ، وفاء الوفا ، 3/ 952،951.

(60) الترمذي ، محمد بن عيسى (ت279هـ) ، سنن الترمذي ، تح : احمد محمد شاكر وآخرون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) ، 5 / 506 .

(61) دائرة المعارف الاسلامية ،6/ 55 . عبدالله بن خميس ؛ المجاز بين اليمامة والحجاز ، ص255 ، 256 .

(62) الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 114 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 77 .

(63) حافظ وهبة ، جزيرة العرب ، ص135 .

(64) ابن منظور ، لسان العرب ، 14/ 392 مادة سقي) .

(65) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 205 .

(66) الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 223 .

(67) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 205 .

(68) الالوسي ، بلوغ ، 1/ 389 .

(69) البهقي ، احمد بن الحسين (ت 458هـ) ، سنن البيهقي الكبرى ، تح : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة دار الباز ، (مكة المكرمة ، 1994) . ينظر : طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، 3/ 184 .

(70) ابن حبيب ، المنمق ، ص56 .

(71) شرح ديوان حسان ، ص80 ، 81 .

(72) الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص158 .

(73) شرح ديوان الاعشى ، ص186 .

(74) ابن حبيب ، المحبر ، ص237 .

(75) ابن حبيب،المنمق، ص54 (ممن حرم الخمر والسكر والازلام قبل الاسلام).ابن حبيب، المحبر،ص237 .

(76) ينظر ابن حبيب ، المحبر ، ص237 ؛ المنمق ، ص531 .
(77) الزبيري ، نسب قريش ، ص292 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 8/ 378 .
(78) ابن سيدة ، المخصص ، 2 / 149 ؛ الالوسي ، بلوغ ، 1/ 394 .
(79) ينظر : ابن سيده ، المخصص ، 2/ 149 ؛ الزبيدي ، تاج ، 4/ 76 0 كاز) . الكوز : كل مايدار على القوم يدار يميناً ؛ طاش كبرى زاده ، مفتاح السعادة ، 3/ 184.
(80) ابن منظور ، لسان العرب ، 6/ 248 مادة (هرس) .
(81) جواد علي ، المفصل ، 5/ 48 .
(82) الالوسي ، بلوغ ، 3/ 404 .
(83) الميداني ، مجمع الامثال ، 1/ 66 .
(84) شوقي ضيف ، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص213 .
(85) شرح ديوان امية ، ص32 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 7 / 346 مادة (طوط) .
(86) الالوسي ، بلوغ ، 3/ 406 .
(87) ابن سعد ،الطبقات ، 1/ 459 .
(88) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 458 ، 462 .
(89) ابن منظور ، لسان العرب ، 4/ 53 مادة (كسا) ؛الجبوري ، يحيى ، الملابس العربية في العصر الجاهلي ، دار الغرب الاسلامي ، 0 بيروت ، 1989) ، ص193 .
(90) جواد علي ، المفصل ،5/ 49،47 ؛ ول ديوارنت ، قصة الحضارة ، 3/ 8،7 .
(91) الجبب : ضرب من مقطعات الثياب والجبة من اسماء الدرع قال الشاعر :

لنا جبب وارماح طوال بهن نمارس الحرب الشطونا .

ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 249 مادة 0 جبب) ؛ ابن سعد ، الطبقات ،1/ 450 .
اما البرود : مفردها البرد ثوب فيه خطوط وخص بعضهم به الوشى . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 3/ 87 مادة (برد) .
(92) ابن سلام ، طبقات الشعراء ، 1/ 225 ؛ يحيى الجبوري ، الملابس العربية ، ص 188 .
(93) ابن حبيب ، المحبر ، ص76 .
(94) سورة ابراهيم 14، الآية 50 .
(95) ابن منظور ، لسان العرب ، 8/ 283 مادة قطع؛ الزبيدي ، تاج العروس ، 1/ 172 مادة قطع .
(96) وذلك لان اهل الحرم اول من اتخذ الضرائر وقالوا في الثوب المنسوب اليه حرمي ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 12/ 120 ـ 121 مادة (حرم) .
(97) من ملابس الفرح تحديداً العرس (الخفاء) : رداء تلبسه العروس وهو كساء وكل شيء غطت به هو خفاء . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة 14 / 235 مادة (خفا) وفي اللسان "البس لكل حال لبوسها" ينظر : ابن منظور ، 6/ 203 مادة (لبس) ؛ 1/ 472 مادة (سلب) ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 3/ 96 .
(98) الواقدي ، المغازي ، ص 287 .
(99) سورة الاحزاب 33 ، الآية 59 .

(100) السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص548 .

(101) ابن منظور ، لسان العرب ، 4 / 74 مادة (بقر) .

(102) الفاسي ، شفاء الغرام ، 2/ 97 .

(103) الحميري ، الروض المعطار ، ص380 .

(104) صالح احمد العلي ، الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد / 27 لسنة 1976 ، 2 / 61 .

(105) الترمذي ، سنن الترمذي ، 3/ 319 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 141 .

(106) الهيثمي ، مجمع الزوائد ، 3 / 17 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 473 مادة (سلب) .

(107) الابشيهي ، المستظرف ، 2/ 27 .

(108) الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص241 .

(109) صالح احمد العلي ، الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية الاولى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد 26 ، لسنة 1975 ، ص 77، 78 .

(110) الجاحظ ، البيان والتبين ، 2/ 88 . ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، 3/ 512.

(111) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 456 . ينظر : العلي ، الملابس العربية ، 2/ 69 .

(112) الجاحظ ، البيان والتبين ، 3 / 92 .

(113) ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص44 ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص 165 ح البلاذري ، انساب ، 1/ 141 ، 142 ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص 231 .

(114) جواد علي ، المفصل ، 5/ 49 .

(115) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 1/ 300 ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 3/ 10 .

(116) الالوسي ، بلوغ ، 3 / 408 ؛ جواد علي، المفصل ، ص50،49 .

(117) ابن منظور، لسان العرب،12/ 424 ، 425 مادة (عمم)؛ الزبيدي ، تاج العروس، 8/ 410 مادة (عمم) .

(118) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص 125 .

(119) الجاحظ ، البيان والتبين ، 2 / 88 .

(120) الالوسي ، بلوغ الارب ، 3/ 412 .

(121) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص125 ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 3 / 104 .

(122) شرح ديوان النابغة الذبياني ، ص 53 .

(123) ابن قتيبة ، المعارف ، ص 241 ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 3/ 106 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 56 .

(124) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص107 .

(125) الالوسي ، بلوغ ، 3/ 415 .

(126) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص 107 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5 / 56 .

(127) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 350 ـ 351 ؛ ابن شبه ، تاريخ المدينة ، 2/ 579 .

(128) الجاحظ ، البيان والتبين ، 3 / 106 ؛ الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص 103 .

(129) الميداني ، مجمع الامثال ، 3 / 409 .

(130) الزينة ماتزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهراً منها كالخاتم والخضاب وماخفي منه كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط . ينظر : الشوكاني ، نيل الاوطار ، 6/ 113 (دار الحديث)

.

(131) ابن منظور ، لسان العرب ، 13/ 202 مادة (زين) ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، 9/ 229 مادة (زين) .
(132) جواد علي ، المفصل ، 7/ 562 .
(133) ينظر الفصل الثالث من هذه الرسالة .
(134) الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص 176 .
(135) شرح ديوان النابغة ، ص43 .
(136) جواد علي ، المفصل ، 7 / 562 .
(137) ابن منظور ، لسان العرب ، 2 / 292 مادة (دملج) .
(138) شرح ديوان طرفة ، ص33 .
(139) شرح ديوان عنترة ، ص111 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 276 مادة (دملج)
(140) ابن منظور ، لسان العرب ، 12/ 163 مادة (ختم) .
(141) الجاحظ ، الحيوان ، 3 / 622 . جواد علي ، المفصل ، 7/ 562 .
(142) الاصفهاني ، الاغاني ، 12 / 143 .
(143) شعرانية النصرانية ، ص 374 .
(144) شرح ديوان قيس بن الخطيم ، ص125 ؛ ابن قتيبة ، طبقات الشعراء ، ص 90 .
(145) شرح ديوان طرفة ، ص20 .
(146) ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 40 مادة (فتخ) ؛ الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 81 .
(147) شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص112 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 11/ 220 مادة (خلل) .
(148) جواد علي ، المفصل ، 7 / 564 .
(149) ابن منظور ، لسان العرب ، 1 / 325 مادة (حقب).
(150) شرح ديوان النابغة ، ص149 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 8/ 171 .
(151) شرح ديوان النابغة ، ص134 .
(152) ابن سيدة ، المخصص ، 4/ 42 .
(153) الميداني ، مجمع الامثال ، 2/ 278 .
(154) شرح ديوان حاتم ، ص 80 .
(155) صبح الاعشى ، 1/ 406 .
(156) شرح ديوان النابغة ، ص80 .
(157) جواد علي ، المفصل ، 7/ 564 .
(158) ابن منظور ، لسان العرب ، 12/ 638 مادة (وشم) ؛ الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، 4 / 188 .
(159) شرح ديوان طرفة ، ص19 .
(160) شرح ديوان زهير ، ص96 .

(161) شرح ديوان النابغة ، ص147 .
(162) عبدالله عفيفي ، المرأة العربية ، 1/ 149 .
(163) شرح ديوان النابغة ، ص94 .
(164) ابن سعد ، الطبقات ، 3/ 116 .
(165) شرح ديوان زهير ، ص79 .
(166) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص246 ـ 247 .
(167) ابن قتيبة ، المعارف ، ص53 .
(168) الاصفهاني ، الاغاني ، 1/ 65 .
(169) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 116 ؛ الالوسي ، بلوغ ، 3/ 415 .
(170) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص125 .
(171) الضبي ، المفضليات ، ص92 .
(172) النويري ، نهاية الارب ، 17 / 75 .
(173) جواد علي ، المفصل ، 5/ 29 .
(174) الحوفي ، المرأة في الشعر ، ص 397
(175) الساموك، سعدون، الازياء العربية، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي،العدد / 25 لسنة 1984، ص142 .
(176) ابن منظور ، لسان العرب ، 15 / 36 ـ 37 مادة (غنا) .
(177) ينظر على سبيل المثال معلقة الاعشى ومعلقة طرفة بن العبد ، ويظهر ان الشعراء انفسهم كانوا يغنون اشعارهم فهذا المهلهل تغنى ببعض شعره وكذلك السليك بن السلكة . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 5/ 51 ، 20/ 387ـ 388 .
(178) شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة ، ص178 .
(179) ابن رشيق ، العمدة ، 1/ 65 .

* اللهو : ماشغلك من هوى وطرب ونحوهما .الملاهي:الات اللهو.ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، 4 / 15 .

(180) المسعودي ، مروج ، 4/ 133 . ينظر : العلاف ، عبدالكريم ، الطرب عند العرب ، مطبعة اسعد ، (بغداد ، 1963) ، ص3 .
(181) مروج ، 4/ 134 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 6/ 5 .
(182) ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 15 / 91 ـ 92 . "خبر نياح الخنساء على اخيها وابيها" .
(183) عبد الكريم العلاف ، الطرب عند العرب ، ص8 .
(184) المسعودي ، مروج ، 4/ 143 .
(185) فارمر هنري ، تاريخ الموسيقى العربية ، عربه وعلق عليه : جرجيس فتح الله ، منشورات دار مكتبة الحياة ،(بيروت ، 1972) ، ص40 .
(186) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص187 .
(187) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص187 .
(188) شرح ديوان لبيد ، ص175 .
(189) الضبي ، المفضليات ، ص 95 ؛ عبدالكريم العلاف ، الطرب عند العرب ، ص8 .

(190) السباعي ، تاريخ مكة ، ص44 .

(191) النويري ، نهاية الارب ، 4/ 145 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 122 .

(192) ثبير جبل بمكة وهي اربعة اثبرة في الحجاز . ينظر : البكري ، معجم مااستعجم ، 2/ 366 ؛ شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص178 .

(193) ينظر مثلاً : الواقدي ، مغازي ، ص174 ؛ الطبري ، تاريخ ، 2/ 512 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 1/ 210 ؛ فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص48 .

(194) فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص48 .

(195) شوقي ضيف ، الشعر والغناء ، ص179 .

(196) العقد الفريد ، 6/ 22 .

(197) الاصفهاني ، الاغاني ، 11/ 121 .

(198) ابن قتيبة الدينوري ، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت 276هـ) ، ادب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، (مصر ، 1355) ، ص23 .

(199) النويري ، نهاية الارب ، 4/ 161 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 107 .

(200) الشعر والغناء ، ص41 .

(201) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص11 .

(202) ابن حبيب ، المحبر ، ص 87 ـ 88 .

(203) ناصر الدين اسد ، القيان والغناء ، ص 113 .

(204) ناصر الدين اسد ، القيان والغناء ، ص 113 .

(205) نبيه عاقل ، مجالس الشراب في الجاهلية والاسلام ، مجلة العربي ، العدد / 58 ، 1963 ، الكويت ،1963، ص112 .

(206) شرح ديوان طرفة ، ص30 ـ 31 .

(207) ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 4/ 137 ؛ احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص45 .

(208) النويري ، نهاية الارب ، 4/ 145 ،168 ومابعدها .

(209) فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص40 .

(210) هو سعيد بن مسجح مولىلا بني جمح وقيل انه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبدالمجلب مكي اسود مغن متقدم من فحول المغنيين واكابرهم واول من صنع الغناء منهم ، نقل غناء الفرس الى غناء العرب ، فكان اول من اثبت ذلك ولحقه وتبعه الناس . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 3 / 276 .

(211) ابن منظور ، لسان العرب ، 7/ 43 مادة (رقص) .

(212) شرح ديوان اوس بن حجر ، ص81 .

(213) الحبش : هم جنس من الحبشة يرقصون ، وورد في الحديث انه قال للحبشة دونكم يابني ارقده وقيل (ارفده) لقب لهم هو اسم ابيهم . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 3/ 183 مادة (رفد) .

(214) جواد علي ، المفصل ، 5/ 122 .

(215) فارمر ، تاريخ الموسيقى ، ص54 .

(216) الزبيدي ، تاج العروس ، 2/ 348 مادة (عود) .

(217) النسائي ، سنن النسائي ، 3 / 179 ـ 180 . الاعياد قبل الاسلام هما النيروز والمهرجان . ينظر : الالوسي ، بلوغ، 1/ 344 ، 347 .

(218) الصابوني ، محمد علي ، اعياد المسلمين ، مجلة رابطة العالم الاسلامي ، العدد ، 8 ، لسنة 3، دار الاصفهاني ، مكة المكرمة ، 1966، ص23 .

(219) ابن حبيب ، المحبر ، ص329 . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 138 مادة (ختن). 4/ 70 مادة (بظر) ؛ السباعي ، تاريخ مكة ، ص35 .

(220) ابن قتيبة ، مختلف الحديث ، ص 295 ـ 296 .

(221) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص93 . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 9/ 290 مادة (قلف) ؛الزبيدي ، تاج العروس ، 6/ 226 مادة (قلف) .

(222) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 4/ 70 مادة (بظر)

(223) سباع : عبدالله بن سباع بن عبدالعزى بن نضلة الخزاعي ، الذي بارزه حمزة بن عبدالمطلب يوم احد فقال له : هلم الي يابن مقطعة البظور ثم قتله . ينظر : الواقدي ، مغازي ، ص255 ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص138 ؛ البلاذري ، فتوح ، ص60 .

(224) القلقشندي ، صبح الاعشى ، 1/ 433 .

* العقيقة : الشعر الذي يولد به الانسان ، فاذا حلقت ذلك منه قلت عققت . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 79 .

(225) الامام زيد بن علي بن الحسين ، مسند الامام زيد ، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا.ت) ، ص 467 .

(226) حسن السندوبي ، اخبار المراقسة واشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام ، مطبعة الاستقامة ، 1939 ، مع شرح ديوان امرؤ القيس ، ص83 . وهو امرؤ القيس بن مالك الحميري .

(227) حسين نصار ، اغاني الافراح عند العرب ، مجلة العربي ، العدد 34 لسنة 1961 ، الكويت ، ص64 .

(228) الزبيدي ، تاج العروس ، 9/ 74 مادة (حزن) .

(229) جواد علي ، المفصل ، 5 / 146 .

(230) جواد علي ، المفصل ، 5 / 146 .

(231) ابن حبان ، محمد بن حبان (ت254هـ) ، صحيح ابن حبان ، تح : شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 1993) ، 7 / 416 .

(232) ابن منظور ، لسان العرب ، 3/ 216 ـ 217 مادة (سعد) .

(233) الطرابلسي ، صناجة العرب ، ص71 .

(234) وقد استخدمت هذه الالفاظ قبل الاسلام وربط بينها وبين هذا المصطلح لما لها من صلة بهلاك الانسان وبمصيره ، فجعلت تؤدي معنى الموت .

(235) شرح ديوان طرفة ، ص39 .

(236) شرح ديوان لبيد ، ص79 .

(237) البلاذري ، انساب ، 1/ 84 . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 22/ 234 .

(238) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص25 .

(239) ابن الاثير،الكامل، 2/ 86 ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى،1/ 404 ومابعدها ؛ الالوسي، بلوغ ، 2/ 310 .

(240) الالوسي، بلوغ ، 3/ 12 .
(241) ابن حبيب ، المحبر ، ص 39 ـ 40.
(242) سورة التوبة 9 ، الاية 103 .
(243) شرح ديوان الاعشى ، ص 105ـ106 .
(244) ابن قتيبة ، المعارف ، ص241 .
(245) ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 389 مادة (سفا) .
(246) شرح ديوان النابغة ، ص69ـ70 ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، 10 / 29 .
(247) ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ص25 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 2 / 128 مادة (جدث) .
(248) القالي ، الامالي ، 2/ 137 .
(249) جواد علي ، المفصل ، 5/ 159 .
(250) اليعقوبي ، تاريخ ، 2/ 3 .
(251) الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة مشتق منه ذلك لان الرمق اذا احنط كان لونه ابيض يضرب الى الصفرة وله رائحة طيبة وقد حنطه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 7/ 278 مادة (حنط) .
(252) جواد علي ، المفصل ، 5/ 165 .
(253) ابن منظور ، لسان العرب ، 5/ 68 مادة (قبر) .
(254) ابو دب : رجل من بني سراة بن عامر سكنه فسمي به ، وشعب ابي دب يعمل فيه الجزارون بمكة ، ويزعم اهل مكة ان في هذا الشعب قبر امنة بنت وهب بن عبد مناف ام الرسول صلى الله عليه واله وسلم . ينظر : الازرقي ، اخبار مكة ، 2 / 210 .
(255) الازرقي، اخبار مكة ، 2 / 209 ، 213 هامش (1).ينظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1/ 284 .
(256) الظرف والظرفاء ، ص 103 .
(257) ابن منظور ، لسان العرب ، 1/ 473 مادة سلب .
(258) شرح ديوان حاتم الطائي ، ص73 .
(259) الدسيعة : الجفنة التي يؤكل فيها . ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، 5/ 327 مادة (دسع) ؛ ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 54 .
(260) شرح ديوان امية ، ص23 .
(261) ينظر : الاغاني ، 3/ 4 ـ 6 .
(262) الالوسي ، بلوغ ، 2/ 161 .
(263) شرح ديوان الاعشى ، ص 120 .
(264) الالوسي ، بلوغ ، 1/ 7 ؛ الحوفي ، الحياة العربية ، ص317 .
(265) القالي ، الامالي ، 1/ 60 .
(266) جواد علي ، المفصل ، 4/ 576.
(267) شرح ديوان حاتم ، ص44 .
(268) شرح ديوان امية ، ص33 ؛ ابن حبيب ، المنمق ، ص 465 ـ 466 .

(269) شرح ديوان عروة ، ص49 ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 1/ 4 .
(270) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 1 / 158 ؛ ينظر : الالوسي ، بلوغ ، 1/ 81 .
(271) الزبيدي ، تاج العروس ، 8/ 76 مادة (قتل) .
(272) شرح ديوان الخنساء ، ص 48 .
(273) شرح ديوان حسان ، ص 180 .
(274) الجاحظ ، البيان والتبين ، 3 / 154 .
(275) الطملال : الفقير . شرح ديوان اوس بن حجر ، ص03 . ينظر : الجاحظ ، البيان والتبين ، 1/ 159 .
(276) شرح ديوان حاتم الطائي ، ص 80 ـ 81 .
(277) ينظر : ابن حبيب ، المنمق ، ص460 ، 461 ، 464 ، 488 . ولقبوا عبدالمطلب بن هاشم بمطعم طير السماء .
(278) سورة الذاريات 51 ، الايات 24 ، 25 ، 26 ، 27 .
(279) الالوسي ، بلوغ ، 3/ 18 .
(280) شرح ديوان عروة بن الورد ، ص29 .
(281) البيان والتبين ، 1/246 .
(282) نقائض جرير والاخطل ، ص135 ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 6/ 187 .
(283) شرح ديوان حاتم ، ص44 ؛ الحوفي ، الحياة العربية ، ص 325 .
(284) شرح ديوان طرفة ، ص80 .
(285) شرح ديوان السموْال في عاديا ، ص 91 .
(286) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص61 .
(287) شرح ديوان اوس بن حجر ، ص51ـ52 .
(288) شرح ديوان حسان بن ثابت ، ص187 .
(289) شرح ديوان حماسة التبريزي ، 1/ 183 .
(290) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص151 ؛ الجاحظ ، البيان والتبين ، 3/ 56 .
(291) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص88 .
(292) بني مرينا قوم من اهل الحيرة ، شرح ديوان امرؤ القيس ، ص190 .
(293) شرح ديوان عنترة بن شداد ، ص76 .
(294) شرح ديوان الخنساء ، ص49 .
(295) ابن منظور ، لسان العرب ، 9 / 253 مادة (عفف) .
(296) العدوى،ابراهيم احمد، التاريخ الاسلامي افاقه السياسية وابعاده الحضارية،(القاهرة ، 1976) ، ص42 .
(297) الحوفي ، الحياة العربية ، ص362 .
(298) اليعقوبي ، تاريخ ، 2/ 9ـ 10 .
(299) القلقشندي ، صبح الاعشى ، 1/ 435.
(300) ابن قيم الجوزية ، اخبار النساء،ص171 . ينظر : القالي ، الامالي ، 2/ 28 (وصية عامر بن الظرب) .
(301) أي كل شيء جميل ذكره الا النساء . ينظر : الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 5 .
(302) ابن حبيب ، المنمق ، ص189.

(303) الاصفهاني ، الاغاني ، 16/ 279 .

(304) الواقدي ، المغازي ، ص334 . ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، 8/ 9 ؛ ابن الاثير ، الكامل ، 2/ 253 .

(305) ابن الاثير ، الكامل ، 1/ 581 .

(306) ينظر : مثلاً سورة الاحزاب ، الاية 33 ؛ سورة النور ، الاية 31 .

(307) ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 11/ 54ـ 56 .

(308) الزوزني ، شرح المعلقات السبع ، ص170ـ 172 ، 176 ، 180 .

(309) شرح ديوان طرفة بن العبد ، ص37ـ 38 .

(310) الحوفي ، الحياة العربية ، ص358 .

(311) علي الجندي ، تاريخ الادب الجاهلي ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، 1969) ، 1/ 101 .

(312) سورة البقرة 2 ، الآية 177 .

(313) سورة المؤمنون23 ، الآية 8.

(314) شرح ديوان الاعشى ، ص 69 ـ 70 ؛ الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص104 .

(315) الميداني ، مجمع الامثال ، 3،/ 371 .

(316) ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3/ 147 .

(317) ينظر : المبرد ، الكامل ، 1/ 193 ؛ابن قتيبة ، طبقات الشعراء ، ص109 .

(318) الاصفهاني ، الاغاني ، 22/ 116 ؛ الالوسي ، بلوغ ، 1 / 122 .

(319) الافغاني ، اسواق العرب ، ص341 .

(320) مروج الذهب ، 2/ 98 .

(321) سورة العاديات 100 ، الاية 1ـ5 .وجاءت لفظة الخيل في خمس سور من القرآن الكريم هي : سورة آل عمران 3، الاية 14 ؛ الانفال8 ،الاية 60، الاسراء17، الاية 64؛ النحل16 ، الاية 8؛ الحشر59 ، الاية 6.

(322) مسلم ، صحيح مسلم ، 2/ 682 .

(323) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، 2/ 932.

(324) ابن سيدة ، المخصص ، 2/ 185 ؛ الالوسي ، بلوغ ، 2/ 77 .

(325) الاصمعي ، ابي سعيد عبدالملك بن قريب ، الخيل ، تقديم : د. نوري القيسي ، مجلة كلية الاداب ، العدد ، 12 ، لسنة 1969 ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، 1970) ، ص337 .

(326) الكلبي،عبدالله بن محمد بن جري الغرناطي(القرن الثامن الهجري) ، الخيل مطلع اليُمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، تحقيق : محمد العربي الخطابي، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت ، 1986)، ص 40 .

(327) شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، ص227 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 9/ 108 مادة (دوف) .

(328) شرح ديوان عنترة ، ص 46 .

(329) الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص40 .

(330) الالوسي ، بلوغ ، 2/ 81 .

(331) الاصفهاني ، الاغاني ، 17/ 246 ؛ ابو عبيدة ، الخيل ، ص2 .

(332) شرح ديوان امرؤ القيس ، ص136 .

(333) ابن رشيق ، العمدة ، 1/ 29 .
(334) الاصمعي ، الخيل ، ص340 .
(335) الكلبي الغرناطي،الخيل،ص51 ؛الاصمعي، الخيل ، ص375 . ينظر : الالوسي ، بلوغ ، 2 / 95ـ96 .
(336) الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص75 ؛ ابن سيده ، المخصص ، 2/ 105 .
(337) الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص49 .
(338) الاصمعي ، الخيل ، ص248 .
(339) يضيف المسعودي "الفسكل الذي يجي في اخر الخيل" مروج ، 3/ 217 . ينظر : الكلبي الغرناطي ، الخيل ، ص150ـ 151 ؛ ابن سيدة ، المخصص ، 2 / 177ـ178 وتسمى حلبة السباق (الضمة) والجمع اضاميم وهي جماعات الخيل . محمد حسين ، الهجاء والجاؤن ، المطبعة النموذجية ، (مصر ، 1948) ، ص 19 هامش (4) .
(340) ابو خراش :هو خويلد بن مرة ، احد بني قرد واسم قرد عمرو بن معاوية بن سعد بن هذيل في مدركه شاعر مخضرم مات في خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) نهشته افعى فمات ، وكان ممن يعدو فيسبق الخيل في غارات قومه وحروبهم . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 21 / 205 ، 208 .
(341) جواد علي ، المفصل ، 5 / 25 ؛ فيليب حتي ، تاريخ العرب مطول ، 1 / 25 .
(342) الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 233 .
(343) الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 109 ـ 110 هامش (2) .
(344) الفاسي ، شفاء الغرام ، 1/ 19 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 422 .
(345) العصامي ، سمط النجوم ، 1/ 162 .
(346) جواد علي، المفصل،4 / 52 ؛ كستر، مكة وتميم ترجمة يحيى الجبوري ، (بغداد ، 1975) ، ص13 .
(347) حافظ وهبة ، جزيرة العرب ، ص30 .
(348) سورة الاعراف ، الآية 74 .
(349) الماوردي ،ابو الحسن علي بن محمد ، الاحكام السلطانية ، القاهرة 1966 ، ص160 .توضع هذه الاخشاب عرضاً اذا ارادوا تسقيف بيت ثم يلقى عليها خشب الصغار . ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 129 .
(350) ابن عساكر،ابن بدران الشيخ عبد القادر ابن محمد الدقفي تهذيب التهذيب، مطبعة الترقي،(دمشق، بلا.ت) 7/ 237 .
(351) الزبيدي ، تاج 7/ 13 مادة (دك) ؛ جواد علي ، المفصل 5/ 24
(352) ابن حبيب ، المحبر ، ص140 . ينظر : الاصبهاني ، الاغاني ، 8/ 327 ؛ الخربوطلي ، علي حسين ، تاريخ الكعبة، د/ ط دار الجيل ، (بيروت ، 1976) ، ص59 . كانت قريش تسمى البيت المبني قصراً لانه يقصر من فيه . ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 126 .
(353) الطبري ، تاريخ ، 2/ 197 ؛ جواد علي ، المفصل ، 4/ 52 .
(354) الفاسي ، شفاء الغرام ، 1/ 270 ـ 271 ؛ رحلة ابن جبير ، ص91 .
(355) السباعي ، تاريخ مكة ، ص37 .
(356) جواد علي ، المفصل ، 5/ 925 .
(357) انما سمي المتوظأ حشاً لانهم كانوا يتغوطون في البستان ، والحش تعني البستان . ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 61 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5/ 24ـ25 .

(358) البداية والنهاية ، 3/ 203 .

(359) احمد السباعي، تاريخ مكة ، ص33 . وتسمى هذه المساحات بـ (الساحة : فضاء يكون بين دور الحي) وتسمى البيوت المجتمعة (بالصّرم) اما البيوت اذا دنت من بعضها تسمى (الحارة) . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 116 ، 118 ، 121 .

(360) الاغاني ، 16 / 324 .

(361) احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص317 .

(362) صالح العلي ، المدينة المنورة ، ص10 .

(363) الخزاعي ، تخريج الدلالات ، ص718 ـ 719 .

(364) ابن هشام،السيرة،2/ 498ـ 499 ؛ النويري ، نهاية الارب،16/ 343 ؛السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 18 .

(365) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 18 .

(366) ابن هشام ، السيرة ، 2/ 559 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 309 ؛ الكتاني ، التراتيب ، 1/ 204 .

(367) السمهودي ، وفاء الوفا ، 1/ 261 . ينظر : خليل ابراهيم ، المظاهر الحضرية للمدينة ، ص 27 .

(368) الطبري ، تاريخ ، 3/ 83 ؛ جواد علي ، المفصل ، 4/ 148 .

(369) ويورد ابن سيدة باب في مسميات اجزاء الدار فيذكر (عقوة الدار ، باحتها . عراق الدار : فناء بابها . طوار الدار : ما كان ممتداً معها . ظلل الدار موضع من صحنها يهيأ لمجلس اهلها . دار قوراء : واسعة) المخصص ، 1/ 117 ، 118 / 119

(370) شرح ديوان امرىء القيس ، ص119 .

(371) بلوغ ، 3/ 392،391 ، 393 .

(372) المقدمة ، ص406

(373) المقدمة ، ص407

(374) الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 161

(375) اخبار مكة ،2/ 163

(376) الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 163 .

(377) ينظر: سورة الكهف 18 ، الآية 31 ؛ سورة سبأ 34، الآية 13 ؛ سورة الغاشية 88، الآية 12 ، 16 ؛ الزخرف 43، الآية 34 .

(378) سورة الكهف 18 ، الاية 31 .

(379) سورة سبأ 34، الآية 13 .

(380) ينظر : ابن قتيبة ، المعارف ، ص250 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 12/ 43 مادة (برم) .

(381) جواد علي ، المفصل ، 5/ 24 .

(382) البلاذري ، انساب ، 1/ 525 .

(383) الزبيدي ، تاج ، 2/ 534 مادة (وسد) ؛ جواد علي ، المفصل ، 5 / 30 .

(384) احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص27 .

(385) احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص27 .

(386) جواد علي ، المفصل ، 5/ 46 .
(387) الازرقي ، اخبار مكة ، ص225 ومابعدها ؛ احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص32 .
(388) احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص33 .
(389) الماجن : الذي يرتكب المقابح المردية والفضائح المخزية ، والمجن خلط الجد بالهزل . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، 4/ 16 ، 19 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 401 مادة (مجن).
(390) جواد علي ، المفصل ، 5 / 41 .
* الاغلوطات : ان تعيأ بالشيء فلا تعرف وجه الصواب منه . ابن منظور ، لسان العرب ، 7/ 663 مادة (غلط) .
(391) الميداني ، مجمع الامثال ، 3/ 506 .
(392) المزح : الدعابة او المزح نقيض الجد . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 2/ 593 مادة (فرح) .
(393) ابن سيدة ، المخصص ، 4 / 19 ؛ الزبيدى ، تاج ، 4/ 312 مادة (رش).
(394) ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 151 مادة (ددن) .
(395) شرح ديوان الاعشى ، ص47 .
(396) السدوسي ، مؤرج بن عمر (ت195هـ) ، حذف من نسب قريش ، نشره : الدكتور صلاح الدين المنجد ، (القاهرة ، 1960) ، ص25 .
(397) ابن حبيب ، المنمق ، ص 174 ـ 175 .
(398) المبرد ، الكامل ، 1/ 155 .
(399) ابن حبيب ، المنمق ، ص 422 ـ 423 .
(400) ابن قتيبة ، المعارف ، ص121 .
(401) الزبيدي ، تاج ، 7/ 122 مادة (حك) .
(402) ابن سيدة ، المخصص ، 4 / 17 .
(403) ابن سيدة ، المخصص ، 1/ 120 .
(404) ابن سيدة ، المخصص ، 4 / 17 ـ 18 .
(405) الجاحظ ، الحيوان ، 6/ 145 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5 / 124 .
(406) ابن منظور ، لسان العرب ، 13 / 263 مادة (طبن) ؛ الزبيدي ، تاج ، 9/ 267 مادة (طبن) .
(407) ابن منظور ، لسان العرب ، 4/ 416 مادة (شعر) ؛ الزبيدي ، تاج ، 3 / 305 مادة (شعر) .
(408) الجاحظ ، الحيوان ، 6 / 145 .
(409) الجاحظ ، الحيوان ، 6 / 145 .
(410) الجاحظ ، الحيوان ، 6 / 146 .
(411) الزبيدي ، تاج ، 5 / 338 مادة (ربع) .
(412) الالوسي ، بلوغ ، 3/ 54 ومابعدها .
(413) الزبيدي ، تاج ، 12 / 73 مادة (سمر) ؛ جواد علي ، المفصل ، 5 / 34 .
(414) الزبيدي ، تاج ، 2/ 175 مادة (صبح) . ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، ادب الكاتب ، ص96 ؛ الالوسي ، بلوغ ، 2 / 192 .
(415) الزبيدي ، تاج ، 2/ 181 مادة(صفح) .

(416) ابن حبيب ، المحبر ، ص329 .
(417) الشوكاني ، نيل الاوطار ، 2/ 130 ؛ ابن سعد ، الطبقات ، 7 / 36 .
(418) الكنيف : الخلاء وكله راجع الى الستر وكل ماستر من بناء او حظيرة فهو كنيف . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، 9/ 310 مادة (كنيف) .
(419) الزبيدي ، تاج ، 10 / 120 مادة (خلا) . ومن اسماء الغائط الخلاء والمذهب والمرحاض والمرفق . ينظر : ابن سيدة ، المخصص ، 1 / 60 .
(420) السمهودي ، وفاء الوفا ، 2 / 466 ؛ النويري ، نهاية الارب ، 16 / 408 .
(421) الشوكاني ، نيل الاوطار ، 1 / 93 ؛ الوشاء ، الظرف والظرفاء ، ص 285 .
(422) الحيوان ، 1 / 331 .
(423) النجو : مايخرج من البطن من ريح او غائط وقيل الغدرة نفسها واستنجى مسح النجو او غسله . ينظر : الزبيدي ، تاج ، 10 / 358 مادة (نجو) . ويذكر الجاحظ في هذا المعنى : ما ارتفع من الارض . الحيوان ، 1/ 331 .
(424) الزبيدي ، تاج 3/ 429 ؛ جواد علي ، المفصل ، 5 / 33 .
(425) الشوكاني ، نيل الاوطار ، 1 / 103 .
(426) حافظ وهبه ، جزيرة العرب ، ص 34 .
(427) الزبيدي ، تاج، 8/ 260 مادة (حم) ، 16 / 89 مادة (دمس) .
(428) ديوان حماسة التبريزي ، 2 / 407 ـ 408 .
(429) القلقشندي ، صبح الاعشى ، 1/ 426 .
(430) الشوكاني ، نيل الاوطار ، 1/ 300 .
(431) البخاري ، صحيح ، 5/ 49 ؛ السمهودي ، وفاء الوفا ، 1 / 305 .
(432) المخضب : هو كل ما يغسل فيه الثياب من الخشب او الحجارة وفي تور شبيه بالطست وهو اناء صفر وفيه انية نحاس . ينظر : ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، 3 / 266 ؛ الكتاني ، التراتيب الادارية ، 1/ 96 .
(433) الشوكاني ، نيل الاوطار ، 1/ 39 .
(434) السهمودي ، وفاء الوفا ، 3/ 951 ـ 952 .
(435) الكتاني ، التراتيب الادارية ، 1 / 95 .
(436) حافظ وهبة ، جزيرة العرب ، ص 35 .
(437) صالح العلي ، محاضرات ، ص166 .
(438) القلقشندي ، نهاية الارب ، ص452 .
(439) المسعودي ، مروج ، 2 / 102 .
(440) سورة الزمر39 ، الاية 3 . ينظر : سورة لقمان31 ، الاية 52 ؛ سورة الزخرف 43، الاية 9 ، 88 .
(441) سورة الزخرف43 ، الاية 15 ، 28 .
(442) جواد علي ، المفصل ، 6/ 50 .
(443) جواد علي ، المفصل ، 6/ 68 ـ 69 .
(444) سورة النجم 53 ، الاية 19 ـ 21.

(445) للمزيد من التفاصيل ينظر:محمد عبدالمعيد خان،الاساطير،ص116 ـ 142؛ الملاح،الوسيط ، ص416 .
(446) جمال سرور ، قيام الدولة العربية الاسلامية ، ص48 .
(447) الاصنام ، ص33
(448) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص32
(449) العشيرة في كلام العرب الذبيحة ، الاصنام ، ص34
(450) شرح ديوان زهير ، ص50
(451) المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ) ، امتاع الاسماع لما للرسول من ابناء والاموال والحفدة والمتاع ، صححه : محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(القاهرة ، 1941) ، ص490 ؛ علي ابراهيم، التاريخ الاسلامي العام ، ص128
(452) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص13
(453) الالوسي ، بلوغ ، 1/ 146 .
(454) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص59 . اسم هذا الشريف هو مالك بن كلثوم .
(455) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص61 . ينظر : الاصفهاني ، الاغاني ، 9 / 87 خبر امرؤ القيس واستقسامه لدى الصنم ذي الخلصة بعد مقتل ابيه .
(456) ابن هشام ، السيرة ، 1/ 385 ؛ ابن الكلبي ، الاصنام ، ص37 .
(457) زيتوني ، عبدالغني ، الوثنية في الادب الجاهلي ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، 1987، ص139 .
(458) ابن حجر ، الاصابة ، 4 / 305 ؛ جواد علي ، المفصل ، 6 / 183 .
(459) علي ابراهيم ، التاريخ الاسلامي العام ، ص 132 .
(460) الازرقي ، اخبار مكة ، 1 / 116 .
(461) البتنوني ، محمد لبيب ، الرحلة الحجازية ، (القاهرة ، 1329هـ) ، ص 193 .
(462) ابن هشام ، السيرة ، 1/ 154 ؛ ناصر الدين الاسد ، القيان والغناء ، ص146 .
(463) سورة المائدة 5، الاية 103 . البحيرة : وهي الناقة التي تشق اذنها عندما تولد في خامس بطن للناقة الام ولايجز وبرها ولايذكر اسم الله عليها وان ركبت ، وتخصص البانها للرجال فقط السائبة : هي التي يسيبها الرجل من ماله اذا بريء من مرض او نال مطلب تمناه ، لاتمس ، وتخصص للاضياف من الرجال فقط . الوصيلة : التي تؤخذ من النتاج السابع للشاة فاذا كان ذكراً ذبح وان كانت انثى تركت ولبن الانثى للرجال ايضاً دون النساء . الحام : وهو الفحل الذي يصير ولده جداً أي الذي يدرك احفاد اولاده فيترك ولايحمل عليه ولا يركب ولا يمنع من ماء ولا مرعى . ينظر : ابن هشام ، السيرة ، 1 / 89 ، 90 ، 98 ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص330 .
(464) ينظر : ابن هشام ، السيرة ، 1 / 160 ـ 161 ؛ محمد عزة دروة ، عصر النبي ، ص334 .
(465) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص28 .
(466) يوسف ، شريف ، الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد / 29 ، لسنة 1978 ، ص193 .
(467) ابن هشام ، السيرة ، 2/ 406 ؛ جواد علي ، المفصل ، 6/ 404 .
(468) ابن سعد ، الطبقات ، 1/ 147 ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص 121 .
(469) فيليب حتى ، تاريخ العرب مطول ، 1/ 133 .

(470) محمد عبدالمعيد ، الاساطير العربية ، ص27 .
(471) سورة الزخرف 43، الاية 22 .
(472) المقريزي ، النزاع والتخاصم فيما بين امية وبني هاشم ، ص8 .
(473) القالي ، الامالي ، 2/ 78 .
(474) الدباغ ، تقي ، الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 1992) ، ص 35 .
(475) شرح ديوان الاعشى ، ص170 .
(476) شرح ديوان عبيد بن الابرص ، ص26 .
(477) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، ص81 .
(478) ابن منظور ، لسان العرب ، 9/ 57-58 مادة (صنف) .
(479) ابن منظور ، لسان العرب ،9/ 57-58 مادة (صنف) .
(480) وسائل الفطرة عشرة (واذا ابتلى ابراهيم ربه كلمات فاتمهن) خمس في الرأس وخمس في الجسد فاما في الراس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك ، واما التي في الجسد فاالاستنجاء وتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانه والختان) . ابن حبيب ، المحبر ، ص 329 .
(481) ينظر ابن قتيبة ، المعارف ، ص266.
(482) جواد علي ، المفصل 6/ 343 .
(483) محمد عبد المعيد خان ، الاساطير العربية ، ص148
(484) شرح ديوان اوس بن حجر ، ص36
(485) ابن الكلبي ، الاصنام ، ص6 . الازرقي ، اخبار مكة 1/ 116
(486) الخربوطلي،علي حسين ، الحنيفية والحنفاء منذ عهد ابراهيم حتى ظهور الاسلام(القاهرة - 1973) ، ص39
(487) محمد صالح سمك ، امير الشعر العربي في العصر القديم ص133
(488) محمد صالح سمك ، امير الشعر العربي في العصر القديم ، ص133 .
(489) احمد الشريف ، مكة والمدينة ، ص172.
(490) الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 138 ؛ جواد علي ، المفصل ، 6 / 414.
(491) الازرقي ، اخبار مكة ، 2/ 146.
(492) الفاسي ، شفاء الغرام ، 1/ 72.
(493) احمد السباعي ، تاريخ مكة ، ص 36.
(494) ابن دريد ، الاشتقاق ، 1/ 171 .
(495) ابن حبيب ، المنمق ، ص424 ، 426 .
(496) دروزة ، محمد عزة،تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار ، المطبعة العصرية ، (بيروت ، 1961) ، 5/ 282 .
(497) سورة الحج 22، الآية 26 ـ 28 .
(498) سورة التوبة 9 ، الاية 36 .
(499) الاصفهاني ، الاغاني ، 16/ 270.

(500) للتفصيل في التلبيات ينظر : ابن الكلبي ، الاصنام ، ص7 ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص311 ـ 318 ؛ اليعوبي ، تاريخ ، 1/ 225 ـ 226 ؛ قطرب ، ابي علي محمد بن المستنير (206هـ) ، الازمنة وتلبية الجاهلية (قبل الاسلام) ، تحقيق : حنا جميل ، المنار ، (الاردن ، 1985) ، ص 115 ـ 125.

(501) الحمس : قبائل من العرب قد تشددت في دينها فكانت لاتستظل ايام منى ولاتدخل البيوت من ابوابها وهم قريش كلها :كنانة وماولدت الهون بن خزيمة والغوث وثقيف ، وخزاعة وعدوان وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة . ينظر : البكري ، معجم ، 1/ 245 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 6/ 57 مادة (حمس) ؛ ابن دريد ، الاشتقاق ، ص153 .

(502) ابن الاثير ، الكامل ، 1/ 266 .

(503) الازرقي ، اخبارمكة ، 1/ 113 .

(504) ابن حبيب ، المحبر ، ص178 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، 1/ 297 .

(505) سورة البقرة 2، الآية 189 . ينظر : تفسير ابن كثير ، 1/ 225 .

(506) ابن حبيب، المنمق ، 143 ـ 144 ؛ ابن هشام ، السيرة ، 1/ 199 ؛ الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 176 .

(507) ابن دريد ، الاشتقاق ، ص282.

(508) ابن هشام ، السيرة ، 1/ 200 .

(509) الازرقي ، اخبار مكة ، 1/ 299 .

(510) محمد عزة دروزة ، عصر النبي ، ص439 .

(511) ابن حبيب ، المحبر ، ص327ـ 328 ؛ اليعقوبي ، تاريخ ، 2/ 10ـ 11

(512) الالوسي ، بلوغ ، 2/ 297 .

(513) الالوسي ، بلوغ ، 2/ 297 .

(514) محمد عبد المعيد ، الاساطير العربية ، ص51 .

(515) سورة الاعراف 7 ، الاية 197 ـ 198 .

(516) سورة ابراهيم 14، الاية 35 .

الخاتمة

ان موطن العرب قبل الإسلام رقعة شاسعة من الارض ذات صفة متباينة في المناخ والتضاريس ، وهذا الاختلاف جعل منها مواطن متعددة ، لقد ضاقت الجزيرة العربية عن امداد سكانها باسباب العيش الرغيد ، بكل مايحتاج اليه الانسان ، فعاش العربي في احضان طبيعة قاسية، فكان يعيش في خطر دائم لكنه آمن في هذه البيئة ، بقيم ظل معظمها تقليداً متوارثاً يعتز به واحتكم في ظل هذه الظروف الى قوانين صارمة لاتسامح فيها وتكاد تكون ثابته .

وهنا لابد من القول ان الباحث قد توصل الى عدد من النتائج وعلى النحو الآتي :

1. تأثرت الجزيرة العربية بصورة عامة ، والحجاز بصورة خاصة، وحياة اهلها بمؤثرات متعددة يأتي في مقدمتها الموقع الجغرافي .
2. شكلت العصبية القبلية والاعتزاز بالنسب قانوناً ثابتاً لدى العربي، فكانت العصبية القاعدة الاساس في المجتمع القبلي بوصفها مظهراً لحماية المجتمع من التحديات ، وقد ساعد ذلك على نشوء قيم واعراف ، وتكيف ابناء القبيلة بها .
3. شكل المجتمع القبلي مجتمعاً فئوياً ، فقد كانت القبيلة الواحدة تضم فئات الصلبية والموالي والعبيد، وكان هذا التمايز الاجتماعي قائماً بين هذه الفئات.
4. ارتبطت القبيلة بقبائل اخرى من خلال اقامة الاحلاف والمعاهدات والجوار.
5. يعد الثأر مظهراً بارزاً وواضحاً في المجتمع القبلي وهو القانون السائد للانتقام من الجناة ، وكثيراً ما يذهب بالارواح البريئة .
6. تأثرت العصبية القبلية في تأثير تقارب الانساب ، فحملت هذه العصبية روح التضامن والتآلف، وكان لها اثراً ايجابياً في الفرد ، سياسياً واجتماعياً ، بعد ان صارت قانوناً ملزماً في المجتمع العربي قبل الإسلام ، فكان لها الاثر في توجيه حياة العرب الاجتماعية والادبية والسياسية ، وافرز هذا التضامن بعض الصور، تمثلت بالدية والمفاخرات فضلاً عن الثأر الذي نوهنا به .

7. تأتي الاسرة بعد القبيلة في الاهمية ، وقد قامت هذه الصلات الاسرية على احتواء جميع الاقارب من الذكور خاصة ، وتعد هذه الصلات من اقوى الروابط التي تربط الافراد بعضهم ببعض ، وبذلك شكلت العمود الاساس للقبيلة .

8. برز دور الابن في المجتمع العربي ، فتمتع بمنزلة كبيرة لما كان له من وظائف مهمة كان في مقدمتها الدفاع عن القبيلة اوقات الحرب ، ونتيجة لذلك فقد تعلموا البطولة والخصال الحميدة ، فقابل حب الاباء للابناء قابله طاعة الابناء لابائهم .

9. تمتعت المرأة على اختلاف مسمياتها الام ، او الاخت ، اوالبنت ،او الزوجة باهمية قد تكون متفاوته ، فنجدها احياناً تقوم بدور فاعل في بناء المجتمع ، واظهرت مؤهلات جيدة في الميادين الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، كذلك الحربية ، وبرز عدد لابأس به من النساء عرفن بالمقدرة والكفاية وفي احيان اخرى حط من شخصية المرأة ، فقد وأد بعض العرب بناتهم على الرغم من حدوده الضيقة لممارسة هذه الظاهرة الاجتماعية السيئة التي مارسها عدد قليل من قبائل العرب ولاسباب اقتصادية .

10. ومثلما كان للابن والبنت منزلة في نفوس آبائهم كان للخال والعم منزلة تكاد تكون تتساوى في النفوس .

11. حرم العرب الزواج من الفروع والأصول كالام ، والاخت ، والبنت ، وعرفوا الزواج الشرعي ، على الرغم من تأثرهم بقسم من الاقوام المجاورة .

12. بلغ من تأثير العرب باليهود ان طبعوا حياة اليهود الاجتماعية بطابعهم ، فعاشوا معيشتهم القبيلة ، ولبسوا لباسهم ، ومارسوا عاداتهم، وتقاليدهم حتى اصبح الدين هو الفارق الوحيد بين العرب ، واليهود عند ظهور الإسلام .

13. شكل المال احد وسائل المجتمع القبلي ، وكان يسخر لخدمة ابناء المجتمع او ينفق في ميدان الكرم لكسب المزيد من الحمد، والمجد ، والثناء ، فكان الغنى مستودعاً لابناء قبيلته وينفق في سبيلها .

14. لبس العرب قبل الإسلام الملابس المتفاوتة تبعاً للمستوى المادي للفرد ، وهذا ما انعكس على المأكل ،والمشرب، وافراحهم ،واتراحهم ، وباقي مفردات حياتهم اليومية .
15. عرف العرب النظافة سواءاً نظافة الابدان ام نظافة مساكنهم ، وامتازت مكة على سائر المدن الحجازية في هذا الجانب، وهذا طبيعي عند العرب ذوات العمق الحضاري .
16. عرف العرب في مجتمع الحجاز الفضائل والقيم الخلقية ، واصبحت كالدين المتبع وهذا المورث الحضاري الذي حمله العرب جعلهم في صدارة الامم .
17. فالعرب لم تكن أمة منعزلة ، بل كانت امة متفاعلة بمن جاورها من الامم ، وهذا يظهر جلياً من خلال التبادل التجاري مع هذه الامم .
18. على المستوى الديني كان للدين تأثير واضح في حياة العرب الاجتماعية ، فضلاً عن ذلك ، فقد كان هناك ميل واضح وملموس للاعتقاد بالله على الرغم من غموض بعض جوانبه ، وكان البعض يشرك معه الهة اخرى يعتقد انها تقربهم الى الله ، زد على ذلك لم تكن مسألة البعث والحساب شائعة عند العرب قبل الإسلام ، وترتب على ذلك العديد من المواقف .
19. تميزت مكة من نظيراتها بيثرب والطائف بموقعها الديني ، مما جعل هذا التمايز ينعكس على سكانها ، وتوزيع قبائلها الذين اكتسبوا نظرة تبجيل واحترام بوصفهم سكان حرم الله وسدنة بيته العتيق .
20. ارتبطت المدن الثلاث بعلاقات قوية بعضها مع بعض في جميع الاصعدة مما جعل اكثر عاداتهم وتقاليدهم وحياتهم اليومية متشابهة .

المصادر الأولية

القران الكريم

1) الابشيهي شهاب الدين محمد بن احمد(ت 790 هـ / 1388م) المستظرف في كل فـن مستطرف، مراجعة: عبدالعزيز سيد الاهل ،المشهد الحسيني،(القاهرة،بلا . ت).

2) ابن الاثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي كرم (630هـ / 1232م)
الكامل في التاريخ ، دار صادر ، (بيروت ، 1965) .

3) ابن الاثير الجزري مجد الدين ابي السعادات (ت 606هـ / 1209م)
النهاية في غريب الحديث والاثر ، تح : طاهر احمد الراوي ومحمود محمـد الطنـاجي ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) .

4) الازرقي، ابو الوليد محمد بن عبدالله (ت 244 هـ / 858م)
اخبار مكة وما جاء فيها من الاثار ، تحقيق : رشدي الصالح ملحـس، دار الانـدلس، مطابع ماثيو كرومر ، (اسبانيا ، بلا . ت)

5) الازهري، ابو منصور محمد بن احمد (ت370هـ/ 980م)
تهذيب اللغة ، تحقيق : عبـدالكريم العربـاوي ومحمـد علـى النجـار، مطـابع سـجل العرب ،(مصر ، 1978)

6) ابن اسحاق، محمد (ت151هـ / 768م)
السير والمغازي ، تحقيق :سهيل زكار، دار الفكر،(بلا مكان للطبع ، 1978).

7) الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت346هـ/ 957م)
المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ،1870)

8) الاصفهاني، الحسن بن عبدالله (ت 310 هـ / 922م)
بلاد العرب ، تحقيـق : حمـد الجاسـر وصـالح احمـد العلـي ، منشـورات دار اليمامـة للبحث والترجمة والنشر ، ط1 ، المملكة العربية السعودية (الرياض ، 1968)

9) الاصفهاني ابو الفرج علي بن الحسين (ت 356هـ / 976م)

الاغاني ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) .

10) الاصمعي، ابي سعيد عبدالملك بن قريب (216هـ / 831م)

الخيل ، تقديم : د. نوري القيسي ، مجلة كلية الاداب ، العدد ، 12 ، لسنة 1969 ، مطبعة الحكومة ، (بغداد ، 1970).

11) الاعشى ، ميمون بن قيس شرح الديوان ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) .

12) امرؤ القيس شرح الديوان ،تأليف حسن السندوبي،مطبعة الاستقامة ،(القاهرة ، بلا . ت)

13) امية بن ابي الصلت شرح الديوان، تعليق : سيف الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة ، (بيروت ، بلا . ت) .

14) اوس بن حجر شرح الديوان تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم ، دار صادر ، (بيروت ، 1960) .

15) البخاري ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (ت 256هـ/ 869م)

صحيح البخاري ، تح : قاسم الشماع ، دار القلم ، (بيروت ، 1987) .

16) ابن بطلان الشيخ ابا الحسن المختار بن الحسن بن عبدون

رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد ، نوادر المخطوطات ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، 1973)

17) ابن بطوطة ابو عبدالله بن ابراهيم الطنجي

تحفة النظار في غرائب الامصار المعروف بـ (رحلة ابن بطوطة) ، شرح : طلال حرب ، دار احياء الكتب العلمية ،(بيروت ، 1987).

18) البغدادي عبدالقادر بن عمر (1093هـ / 1682م)

خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، تح : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة، 1988) .

19) ابن بكار، الزبير (ت 256هـ / 869م)

أ.جمهرة انساب قريش واخبارها ، شرح وتعليق : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1381هـ).

ب.الاخبار والموفقيات ، تحقيق : سامي العاني، مطبعة العاني ، (بغداد ، 1972) .

20) البكري، ابو عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت487هـ/ 1094م)

معجم ما استعجم ، تحقيق : مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1954)

21) البلاذري ، احمد بن يحيى (ت 279هـ / 901م)

أ . انساب الاشراف ، تحقيق : محمد حميد الله ، دار المعارف ، (مصر ،1959).

ب.فتوح البلدان ، نشره ووضع ملاحقه : د. صلاح الدين المنجد ، دار طباعة مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، 1956).

22) البيهقي ،احمد بن الحسين (458هـ / 1065م)

سنن البيهقي الكبرى ، تح : محمد عبدالقادر عطا ، دار الباز،(مكة المكرمة ، 1994) .

23) تأبط شراً

الديوان واخباره جمع وتحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، (بلا مكان طبع ، 1984)

24) الترمذي محمد بن عيسى (279هـ / 892م)

سنن الترمذي ، تح : احمد شاكر وآخرون ، دار احياء التراث العربي،(بيروت ، بلا. ت) .

25) التوحيدي، ابي حيان

البصائر والذخائر ، تح : احمد امين واحمد الصقر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، (مصر ، 1953)

26) الثعالبي، ابي منصور عبدالملك النيسابوري(429هـ / 1037م)

ثمار القلوب ، في المضاف والمنسوب ، تصحيح : محمد حسين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة ، 1908)

27) الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (ت 255هـ / 868م)

أ.الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي، ط1 ، (مصر ، 1938).
ب.المحاسن والاضداد ، تصحيح: محمد امين الخانجي،(مطبعة السعادة ،1324هـ).
ج. رسائل الجاحظ ، تح:عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، (مصر ، بلا . ت).
د. البيان والتبيين ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،(القاهرة، 1975) .

28) ابن جبير، ابو الحسن محمد احمد

تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار المعروف بـ (رحلة ابـن جـبير) ، دار التحريـر ، (بيروت ، بلا. ت) .

29) ابن جري ، عبدالله بن محمد بن جري الغرناطي (القرن الثامن الهجري)

الخيل مطلع اليُمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، تحقيق : محمد العربي الخطـابي ، دار الغرب الإسلامي،(بيروت ، 1986)

30) الجمحي، ابو عبدالله بن سلام (ت232هـ / 846م)

طبقات الشعراء الجاهلين والإسلامين ، طبعت على نسخة قديمة وقوبلت على نسخة طبع اوربا.

31) ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن

الحدائق في علم الحديث والزهديات، تحقيق : مصطفى السبكي ، دار الكتب العلمية، ط1 . (بيروت ، 1988).

32) حاتم الطائي

الديوان ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) .

33) ابن حبان ، محمد بن حبان (ت 254هـ / 868م)

صحيح ابن حبان، تح:شعب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة ،(بيروت ،1993) .

34) ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (ت245هـ / 859م)

أ.المنمق ، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه : خورشـيد احمـد فـاروق ، مطبعـة مجلـس دائرة المعارف العثمانية ، ط1، حيدر اباد ، الدكن ، (الهند ، 1964)

ب.الحبر ، اعتنى بتصحيحه الدكتورة ايلزه ليختن شتير ، دار الآفاق الجديدة ، (بيروت ، بلا . ت)

35) ابن حجر ،احمد بن علي بن محمد العسقلاني (825هـ / 1449م)

الاصابة في تميز الصحابة ، مطبعة السعادة، (مصر ، 1328هـ) .

36) ابن حزم، ابي محمد علي بن احمد بن سعيد (ت456هـ/ 1063م)

جمهرة انساب العرب ، تحقيق :عبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ، (مصر ، 1962) .

37) حسان بن ثابت

الديوان ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت)

38) الحلبي، علي بن ابراهيم بن احمد(ت 1044هـ/ 1634م)

انساب العيون في سير الامين والمأمون المسماة السيرة الحلبية وبهامشها السيرة النبوية والاثار المحمدية بمكة المشرفة ،السيد احمد زيني دحلان،مطبعة الاستقامة،(القاهرة،1962)

39) الحميري ابو عبدالله بن محمد بن عبدالمنعم (ت727هـ / 1327م)

الروض المعطار في خبر الاقطار ، تح:احسان عباس ، (بيروت ، 1984) .

40) ابن حنبل ، احمد بن حنبل (ت 241هـ / 855م) .

المسند ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت

41) ابن حوقل ابي القاسم النصيبي (ت367هـ/ 977م)

صورة الارض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت، بلا. ت)

42) ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله (ت300هـ / 912م)

المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1891)

43) الخزاعي علي بن محمد بن سعود (789هـ / 1387م)

تخريج الدلالات السمعية على ماكان في عهد رسول الله (ص) من الحرف والصنائع والعملات الشرعية ، تح : احسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، 1985)

44) الخضراوي ، احمد بن محمد

العقد الثمين في فضائل البلد الامين ، تحقيق : كاظم الشيخ جواد الساعدي ، مطبعة القضاء،(النجف، 1958)

45) ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م)

أ.كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، المعروف بتاريخ ابن خلدون ،مؤسسة جمال للطباعة والنشر، (بيروت ، 1979) .

ب. مقدمة ابن خلدون،دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت)

46) الخنساء ، تماضر بنت عمرو (24هـ / 646م) .

الديوان شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، 1963)

47) ابو داود ، سلمان بن الاشعث بن اسحق الازدي

سنن ابو داود ، (مصر ، 1952)

48) ابن دريد ، ابي بكر محمد بن الحسن (ت321هـ / 933م)

الاشتقاق ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة المثنى ، ط2، (بغداد ، 1979)

49) الدينوري ، ابن قتيبة (ت276هـ / 889م)

المعارف ، تصحيح وتعليق ومراجعة : محمد اسماعيل الصاوي ، المطبعة الإسلامية ، ط1 ، (مصر ، 1934).

50) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/ 1347م)

أ.سير اعلام النبلاء ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ،(القاهرة ،1955) .

ب. الطب النبوي ، تحقيق : احمد البدراوي ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، 1984)

51) ابن رشيق، ابي علي الحسن (ت456هـ/ 1063م)

العمدة في محاسن الشعر وادبه ونقده ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، (بيروت ، 1972)

52) الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت 1205 هـ / 1790م)

تاج العروس ، (بيروت ، بلا . ت) .

53) الزبيري، ابي عبدالله المصعب بن عبدالله (ت236هـ / 850م)

كتاب نسب قريش ، شرح وتصحيح : ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، ط2، (مصر، بلا.ت)

54) الزمخشري ، محمود بن عمر (258هـ / 871م)

الامكنة والمياه والجبال ، تح : ابراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون ، (بغداد ، 1968).

55) زهير بن ابي سلمى

الديوان ، تقديم : كرم البستاني،دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت) .

56) الزوزني ابو عبدالله بن احمد بن الحسين (ت 486هـ / 1093م)

شرح المعلقات السبع ، مطبعة المعارف ، (بيروت ، بلا . ت) .

57) زيد بن علي بن الحسين ، الامام

مسند الامام زيد ، دار مكتبة الحياة ، 0 بيروت ، بلا.ت).

58) السدوسي ، مؤرج بن عمرو (ت 195هـ / 810م)

حذف من نسب قريش ، نشره الدكتور : صلاح الدين المنجد ، مطبعة المدني ، (القاهرة ، 1960)

59) ابن سعد ، محمد بن منيع (ت 230هـ / 844م)

الطبقات الكبرى ، تقديم: احسان عباس ، دار صادر ،(بيروت ، بلا. ت)

60) السمعاني ، ابو سعد عبدالكريم بن منصور (ت562هـ/ 1166م)

الانساب ، تصحيح وتعليق : الشيخ عبدالرحمن بن يحيى اليماني ، مطبعة المعارف العثمانية، حيدراباد ، ط1، (الهند، 1962) .

61) السمهودي ، نور الدين علي بن احمد (ت911هـ / 1505م)

وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط1 ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، 1955).

62) السمؤال

الديوان ، شرح عيس سابا ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت)

63) ابن سيدة ، ابي الحسن علي بن اسماعيل الاندلسي (ت 458هـ/ 1065م)

المخصص ، دار الفكر ، (بيروت ، بلا . ت) .

64) السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت911هـ / 1505م) وجلال الدين محمد بن احمد المحلى

تفسير الجلالين ، (بيروت ، بلا. ت) .

65) ابن شبة ابو زيد عمر النميري البصري (ت 262هـ / 875م)

تاريخ المدينة المنورة ، تح : فهيم محمد شلتوت ، دار الاصفهاني ، (بلامكان للطبع، بلا . ت) .

66) الشوكاني الشيخ محمد بن علي بن محمد

نيل الاوطار بشرح منتقى الاخبار من احاديث سيد الاخيار ، مطبعة البابي الحلبي ، (مصر ، بلا . ت) .

67) شيخ الربوة ،شمس الدين ابي عبداللة محمد الدمشقي(767هـ / 1365م)

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، دار احياء التراث العربي ، ط2 ، (بيروت، لبنان، 1998)

68) الصالحي محمد بن يوسف الشامي (ت948هـ / 1536م)

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تح : د. مصطفى عبدالواحد ، مطابع الاهرام التجارية ، (القاهرة ، 1972) .

69) الصنعاني ابو بكر عبدالرزاق بن همام (ت 211هـ/ 826م)

مصنف عبدالرزاق ، تح : حبيب الرحمن الاعظمي ، المكتبة الإسلامية ، (بيروت ، 1402هـ) .

70) الضبي ، ابو عبدالرحمن المفضل بن محمد بن يعلى (ت170هـ/ 786م)

المفضليات ، تحقيق : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، 1942).

71) الطائي ، ابو تمام حبيب بن اوس (ت231هـ/ 845م)

نقائض جرير والاخطل ، تعليق : الاب انطوان الصالحاني اليسوعي ، دار الكتب العلمية ، (بلا مكان طبع ، 1922).

72) الطائي، ابو تمام حبيب بن اوس

ديوان الحماسة ، شرح:العلامة التبريزي ، دار العلم،(بيروت ، بلا. ت).

73) الطبري ،محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م)

أ.جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر،(بيروت ، 1988) .

ب.تاريخ الرسل والملوك ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، (مصر ، 1960)

74) طرفه بن العبد

الديوان ، شرح كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت، 1961).

75) ابن طيفور، ابو الفضل احمد بن ابي طاهر

بلاغات النساء ، مطبعة والدة عباس الاول ، (مصر ، بلا . ت) .

76) ابن عبد الحق ، صفي الدين عبدالمؤمن البغدادي (739هـ / 1338م)

مراصد الاطلاع ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1955) .

77) ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله بن محمد المالكي (ت ق463هـ / 1070م)

الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، على هامش الاصابة في تميز الصحابة ، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1328 هـ)

78) ابن عبد ربه الاندلسي، ابي عمر بن محمد (ت328 هـ / 939م)

العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين،دار مكتبة الهلال ،(بيروت ، 1968) .

79) ابو عبيد، القاسم بن سلام

النسب ، تحقيق : مريم محمد خير الدرع ، تقديم : سهيل زكار ، دار الفكر ، (دمشق، 1989).

80) عبيد بن الابرص

ديوان ، تقديم: كرم البستاني، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت)

81) ابو عبيدة ، معمر بن المثنى (ت 209هـ / 724 م)

نقائض جرير والفرزدق ، طبع بالاوفسيت ، مكتبة المثنى ببغداد على نسخة مطبعة بريل ، (ليدن ، 1907) .

82) عروة بن الورد

الديوان ، تقديم كرم البستاني ، دار صادر ، (بيروت ، بلا . ت) .

83) ابن عساكر، ابن بدران الشيخ عبد القادر ابن محمد الدمشقي

تهذيب تاريخ ابن عساكر ، مطبعة الترقي،(دمشق. 1346هـ)

84) العسقلاني ، شهاب الدين احمد بني علي

تهذيب التهذيب ، دائرة المعارف العثمانية ، (الهند ، 1325هـ)

85) العصامي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك (ت1111هـ / 1699م)

سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ،(القاهرة ، 1380هـ).

86) العمري ، ابن فضل الله (ت749هـ/ 1348م)

مسالك الابصار في ممالك الامصار ، تحقيق : احمد زكي باشا ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، 1924)

87) الفاسي ابو الطيب تقي الدين محمد بن احمد (832هـ / 1428م)

شفاء الغرام في اخبار البلد الحرام ، تح : لجنة من كبار العلماء والادباء ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1956) .

88) عنترة بن شداد

ديوان ، شرح كمال البستاني ، دار صادر ، (بيروت، بلا . ت)

89) ابن الفقيه ، ابو بكر احمد بن محمد (ت 290هـ/ 902م)

مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، (ليدن ، 1891) .

90) الفيروز ابادي، محب الدين محمد بن يعقوب

القاموس المحيط ، (مصر ، 1952)

91) القالي ، ابي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت 356هـ/ 966م)

أ. الامالي ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د.ت).

ب.ذيل الامالي والنوادر ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، بلا . ت).

92) ابن قتيبة ، ابي محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت276هـ/ 889م)

أ. عيون الاخبار ، دار الكتاب العربي . نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ، (بيروت ، 1925) .

ب.الشعر والشعراء ، قدم له : حسن تميم ، مراجعة : الشيخ محمد عبدالمنعم عريان ، دار احياء العلوم ، (بيروت ، 1986).

ج. ادب الكاتب ، تح : محمد محي الدين عبدالحميد ، (مصر ، 1355)

د.المعارف ، تصحيح ومراجعة : محمد اسماعيل الصاوي ، المطبعة الإسلامية ، (مصر ، 1934)

93) قدامة ،ابو الفرج بن جعفر(321هـ / 932 م)

نقد الشعر ، تحقيق : كمال مصطفى ، (القاهرة ، 1963)

94) القرطبي ، ابو عبدالله محمد بن احمد(ت671هـ/ 1272م)

الجامع لاحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، 1965)

95) القزويني ، الامام زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/ 1283م)

أ.اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت ، بلا. ت)

ب.عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، 1986)

96) القلقشندي ، ابي العباس احمد (ت821هـ/ 1418)

أ. نهاية الارب في معرفة انساب العرب ، تحقيق : ابراهيم الابياري ، الشركة العربية للطباعة ، (القاهرة ، 1959).

ب.صبح الاعشى في صناعة الانشا ، بقلم الشيخ : محمد عبدالرسول ، المطبعة الاميرية، مصر ، 1963) .

97) قطرب ، ابي علي محمد بن المستنير (206هـ/ 821م)

الازمنة وتلبية الجاهلية (قبل الإسلام) ، تح : حنا جميل ، المنار ، (الاردن ، 1985)

98) قيس بن الخطيم

الديوان، تح : ناصر الدين الاسد ، دار صادر ، (بيروت ، 1967)

99) ابن قيم الجوزية شمس الدين ابو عبدالله محمد بن بكر(691هـ/ 1291م)

اخبار النساء ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، بلا . ت) .

100) كعب بن مالك

الديوان دراسة وتحقيق: سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، (بغداد ، 1964)

101) ابن كثير،ابو الفداء الدمشقي (ت774هـ/ 1372م)

البداية والنهاية ، تحقيق : احمد ابو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، ط4 ، (بيروت ، 1988) .

102) ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت 204هـ / 819م)

أ. كتاب الاصنام ، تحقيق : احمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة ، 1941).

ب.جمهرة النسب ، تحقيق:ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية ، (بيروت ، 1986)

103) لبيد بن ربيعة العامري

شرح ديوان دار صادر ، (بيروت، بلا. ت)

104) ابن ماجة ابو عبدالله محمد بن زيد (ت 275هـ / 888)

سنن ابن ماجة، تح:محمد عبدالباقي،دار الكتب العلمية ،(بيروت،بلا.ت) .

105) الماوردي ،ابو الحسن علي بن محمد(ت450هـ / 1058م)

الاحكام السلطانية ، (القاهرة 1966)

106) المبرد ، ابي العباس محمد بن يزيد(ت 285هـ / 898م)

الكامل ، تحقيق : محمد ابو الفضل ، دار النهضة ،(مصر ، بلا . ت).

107) ابن المجاور، جمال الدين ابي الفتح يوسف الدمشقي (ت690هـ / 1291)

صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى بتاريخ المستبصر ، طبعة (ليدن ، 1951)

108) المرزباني ، ابي عبيدالله محمد بن عمران (ت384هـ/ 959م)

اشعار النساء ، تح : سامي العاني وهلال ناجي ، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره، دار الرسالة للطباعة، (بغداد ، 1966) .

109) المرزباني، ابو عبيدالله محمد بن عمران (ت 384هـ/ 994م)

معجم الشعراء ، تح ، عبدالستار احمد فراج ، دار احياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (بيروت ، 1960)

110) المرزوقي، ابو علي الاصفهاني (ت453هـ/ 1043م)

الازمنة والامكنة،مجلس دائرة المعارف في الهند ،(حيدر اباد ، 1913) .

111) المرزوقي، ابو علي احمد بن محمد (ت421هـ/ 1030م)

شرح ديوان الحماسة ، نشره : احمد امين وعبدالسلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1967)

112) المسعودي، ابو الحسن بن علي بن الحسين (ت 346هـ/ 957م)

أ. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دققها وضبطها : يوسف اسعد داغر ، دار الاندلس ، ط6، (بيروت ، 1984)

ب. التنبيه والاشراف ، صححه وراجعه : عبدالله اسماعيل الصاوي ، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف ، (مصر ،1938)

113) المفضل الضبي، ابو العباس المفضل بن محمد (ت168هـ/ 784م)
ديوان المفضليات ، تح : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، (مصر ، 1942)
114) المقدسي ، شمس الدين ابو عبدالله بن احمد المعروف بالبشاري (ت375هـ/ 985م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، بريل ، (ليدن ، 1906).
115) المقريزي ، ابي العباس احمد بن علي (ت 845هـ / 1441م)
أ. النزاع والتخاصم فيما بين بني امية وبني هاشم ، قدم له : السيد محمد بحر العلوم ، المكتبة الحيدرية ، (النجف ، 1966)
ب.امتاع الاسماع لما للرسول من ابناء والاموال والحفدة والمتاع ، صححه : محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، 1941)
116) ابن منبه ، وهب (ت110هـ/ 727م)
التيجان في ملوك حمير ، تحقيق : مركز الدراسات والابحاث اليمنية ، صنعاء ، (اليمن ، بلا. ت) .
117) ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت711هـ/ 1311م)
لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، 1968).
118) الميداني ، ابي الفضل احمد بن محمد (ت 518هـ/ 1124م)
مجمع الامثال ، تح:محمد ابوالفضل ابراهيم ، دار الجيل ،(بيروت ، 1987) .
119) النابغة الذبياني
ديوان تح : فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، (بيروت ، 1969).
120) ابن النجار، محمد بن محمود (ت647هـ / 1249م)
اخبار مدينة الرسول المعروف الدرة الثمينة في اخبار المدينة ، تحقيق : لجنة من كبار العلماء والادباء ، مكتبة النهضة ،(مكة المكرمة ، بلا. ت)
121) النسائي ، احمد بن شعيب (ت 303هـ / 915م)
شرح الحافظ جلال الدين السيوطي ، دار الحديث، (القاهرة ، 1987) .
122) النهروالي الشيخ قطب الدين

اخبار مكة المشرفة ، مطبعة خياط ، (بيروت ، 1964).

123) النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت733هـ/ 1332م)
نهاية الارب في فنون الادب ، مطابع كوستاتوماس ، القاهرة (نسخة مصورة عن دار الكتب)

124) النيسابوري ، ابو عبدالله محمد (ت504هـ / 1110م)
المستدرك ، مطبعة نصر الحديثة ، (الرياض ، 1968)

125) ابن هشام ابو محمد عبدالملك (ت 218هـ/ 833م)
السيرة النبوية،تح: مصطفى السقا وآخرون ، دار الفكر ،(بيروت ، 1986) .

126) الهمداني ، الحسن بن احمد بن يعقوب (ت334هـ/ 945م)
صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 1989)

127) الهيثمي ، علي بن ابي بكر (ت 807هـ/ 1404م)
مجمع الزوائد،دار الريان ودار الكتاب العربي ،(القاهرة وبيروت،1407هـ) .

128) الواقدي ، ابو عبدالله محمد بن عمر (ت207هـ / 822م)
مغازي رسول الله ، مطبعة السعادة ، (مصر ، 1948) .

129) الوشاء ، ابي الطيب محمد بن احمد بن اسحاق
الظرف والظرفاء،تحقيق : فهمي سعد،عالم الكتاب ،(بيروت ، 1985) .

130) ياقوت الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله البغدادي (626هـ/ 1228م)
أ. معجم البلدان ، دار صادر ،(بيروت ، 1977)
ب. المقتضب من كتاب جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، الدار العربية للمطبوعات ، (بيروت ، 1987) .

131) اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ / 862م)
أ.البلدان ، مطبعة ليدن ، (بريل ،1891)
ب. تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، (بيروت ، بلا.ت).

المراجع الثانوية

1) ارنولد ، توماس وجمهرة من المستشرقين

تراث الإسلام ، تعريب : جرجيس فتح الله ، المطبعة العصرية ، (الموصل ، 1054) .

2) الالوسي ،محمود شكري

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، تحقيق : محمد بهجة الاثري ، مطابع دار الكتاب العربـي،ط3 ، (مصر ، بلا.ت)

3) البتنوني ، محمد لبيب

الرحلة الحجازية ،(القاهرة ، 1329هـ).

4) بروكلمان ، كارل

تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله الى العربية : نبيه امين ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايـين ، ط5، (بيروت ، 1968)

5) البستاني ، بطرس

أ.ادباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار المكشوف ودار الثقافة ، (بيروت ، 1968)

6) البستاني ، كرم

النساء العربيات ، دار صادر ، (بيروت، بلا . ت) .

7) بلاشير. ر

تاريخ الادب العربي ، ترجمة : ابراهيم الكيلاني ، منشورات وزارة الثقافة ،(دمشق ، 1973) .

8) بيهم ، محمد جميل

المرأة في التاريخ والشرائع ، (بيروت ، 1921) .

9) الترمانيني ، عبدالسلام

أ.الرق ماضيه وحاضره ، سلسلة عالم المعرفة ، (الكويت ، 1985)

ب.الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة) ، سلسلة عـالم المعرفـة ، (الكويـت، بلا . ت) .

10) الجابري ،محمد عابد

العصبية والدولة ،دار الطليعة ، ط3، (بيروت ، 1982).

11) الجبوري ، يحيى

الملابس العربية في العصر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي ،(بيروت ، 1989)

12) الجبوري ،منذر

ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي، دار الحرية للطباعة ،(بغداد ، 1974) .

13) جرجي ، زيدان

تاريخ اداب اللغة العربية ، مطبعة الهلال ، (بلا مكان للطبع ، 1936)

14) جمعة ،ابراهيم

مذكرات في تاريخ العرب الجاهلي وصدر الإسلام ، دار الطباعة الحديثة ،ط1،(البصرة ، 1965).

15) الجندي علي

تاريخ الادب الجاهلي ، مكتبة الانجلو المصرية ، (القاهرة ، 1969).

16) الجوهري ، عبدالهادي

قاموس علم الاجتماع ، مكتبة نهضة الشرق ، (القاهرة ، 1983) .

17) حتي ، فيليب وآخرون

تاريخ العرب (مطول) ، دار غندور للطباعة والنشر ، (لبنان ، بلا. ت)

18) الحسن ، احسان محمد

العائلة والقرابة والزواج ، دار الطليعة ، (بيروت ، 1985) .

19) حسن ، حسن ابراهيم

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، (مصر ، 1964)

20) حسن ، علي ابراهيم

نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب ، مكتبة النهضة (مصر ، 1963).

21) حسين ، محمد

الهجاء والهجاؤن ، المطبعة النموذجية ، (مصر ، 1948)

22) الحلبي ، علي

برهان الشافعي ، السيرة الحلبية ، (بيروت ، بلا . ت)
23) الحوفي ، احمد محمد
أ.المرأة في الشعر الجاهلي،دار نهضة مصر للطبع والنشر ،(القاهرة ،1980) .
ب.الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، دار القلم ، (بيروت ، 1972) .
24) خان ، محمد عبدالمعيد
الاساطير العربية قبل الإسلام ، (القاهرة ، 1937) .
25) الخربوطلي ، علي حسني
أ.محمد والقومية العربية ، (القاهرة ، 1959)
ب.الحنيفية والحنفاء منذ عهد ابراهيم حتى ظهور الإسلام (القاهرة - 1973)
ج.تاريخ الكعبة ، دار الجيل ، (بيروت ، 1976)
د.المجتمع العربي ، (القاهرة ، 1959) .
26) خليف ، يوسف
الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، (مصر ، 1966)
27) خليل ، عبدالكريم
قريش من القبيلة الى الدولة المركزية ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت ، 1997)
28) ابن خميس ، عبدالله بن محمد
المجاز بين اليمامة والحجاز ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، (الرياض ، 1970).
29) الدباغ ، مصطفى مراد
جغرافية جزيرة العرب ، ط1 ، دار الطليعة ، (بيروت، 1963) ، ط1 .
30) الدباغ ، تقي
الفكر الديني القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 1992)
31) دروزة ، محمد عزة
أ.تاريخ الجنس العربي في مختلف الاطوار والادوار والاقطار ، المطبعة العصرية ، (بيروت ، 1961).

ب.عصر النبي (ص) وبيئته قبل البعثة ، مطبعة دار اليقظة العربية ، (دمشق ، 1946) .

32) دنيكن متشيل

معجم علم الاجتماع ، ترجمة : احسان محمد الحسن ، دار الطليعة ، (بلا مكان للطبع ، 1981).

33) الدوري ، عبدالعزيز

أ.مقدمة في التاريخ الاقتصادي ، دار الطليعة ، (بيروت ، 1980)

ب.مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، 1949) .

34) ديوارنت ، ول

قصة الحضارة ، ترجمة : زكي نجيب ، (القاهرة ، 1965)

35) زاده طاش كبرى، احمد بن مصطفى

مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تح: كامل بكري وعبدالوهاب ابو النور، دارالكتب الحديثة،(مصر،بلا.ت)

36) الزيتوني ، عبدالغني

الوثنية في الادب الجاهلي ، منشورات وزارة الثقافة في سوريا ، 1987.

37) زيدان ، جرجي

تاريخ التمدن الإسلامي ، (بيروت ، د. ت).

38) سالم السيد عبدالعزيز

دراسات في تاريخ الغرب(تاريخ العرب قبل الإسلام)، مؤسسة شباب الجامعة ، (مصر ، بلا.ت).

39) السباعي احمد

تاريخ مكة ، مطابع دار قريش ، ط3 ، (مكة المكرمة ، 1385هـ).

40) سعفان، حسن

شحاته ، العلاقات الاجتماعية العامة (ماهيتها وفلسفتها ومجالاتها وقياسها) ، مطبعة دار التأليف ، (مصر ، 1968)

41) سعيد ، جميل

تطور الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية الى ابي نؤاس ، مطبعة الاعتقاد ،(مصر ، 1945)

42) سمك ، محمد صالح

امير الشعراء في العصر القديم امرؤ القيس ، دار النهظة ،(مصر ، 1929) .

43) السندوبي ، حسن

اخبار المراقسة واشعارهم في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاستقامة ، 1939 ، مع شرح ديوان امرؤ القيس .

44) سيديو ،أ

أ.خلاصة تاريخ العرب ، ترجمة : علي باشا مبارك ، مطبعة محمد افندي ، (مصر ، 1309هـ) .

ب.تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ، ط2 ، (مصر ، 1969)

45) الشريف ،احمد ابراهيم

دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الاول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، (القاهرة ، 1968).

مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر العربي، (مصر ، 1965) .

46) صالح احمد عباس

اليمين واليسار في الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، بلا . ت) .

47) الصباغ ليلى

المرأة في التاريخ العربي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، (دمشق ، 1975) .

48) ضيف ،شوقي ،

الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني امية ، دار المعارف، (مصر ، 1979)

49) الطرابلسي، نوفل

صناجة الطرب في تقدمات العرب ، دار الرائد العربي ، (بيروت ، 1982)

50) طلس، اسعد محمد

الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع ، مجلة المجمع العلمي العراقي ،1951

51) العبيدي عبدالجبار منسي

الطائف ودور ثقيف من العصر الجاهلي حتى قيام الدولة الاموية ، دار الرفـاعي للنشـر والطباعـة ، (المملكة العربية السعودية ، 1983) .

52) العدوى ابراهيم احمد

التاريخ الإسلامي افاقه السياسية وابعاده الحضارية ، (القاهرة ، 1976).

53) العفيفي، عبدالله بك

المرأة في جاهليتها واسلامها ، مطبعة المعارف ، (مصر ، 1933)

54) العلاف ، عبدالكريم

الطرب عند العرب ، مطبعة اسعد ،(بغداد ، 1963)

55) علي ،جواد

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط2 ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1956) .

56) علي ، محمد كرد

الإسلام والحضارة العربية ، دار الكتب ، (بلامكان طبع ، 1934).

57) العلي صالح احمد

أ. دولة المدينة في عهد الرسول (ص) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، 1988)

ب. محاضرات في تاريخ العرب ، مطبعة الارشاد ، (بغداد ، 1968) .

58) العمري ، اكرم ضياء

المجتمع المدني في عهد النبوة ، مطبعة الجامعة الإسلامية، ط1 ،(المملكة العربية السعودية ، 1983).

59) فارمر هنري

تاريخ الموسيقى العربية ، عربه وعلق عليه : جـرجيس فـتح الله ، منشـورات دار مكتبـة الحيـاة ، (بيروت ، 1972) .

60) الافغاني ، سعيد

اسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، مطابع دار الفكر ،(دمشق ، 1960).

61) فروخ ، عمر

تاريخ العرب في صدر الإسلام والدولة الاموية ، دار العلم للملايين ، (بيروت ، 1970) .

62) القيسي ، نوري حمودي

الفروسية في الشعر العربي، (بغداد ، 1964).
63) الكتاني محمد بن عبدالحي بن عبدالكبير (ت1333هـ / 1914م)
التراتيب الادارية والعملات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة العلية ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، بلا . ت) .
64) كحالة ، عمر رضا
أ.العرب قبل الإسلام ، المطبعة الهاشمية ، (سوريا ، 1958) .
ب.العرب من هم وماقيل عنهم ، (بيروت ، 1979)
ج.معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ، المكتبة الهاشمية ،(دمشق ، 1949) .
د.جغرافية شبه جزيرة العرب ، مطبعة الكتبي ، (دمشق ، بلا.ت)
65) كستر ، م. ج .
أ . مكة وتميم ترجمة يحيى الجبوري ، (بغداد ، 1975)
ب . الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة : د. يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1976)
66) كشك ، محمد بهجت
المدخل الى تنظيم المجتمع ، الاسكندرية ، (مصر ، د. ت).
67) لطفي ، جمعة محمد
ثورة الإسلام وبطل الانبياء ، مكتبة النهضة العربية ، (القاهرة ، 1958).
68) لوبون ، غوستاف
أ.حضارة الهند،ترجمة:عادل زعيتر، مطبعة احياء الكتب العربية،(بيروت، 1948).
ب.حضارة العرب،ترجمة:عادل زعيتر،مطبعة احياء الكتب العربية،(بيروت،1979)
69) ماجد عبدالمنعم
التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط2، (1971).
70) مبروك نافع محمد
تاريخ العرب عصر ماقبل الإسلام ، ط2 ، مطبعة السعادة ،(القاهرة ،1952).
71) محمد ، محمود جمعة

النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والامم السامية ،(القاهرة ،1949)

72) المشهداني ، محمد جاسم حمادي

الانساب العربية ودورها في تدوين تاريخ الامة ، دار الشؤون الثقافية العامة.

73) معجم العلوم الاجتماعية، نخبة من الاساتذة المصرين والعرب المتخصصين ، مراجعة : ابراهيم مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (مصر ، 1975).

74) الملاح ،هاشم يحيى

الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل ، 1994)

75) مهران محمد بيومي

تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، (القاهرة ، 1997)

76) المولى، محمد جاد ومحمد ابوالفضل وعلي محمد البجاوي

ايام العرب في الجاهلية ، مطبعة دار الفكر ، (بيروت ، 1961) .

77) ميشيل ، دينكن

معجم علم الاجتماع ، ترجمة احسان محمد الحسن ، دار الرشيد للنشر،(بغداد، 1980).

78) نالينو ، كارلو

تاريخ الاداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية ، تقديم : طه حسين ، ط1 ،(مصر ، 1970).

79) النص ،احسان

العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ، (بيروت ، 1964)

80) نكلسن ، رينولد

تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الإسلام ، ترجمة وت : د. صفاء خلوصي ، مطبعة المعارف، (بغداد ، 1969)

81) نور ، محمد عبدالمنعم

المجتمع الانساني ، مكتبة القاهرة الحديثة ، (القاهرة ، 1970).

82) الهاشمي ، احمد

جواهر الادب في ادبيات وانشاء العرب ، مطبعة السعادة ،(مصر ، 1960)

83)   الهاشمي ، على المرأة في الشعر الجاهلي ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، 1960) .

84)   واط ، مونتغمري

محمد في مكة ، تعريب : شعبان بركات ، المطبعة العصرية للطباعة ، (بيروت ، 1952) .

85)   الوافي علي عبدالواحد

الاسرة والمجتمع ، دار احياء الكتب العربية ، (مصر ، 1958) .

86)   ولفنسون ، اسرائيل

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، (مصر ،1927) .

87)   ولكن أ . ج

الامومة عند العرب ، تعريب : بندلي الجوزي ، (قازان ، 1902)

88)   وهبة ، حافظ

جزيرة العرب في القرن العشرين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط2 ،(مصر، 1935) .

89)   ياسين نجمان

تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، مطبعة بيت الموصل ، (الموصل ،1988)

90)   اليسوعي ، الاب لويس شيخو

91)   أ.شعراء النصرانية قبل الإسلام ، جمع وتحقيق : الاب لويس شيخو ، مطبعة المشرق ، (بيروت ، بلا . ت).

ب.شعراء نجد والحجاز والعراق ، مطبعة الاباء اليسوعين ،(بيروت ، 1924).

المراجع الاجنبية

Muir : Sir Wallam , the Life of Mohammad from original Sourocs , new and rev , ed . by T.H Weir Ednburgh . 1923 , P. 93 .

ثالثاً : المجلات والدوريات :

92)   البكر ، منذر

بحث في جغرافية شبه جزيرة العرب، مجلة آداب البصرة،عدد 9، لسنة 1974 .

93)   الربايعة ،احمد

عبادة الاصنام في الجزيرة العربية قبل الإسلام ووظيفتها الاجتماعية ، مجلة ابحاث اليرموك ، المجلد / 3 ، العدد الاول ، (الاردن ، 1978) .

94) الساموك، سعدون

الازياء العربية ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد / 25 لسنة 1984 .

95) الصابوني، محمد علي

اعياد المسلمين ، مجلة رابطة العالم الإسلامي ، العدد ، 8 ، لسنة 3 ، مكة المكرمة ، دار الاصفهاني ، 1966.

96) عبدالمنعم ، نبيلة

اداب المائدة في التراث ، بحث القي في منتدى بغداد عام 1991 ، امانة بغداد .

97) علوان ، موسى بناى

الشورى في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، مجلة الدارة ، العدد / 3 ، المملكة العربية السعودية لسنة 1984 .

98) العلي ، صالح احمد

التاريخ الاجتماعي للعرب نطاقه ومصادره ، مجلة افاق عربية ، العدد/ 4 لسنة 1977

99) العلي صالح احمد

الوان الملابس العربية في العهود الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، جزئين ، مجلد/ 26 لسنة 1975 ، مجلد / 27 لسنة 1976

100) قيسي ، نوري حمودي

النسب الى الام عند العرب بين نظام الامومة والطموطية ، مجلة دراسات الاجيال ، السنة الاولى ، العدد 2 ، ايار 1980.

101) الكبيسي ، حمدان عبدالمجيد

اثر الاسواق في وحدة الثقافة العربية ، بحث منشور في مجلة بيت الحكمة ، العدد / 5 السنة الاولى ، 1988.

102) كمال ، محمد سعيد حسن

الطائف ، مجلة العرب ، الجزء الاول ، السنة الرابعة ، 1969 .

103) مؤنس حسين

السيرة النبوية رؤية جديدة ، مجلة الهلال ، ايلول ، القاهرة ، 1978 .

104) مكسيم ، رودنسون

حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمشكلة الاجتماعية لاصول الإسلام ، ترجمة : زينب رضوان، مجلة الفكر العربي (الاستشراق) ، السنة الخامسة ،، (بيروت ، 1983).

105) نبيه عاقل

مجالس الشراب في الجاهلية والإسلام ، مجلة العربي ، العدد / 58 ، 1963 ، الكويت .

106) نصار حسين

اغاني الافراح عند العرب ، مجلة العربي ، العدد 34 لسنة 1961 ، الكويت .

107) يوسف ، شريف

الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد / 29 ، لسنة 1978.

دوائر المعارف

107) دائرة معارف البستاني ، اعداد : بطرس البستاني دار المعرفة ،(بيروت ، بلا . ت)

الاطاريح والرسائل الجامعية

108) الجبوري ، ابراهيم محمد

التحالفات بين القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية قبل الإسلام وعصر الرسالة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الاداب ، .1990

109)الجميلي ، خضير عباس

دور قريش قبل الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات القومية ، الجامعة المستنصرية ، (بغداد ، 1986) .

110)عبدالرحمن ،هاشم يونس

المثل والقيم الخلقية عند عرب ما قبل الإسلام وعصر الرسالة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى جامعة الموصل ، كلية الاداب ، 1987.

الفهرس